هذا ما وعد الرحمن

موعود كل الأزمنة

هذا ما وعد الرحمن

" موعود كل الأزمنة "

تأليف

چورج تاوزند

DR. GEORGE TOWNSHEND
Canon of St. Patrick's Cathedral, Dublin
Archdeacon of Clonfert.

نقلته إلى العربية

بهية فرج الله زكى الكردى

طبع باجازة المحفل الروحانى المركزى للبهائيين بمصر والسودا

حقوق الطبع محفوظة للمحفل الروحانى المركزى

[illegible]
[illegible]

عنوان الكتاب الأصلي :

THE PROMISE OF
ALL AGES.

الطبعة الأولى | شهر الكمال ١٠٣ بهائية
| أغسطس ١٩٤٦ ميلادية

الإهداء

إلى كل من أحب السلام وعمل له

مقدمة المترجمة

هذا الكتاب الذى بين يديك يقدم لك لوناً من الثقافة غريبا عليك بعض الشىء ، قرأته وأعجبت به ، فعكفت عليه ونقلته إلى العربية حتى تقرأه وتعجب به أنت أيضا . وإنه لا يخامرنى الشك فى أنه سيملأ فراغا كبيراً فى المكتبة العربية المفتقرة إلى تلك الكتب التى تعالج مسائل الدين فى نسقه الأعلى ، وتعرفه إلى الطبقة الممتازة من المثقفين . فهو من أعظم الكتب التى كتبت فى هذا الباب ، ومؤلفه هو الدكتور جورج تاونزند أسقف كتدرائية سنت باتريك بدبلن ، وأرشديكون كانفرت . وهو فوق منزلته الدينية الرفيعة ، أديب ممتاز ، وكاتب بارع . ألف كتابه هذا مسجلا ما بلغه فى دراسته العميقة للدين من نتائج ناضجة وآراء صائبة ، محاولا أن ينظر من زاوية جديدة إلى مشاكل هذا العصر المتكبر المفتون بنفسه ، الذى دفع به غروره وافتتانه إلى إنكار السماء والإغراق فى المادية والجحود .

وإنه لا يسعنى فى هذا المقام إلا أن أسجل جزيل شكرى وعظيم

امتنانی لـكل من ساعدنی على ترجمة هذا الـكتاب أو تحقيقه .

وأخيراً ، أسأل الله أن يكون الـكتاب نافعا للمنصفين من قرائه ، مواسيا لأولئك المعذبين اليائسين الذين طال بهم البحث عن بوارق الأمل والرجاء ، معينا لأولئك الذين يتغنون بالسلام ويحبونه ويجاهدون فى سبيله على الاهتداء إلى الأساس الفذ الذى يمكن أن يشاد عليه صرح السلام المنشود والوئام المرتجى .

أغسطس ١٩٤٦ بهية فرج الله زكى الكردى

مقدمة المؤلف

هذه رسالة أحاول فيها أن أعرض صورة لدراسة مستمرة رصينة تدور حول تعاليم بهاء الله الدينية بشأن وحدة الجنس البشرى وتأسيس سلام عالمى دائم فى هذا العصر .

وضع بهاء الله منهجا محكما شاملا لنظام عالمى جديد ، وأكد أن الناس سينجحون فى تطبيق هذا النظام ما إن يدركوا مخلصين وحدة الجنس البشرى الجوهرية . غير أنهم لن يستطيعوا أن يبلغوا هذا المبلغ من الوعى والإدراك إلا عن طريق غرائزهم الدينية ، وإطاعتهم المطلقة لإله واحد فى ظل اسم واحد . وربط فكرة السلام بفكرة الدين ربطا لا تنحل له عقدة . فالسلام بين كل أمم الأرض لن يستتب إلا بخضوع الناس جميعا إلى إله المحبة . وبناء السلام على أى أساس آخر إنما هو بناء على الرمال .

وللملاءمة بين القول والعمل افتتح نهضة دينية عظيمة . وبلغ من قوته أن أثار فيمن توجهوا إليه لينهلوا عنه قوى كامنة من الروحية والمحبة : فرأوا بعيون جديدة حقائق المثل العليا فى الوفاق والأخوة ،

وتناسوا كل ما بينهم من فروق فى ساحة العبودية العامة للعلى القدير .
ولقد ضمت النهضة خلقا كثيرا من أمم مختلفة وعقائد متباينة ، وحدت بينهم ودفعتهم — فى حرارة — إلى هدف واحد . ولم تقف هذه النهضة عن سيرها بصعود مؤسسها إلى الرفيق الأعلى ، ولكنها تمتد — فى خطى بطيئة صابرة — إلى الشرق والغرب . ولقد بلغت اليوم من الامتداد والانتشار أن أخذت خطته فى توحيد العالم تبرز إلى حيز الوجود بين أولئك الذين ارتضوا تعاليمه .

إن ظهور هذا النظام العالمى القائم على الإيمان الروحى — فى عصر كعصرنا هذا ، وعالم كعالمنا قد حطمته الأحقاد القومية — ظاهرة جديرة بأن تثير الاهتمام الشديد عند أهل الدين . وإن وجود حركة كهذه بين ظهرانينا — وإن ضاق مجالها اليوم — حركة قد اتخذت السلام هدفها العملى الأول ، مع قيام العالم كله بكل جهوده المادية والثقافية على هذا الهدف المباشر نفسه ، أمر عظيم إن أغفله محبو السلام فقد أساءوا إليه إساءة بالغة . ومع ذلك فلا يبدو أن هيئة من الهيئات المسيحية قد ألفت بالا للأخوة البهائية ولا لمبادئ مؤسسها ، بل إن الجمهور فى مجموعه لا يعلم — إن علم شيئا على الإطلاق — إلا القليل عن هذا المنهج الذى أوحى به فى سبيل السلام العالمى الشامل . وبالرغم من الحفاوة التى أضفتها عليها أقلام الشخصيات الممتازة فى أوربا من العلماء والأساتذة والأدباء والحكام

(والفولك) وإن الغرب لا يعرف عن البهائية إلى اليوم إلا النذر اليسير، على الرغم من أنها تدعو في حرارة وقوة إلى عين ما تدعو إليه الجمعيات الحديثة من مثل عليا كالعدل والوفاق فإن ظهورها ما فتىء مغمورا، ومبادئها ما زالت موضع الشك، وتاريخها لا يثير لذة ولا استمتاعا، وأبطالها لا يشاطرها أحد، وإنذاراتها لا يعبأ بها أحد، ومنشأها الروحى لا يدرك أحد، وقوة تعاليمها الخلاقة لا يستشعرها إلا القليل.

ومنذ اثنتين وعشرين سنة خلت، حينما توطدت أركان الحركة في الشرق، وفازت بشيء غير يسير من الذيوع في الغرب بفضل كتابات المستشرقين والرحالة، بلغت شواطئنا رسالتها في الوحدة والسلام على يد أحد زعمائها الثلاثة؛ وأصبحت منذ ذلك الحين موضوعا يتضخم حوله الأدب في اللغة الإنجليزية. فلقد رحبت لندن بعبد البهاء ابن مؤسس الحركة وخليفته، وبلغ في أسفاره برستل غربا وأدنبره شمالا. وكان يشرح تعاليم بهاء الله في المجالس العامة والخاصة وفي الكنائس والمعابد والمساجد والقاعات، وظفر بشيء غير يسير من تعليقات الصحف. وكثيرا ما أمه ممثلو الهيئات والمهن المختلفة: من رجال دين ورجال تعليم ورجال صحافة وغيرهم؛ وتحادثوا معه في شأن رسالته. وقد سجل كثير من أحاديثه وخطاباته، وطبعت بين دفتى كتاب. وقد أضافت مضيفته السيدة بلومفيلد – في الجزء الرابع من كتاب العالم البهائي – نبذة عن

زيارته لها ، وعن جموع المستبصرين الذين طرقوا بابها أسابيع متوالية .

وكان من بين الزوار رجال للدين من مختلف النحل ، وقد دعا أحدهم ـ وهو الأب ر . ج . كامبل ـ عبد البهاء إلى أن يتكلم فى « سيتى تمبل » ، وبذلك تم لعبد البهاء أول إعلان للرسالة على جمهور غربى فى اليوم العاشر من سبتمبر سنة ١٩١١ . وقد قال الأب وهو يقدم عبد البهاء :

« أحسب أن الحركة البهائية قريبة الشبه جداً بالمسيحية ، بل هى صورة حقيقية لغاياتها الروحية » . وكأنما أراد عبد البهاء ـ قبل أن يغادر المكان ـ أن يؤكد تلك الكلمة فأثبت فى نسخة الكتاب المقدس القديمة : « هذا كتاب الله المقدس ، أوحى به من السماء . إنه إنجيل الخلاص الجليل . إنه سر الملكوت ونوره ، والنعمة الإلهية ، وآية الهداية الربانية » ووقع باسمه .

وفى يوم الأحد التالى دعاه الارشديكن ولبرفورس (راعى مجلس العموم ، والواعظ المنتخب لجامعة اكسفورد) ليختم عبد البهاء صلاة المساء فى كنيسة القديس يوحنا بوستمنستر ، كما يجرى به سجل الاجتماع المطبوع : « وضع الأرشديكون كرسى المطران على أعتاب الهيكل ليجلس عليه ضيفه ، ثم وقف بجانبه ، وألقى بنفسه ترجمة خطاب عبد البهاء . وقد تأثر الجمع تأثراً بالغاً واتتموا بالارشديكون فى الركوع لخادم الله وتلقى بركاته » .

ولما زار عبد البهاء أكسفورد نزل ضيفا على بيت الأستاذ شين Prof. Cheyne ، وكان الدكتور شين بطبيعة الحال لاهوتيا عالي الشهرة، وهو منشيء دائرة معارف الكتاب المقدس Encyclopedia Biblica ومؤلف نقد الإنجيل Critica Biblica ونبوءات أشعياء ، ومؤسس نقد العهد القديم، وكتب أخرى . وكان قد استقال من أستاذية تفسير الكتاب المقدس ، وقد أثرت فيه شخصية عبد البهاء تأثيرا عميقا مباشرا . وقد كتبت السيدة بلومفيلد في هذا قائلة : « كانت كل نسمة من نسمات هذا المجلس تتضوع بالنفحات ، وبدا أن هذه النفحات أخص بالقلب من أن توصف . ولا تزال قلوبنا تتحرك وترق كلما ذكرنا ذلك اليوم وهبت علينا نسمة منها . »

وبعد ثلاثة أعوام عبر الدكتور شين عن آرائه التي استخلصها من دراسته العميقة للحركة البهائية وزعمائها الثلاثة ـ مؤسسها بهاء الله والمبشر بها الباب، والمروج لها عبد البهاء ـ في كتابه : الوئام بين الأجناس والأديان Reconciliation of Races and Religions .

فقال : إن عبد البهاء يذكره بالقديس فرنسيس أسيسي St. Francis of Assisi ، إلا أن القديس فرنسيس « كان يحتقر علم البشر » ومن ثم « كان عبد البهاء رجلا أكمل » . ثم كتب مرة أخرى يقول : « لم يستطع أحد على مدى ما تستطيع ملاحظاتي أن تسجل شأن

يكون مظهرا للكمال كما كان عبد البهاء ، وهو يخبرنا بأنه صورة منعكسة من بهاء الله » . وقال الأستاذ بصدد الباب المبشر : « إن جمعه بين الرقة والقوة أمر يبلغ من الندرة بحيث نضطر إلى أن نضعه فى عداد من هم فوق طبيعة البشر.وقد علمنا أن فيضا من نور القوة والعظمة كان يفيض من محياه فى لحظات رسالته الكبرى ــ كلما استغرقته هوية الإلهام ــ بحيث أن أحداً لم يكن ليقوى على النظر إلى طلعة ذلك البهاء والجلال . وكان من الواقعات العادية أن الذين لا يؤمنون به كانوا يخرون تحت سلطانه ، ويخضعون له لدى مشاهدة هيكل قدسيته . »

وقد عمد الدكتور شين أيما تمجيد بهاء الله الذى تشرف الباب ، وعبد البهاء بأن يعداه المصدر والمنبع لكل فضيلة وحكمة كانت لهما ، فقال :

« لقد عاش أخيراً فرد من البشر ، بلغ من قوة مجده أن ظن الكثيرون أنه مما لا حرج فيه ــ إن لم يكن مما لا محيد عنه ــ أن يتمثلوا فيه رمز الله الذى لا يرى » .

ثم التفت إلى ما قد يوجد فى الأديان القائمة من تناسخ وتجسيد ؛ فلاحظ صعوبة الحصول على شواهد معاصرة لها ، فمضى يقول : « إن الشعور بالحاجة إلى حياة ممحصة لإنسان إلهى ، أو قبس منها ، ليتزايد . وليس هنالك إلا نموذج واحد لحياة كهذه ، وهو حياة بهاء الله . وعلى

ذلك فلنتوجه إلى الله عن طريقه – فى قرننا العشرين هذا ، وسط هذه الصعوبات المتراكبة التى تحل بنظمنا الاجتماعية والسياسية – وليكن لنا فيه ملاذاً يحمل تضرعنا إلى الرب الأعلى . »

ثم حمل عبدالبهاء رسالته إلى القارة ، فطاف بفرنسا ، وألمانيا ، والنمسا والمجر . ولقيه فى بودابست أرمنيوس فامبرى Arminius Vambery ، أستاذ اللغات الشرقية فى الجامعة ، ذلك الذى حببته إلى انجلترا كتب أسفاره ، ودفاعه عن عدالة انجلترا فى الشرق .

وكتب فامبرى – من بعد – إلى عبد البهاء يقول :

« إن كل امرئ يرى نفسه – يا مولاى – مضطراً إلى الانحياز إلى جانبك ، متقبلا فى سرور ، الأمل المعقود على قيام دين عالمى إلهى وضع أساسه بجهودكم . لقد رأيت والدكم من بعيد ، وتحققت من شجاعة ابنه النبيلة ، وإنكاره لذاته . وإنه ليستغرقنى لذلك الإعجاب ، فأفصح عن عميق احترامى وإخلاصى لأهدافكم . ولئن أطال الله تعالى بقائى تفانيت فى خدمتكم فى كل الظروف والأحوال . »

ولقد اشتملت سفرة عبد البهاء التبليغية كلا من أوروبا وأمريكا ، فبشر بمقدم بهاء الله أدنى الغرب وأقصاه .

على أن سفرته هذه لم تكن أول الأخبار التى وصلت الغرب عن هذه الحركة . بل إن أنباء الحركة العجيبة التى ابتدأت فى إيران وصلت

أوربا وأمريكا فى تقارير السياح خمسين أو ستين عاما من قبل ؛ ومنذ ذلك العهد طفقت إشارات المستشرقين إليها تزيد تداولا . ويعدد الأستاذ براون فى كتابه « مقالة سائح » الصادر عام ١٩٠١ سبعا وعشرين مرجعا أوربيا عن الباب والبابية طبع فى مختلف البلدان : فى لندن، وليبزج، وبرلين، وفينا، وباريس، وبطرسبرج، وبودابست . ويعد أفضلها جميعا كتاب الكونت جوبينو : « الأديان والفلسفات فى آسيا الوسطى » (باريس ١٨٦٥ ، ١٨٦٦) Les Religions et les Philosophies dans l'Asie Centrale (Paris, 1865 et 1866) اذ أن أكثر من نصف الكتاب مكرس للبابية .

ويكتب الأستاذ براون عن هذا الكتاب فيقول :

« إن هذا الكتاب البارع المعبر ، الفائق لأشهر من أن يحتاج إلى وصف مفصل . . . فهو لا ينقد الحقائق نقداً نادراً ، وبمهارة فائقة فحسب ، بل هو يعرض الشخصيات ، ومناظر الدراما المؤثرة عرضا تصيرا حيويا جذابا يجعل الكتاب خليقا بأن يتبوأ مكانته بين الكتب العظيمة التى لا تبلى ولاتفاق فى الموضوعات التى تتناولها . »

وتعرض اللورد كرزون – فى كتاب « ايران والمسألة الإيرانية » Persia and the Persian Question الذى لم يضمه الأستاذ براون إلى قائمته – للحركة البابية تعرضا طويلا نوعا ما فى شىء كثير من العطف

العميق . وهو اذ يناقش منشأ كل البلاد التي درجت فيها ، والتي اتخذت حكومتها التدابير القاسية لقمعها وإطفائها ، يتكلم عن « قصص البطولة الرائعة التي تزين صفحاتها » وعن « حياة الباب الطاهرة المبتلاة ، واستشهاده الشرف ، وبطولة أتباعه واستشهادهم » ثم يقول : « إنه لا يمكن الاستهانة بمبادئ تلك العقيدة التي تستطيع أن تثير في معتقديها مثل هذه الروح الجليلة النادرة لتضحية الذات » . ثم هو يمضي إلى القول بأنه « مادامت هذه التعاليم الجديدة تنتشر — رغم كل اضطهاد — في ربوع إيران ، وما دامت تنتزع أنصارها من بين أفضل رءوس الإسلام فإنها لا محالة ستنبذ الإسلام في إيران وتسوده سيادة تامة » .

الا أن الأستاذ براون وحده قد عمل على لفت أنظار جمهور المثقفين من الإنكليز إلى البابية في أواخر القرن الماضي أكثر مما عمل على ذلك أي كاتب آخر . فكما كان السير توماس آدمز أستاذاً للعربية وعضواً في كلية عمبروك بجامعة كمبردج ، كان هو كذلك ثقة في آداب الفارسية وتاريخها . وكان يكتب بأسلوبه الرصين الشيء الكثير عن هذا الموضوع . وفي كتبه الكثيرة التي تتناول إيران ، أمثال مادة « لدراسة الدين البابي Materials for the Study of the Babi Religion » ، والتاريخ الجديد للباب The New History of the Bab ، ومقالة سائح A Traveller's Narrative ، وعام بين الإيرانيين A Year

Among the Persians ، — عدا الأبحاث القصيرة الكثيرة — قسط ضخم من المعلومات عن أيام الحركة الأولى . ولقد اتفق له بالذات ، أثناء تحرياته ، أمر واحد لم يشركه فيه كاتب غربي آخر ، يزيد في كتابته قيمة ومتعة . والواقع أنه لا هو ولا غيره من الكتاب المذكورين قد رأى الباب ، ولكنه هو — وهو وحده — رأى بهاء الله . ففي عام ١٨٩٠ — أى قبل صعود المظهر الإلهي — زار براون سوريا ليتم أبحاثه عن الدين البهائي . وكان من حظه أن ينزل على البهائيين في عكا حيث كان بهاء الله ما يزال سجينا . وقد حظى خلال هذه الزيارة القصيرة بلقاء بهاء الله — أربع مرات على وجه التحقيق — واستمع بأذنيه من شفتي المعلم شيئا من تعاليمه البارزة .

وهو يخبرنا في مقدمته لمقالة سائح كيف تم ذلك ، ثم يستطرد فيقول : « وهكذا نزلت هنا — في البهجة — ضيفا وسط ما تعظمه البابية وتقدسه ؛ وهنا قضيت أياما خمسة من أعز الأيام على الذاكرة ، تمتعت خلالها بفرص لا مثيل لها ، ولا أمل في رجعتها، للالتقاء بهؤلاء الذين هم ينابيع تلك الروح القوية العجيبة التي تعمل في قوة خفية وروية على إيقاظ قوم يغطون في سبات أشبه شيء بالموت . كانت في الواقع تجربة مثيرة غريبة . وإنى لأيأس من الإتيان على تأثيراتها المتعددة ، ولكنى أقنع بأضعفها . فخليق بي أن أجهد نفسي في تقصي الوجوه والأشكال

التى حللت بى ، والأحاديث التى امتزت بالانصات إليها ، والتلاوة الطلية النغمة للكتب المقدسة ، وما غمر المكان من هدوء وسلام ورضا ، والحدائق الظليلة العطرة التى كنا نفىء إليها أحيانا فى الأصائل . غير أن هذا جميعا لا يساوى شيئا من ذلك الجو الروحى الذى غرقت فيه . إن المسلمين الإيرانيين كثيراً ما يحدثونك بأن البابيين يسحرون ضيوفهم أو يخدرونهم الى أن يشعر هؤلاء الضيوف بحال لا يستطيعون منها خلاصا ، فاذا فعل بهم السحر فعله ، تأثروا بما يتأثر به البابيون ، وهو ما يعده المسلمون المذكورون جنونا غريبا مطبقا . ومهما يكن من سخف هذا الظن فانه يعتمد على حقيقة أقوى مما تعتمد عليه جل أقوالهم الأخرى التى يسطونها فى هؤلاء القوم ، لأن الروح التى تسود البابيين جميعا روح قلما تفشل فى أن تصرع الجميع بتأثيرها القوى صرعا . إنها قد تخيفك ، وانها قد تجذبك ، ولكنك ، فى كلتا الحالين ، لا يمكنك أن تتجاهلها أو تغفل أمرها . فليكذب بى من لم يروا ما شاء لهم التكذيب ؛ ولكن لو كشفت لهم تلك الروح عن نفسها لأحسوا شعوراً لن يكون من اليسير عليهم أن ينسوه . » (مقالة سائح ص ٣٩ ــ ٤٠)

ولا يزال وصفه لقائه لبهاء الله التقرير الوحيد الذى كتبه مؤلف غربى عن لقاء كهذا ؛ فهو يكتب بعد وصف تمهيدى :

« مرت ثانية أو ثانيتان . وفى خفق من العجب والذهول أدركت

إدراكا تاما أن الغرفة لم تكن بالخالية . فى الركن ، حيث يلتق الديوان بالحائط ، جلس طيف جليـل مهيب ، تتوج رأسه قلنسوة غير عادية الارتفاع ولا الصنع ، من ذلك النوع الذى يسميه الدراويش بالتاج ، تدور بأسفلها عمامة صغيرة . ذلك الوجه الذى حدقت فيـه لا يمكن أن أنساه ، رغم أنى لا أستطيع أن أصفه . تانك العينان النافذتان تبدوان كأنما تقرآن السرائر ؛ والقوة والسلطان قد استويا على الجبين العريض، بينما تحدثك الغضون والتجاعيد بسن يكاد يكذب بها ذلك الشعر الأسود اللامع واللحية المرسلة فى جلال وعظمة إلى ما يقارب الوسط . وما كنت فى حاجة إلى أن أسأل بحضرة من كنت ، لأنى وجدت نفسى أنحنى بين يدى من هو موضع حب وعبادة تحسدها الملوك عبثا ، وتنهد لها الأباطرة سدى . »

وأمرنى صوت جليل عذب أن أجلس ، ثم مضى يقول : « الحمد لله أن قد جئت . جئت ترى سجينا ومنفيا . . . إنا ما نبغى إلا الخير للعالم والسعادة للأمم . ومع ذلك فهم يحسبوننا مثيرين للفتن والفساد الذى يستحق الحبس والنفى . . . أن تكون جميع الأمم واحدة فى الدين ، وأن يصبح الناس إخوانا ، وأن تتوثق عرى المودة والاتحاد بين بنى الانسان ، وأن ينتهى الاختلاف بين الأديان ، وتزول الخلافات الجنسية ؛ فأى ضرر فى هذا ؟ ومهما يكن من شىء فإن هذا النزاع غير

الشر ، وتلك الحروب الهدامة سوف تزول ، ويقبل «السلام الأعظم» . . . ألا تحتاجون إلى مثل هذا أيضا فى أوروبا ؟ أليس هذا ما بشر به المسيح ؟ ولكننا نرى الملوك والحكام يبذلون خزائنهم على وسائل تدمير الجنس البشرى أكثر مما ينفقون فيما يجلب السعادة إليه . . . هذا النزاع وسفك الدماء والانقسام يجب أن ينتهى أمره ليكون الناس من بعد جنسا واحداً وأسرة واحدة . . . ليس الفخر لمن يحب الوطن بل لمن يحب العالم . »

« تلك هى — بقدر ما تسعفنى ذاكرتى — الكلمات التى سمعتها ؛ هى وكلمات أخرى — من البهاء . وليتدبر هؤلاء الذين يقرأونها إذا ما كانت مثل هذه المبادئ خليقة بالموت والقيود ، وإذا ما كان العالم حريا بأن يكسب أو يخسر إن عمت وانتشرت . » (مقاله سابق ص ٣٩)

وعلى هذا النحو قدم السياح والعلماء للجمهور الغربى — قبل زيارة عبد البهاء — بعض المعلومات عن النهضة العظمى التى كانت تشرق فى الشرق . ولا تزال ثمة قصاصات تشهد بأن تلك الكتابات — وإن قلت — كان لها فى بعض البقاع تأثير عميق .

فقد قال الأستاذ كاربنتر — عميد كلية مانشستر — فى سياق حديث له فى أكسفورد فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٢ :

« إن المرحوم الدكتور جويت Jowett أخبره مرة بأنه قد تأثر

بتعاليم الباب وسيرته تأثراً عميقا دفعه إلى الاعتقاد بأن البابية – كما كانت تسمى الحركة آنذاك – قد تصبح أعظم حركة دينية منذ ميلاد المسيح . » (Christian Commonwealth, January 22 nd. 1913)

وكذلك أثر المعنى نفسه عن الدكتور كيرد Caird الذى خلف الدكتور جويت . واقد انتشر العلم بالحركة خارج الهيئات العلمية ؛ فأمهات المجلات تحوى ملاحظات عنها : (The Spectator, April, 1892) و(Scottish Review, April 1892) و(The Academy, March1893) و (The Arena, November 1904) – كما سافر من انجلترا وأمريكا كثير من الطالبين إلى عكا للحصول على المعلومات من عبد البهاء نفسه .

ولم يقتصر العلم بالبهائية على الجانب الغربى من أوروبا بل إن شهرتها تغلغلت إلى قلب روسيا ، فأبدى تلستوى إعجابه الشديد بها ، وكتب فى الثانى والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٠٣ فى سياق خطاب له :

« لقد عرفت البابية من زمن طويل ، وأعجبت بتعاليمها أيما إعجاب . ويبدو لى أن تعاليمها . . . لها مستقبل باهر لاشئ ، إلا لأنها – وقد اطرحت كل هذه القشور التى ولدت الانقسام – تسعى إلى أن توحد الانسانية جميعا فى دين واحد شامل . وعلى هذا فالتعاليم البابية – مادامت قد رفضت الخرافات الاسلامية دون أن تنشئ لنفسها خرافات تنقسم

بذورها إلى خرافات أخرى جديدة ، وطالما هى تتمسك بالأفكار الأساسية الأولى، وهى الأخوة والمساواة والمحبة ـ فإن لها مستقبلا زاهراً. وإنى لذلك أعطف على البابية من كل قلبى لأنها تعلم الناس الأخوة والمساواة وتضحية الحياة المادية فى سبيل الله . »

ثم كتب مرة أخرى عام ١٩٠٨ فى خطاب له إلى فريدول خان ودلبكو (Fridul Khan Wadelbekow) :

« إن تعاليم البابية التى خرجت لنا أصلا من الاسلام قد تطورت تدريجيا على يد بهاء الله حتى أصبحنا حيالها أمام أعظم شريعة وأطهرها . »

من هذا ترى أن السبيل قد عبدت شيئا ما لعبد البهاء قبل أن يأتى بذاته ليبذر فى الغرب بذوراً ستؤتى أكلها فى تمام الوقت ـ كما أكد ـ سلاما لألف عام . وكان ما أحرزه هو أن جعل الحركة أقرب منالا ، وأوضح معالم ، وغدت مستعدة لأن ينفخ فيها من روحه ؛ ويوجه اتجاهها وتقدمها فى المستقبل . ويبدو أن تأثيره ـ باعتباره الروح ـ قد جاوز مستمعيه ودائرة اتباعه المخلصين . فان بعض المبادىء التى وضعها بهاء الله ما بين العام الستين والسبعين من القرن الماضى ، والتى حملها عبد البهاء فى رحلاته التبليغية قد أساغتها العقلية الغربية ،واعتبرت من خير الآيات على أطيب ما فى روح العصر الحديث .

وكذلك دبج كثيرون ممن لا ينتمون بصلة إلى الجامعة البهائية مقالات ممتعة عن المثل العليا للدين البهائى وأعمال البهائيين . ومن بين هؤلاء الكتاب الدكتور ج . كارينتر فى كتابه «الدين المقارن» Comparative Religion ص ٧٠ – ٧١ ، وصاحب الغبطة ج . بنسول دافيز فى «عصبة الأديان» League of Religions (لندن) ، وشارلز بدوين فى «دراسات معاصرة» Contemporary Studies، و هـ . س. لوكاش فى «غرة الشرق» The Fringe of the East ؛ والسير فرانسيس يونجهز بند إذ يتكلم فى « إشراق المبشر لبهاء الله » The Glean of Baha'u'llah's forrunner فيقول :

« كذلك فى الثلاثين من العمر فقط انتهت حياة البطولة لرجل إلهى حق . وكيفية موته أصدق شاهد على اعتقاده الراسخ بأنه هو الموعود الإلهى ، فقد ضحى بحياته مختاراً ، معتقداً بأنه بذلك ينقذ الآخرين من معتقداتهم الفاسدة آنذاك . وأقوم برهان على جاذبيته هو إخلاص مئات بل ألوف من الناس وتضحيتهم بحياتهم . ولم يكن هو نفسه إلا حرفاً من ذلك الكتاب الأعظم ، وقطرة من ذلك البحر الخضم الذى سوف يكشف عن الحقائق المكنونة والأسرار الغامضة عند ظهوره . وكان لهذا التفانى الذى أظهره فى سبيل من بشر به الأثر البالغ : فقد اشتدت حركته وانتشرت ، ولا تزال تنتشر مسرعة إلى مستقبل عظيم .

وقد استطاع خلال سنوات رسالته الست ـ التي قضى أربعا منها سجينا ـ أن ينشر دعوته في إيران جميعا، ثم انتشرت حركته من بعده إلى تركيا ومصر والهند بل وأوربا وأمريكا . ويعد أتباعه الآن بالملايين . »

على أن الأثر الذي خلفته رحلة عبد البهاء إنما يتجلى في تقوية الروح البهائية وتوسيع دائرتها والترويج لها . وقد تكونت جماعات من الطلاب في انجلترة وفي أماكن أخرى من أوربا ، لدراسة مبادئ بهاء الله الدينية والاجتماعية وتنميتها ، وبدأت الكتب والمجلات البهائية تنتشر وتتضخم . وأفيد هذه الكتب التي كتبت إلى يومنا هذا في الدين البهائي هو « بهاء الله والعصر الجديد » الذي كتبه الدكتور إسلمنت الاسكتلندي . ولعل أنشط العاملين في الدين البهائي في هذا الجانب من الأطلسي هو الأستاذ أوجست فورل Auguste Forel ، الذي جعلت دعايته المتحمسة اسم بهاء الله معروفا في سويسرة أكثر مما هو معروف في أي قطر آخر في أوربا ، فقد كان مفكرا حرا جبارا . فلما وضعت الحرب أوزارها واحتك بالبهائيين قال : « إن مبادئهم تتفق مع دياتي العلمية في الخير الاجتماعي اتفاقا جعلني أنصرف عن تلك لأصبح بهائيا » (طريق الثقافة The Way of Culture.) . وفي عام ١٩٢٣ أنشأ أول مركز بهائي في سويسره، وكرس السنوات الأخيرة من حياته الطويلة في الترويج للدين البهائي راجيا لمستقبله الآمال الكبار ، قال : « إنه دين الخير الاجتماعي

البشرى الحق . . . لقد أصبحت بهائيا . فليعش هذا الدين ، وليزدهر لصالح الإنسانية ، فهى هذا أمنيتى الحارة . »

ويمكننا أن نتأكد من انتشار أتباع البهائية فى أنحاء العالم فى وقتنا الحاضر ، ونفوذ جاذبيتها الخاصة ، وطبيعة نشاطها ومداه إذا ما أمعنا النظر فى المجلد الرابع والأخير من كتاب العالم البهائى الذى يصدر كل عامين سجلا رسميا للحركة البهائية . ويجدر بالذكر أن أثبت أن كثيرا من هذه البيانات المذكورة مقتبس منه .

ومنه يتضح أن الدين البهائى قد تأسس فى أكثر من أربعين دولة ، وله مراكز منظمة فى ألبانيا ، وأستراليا ، والنمسا، والقوقاز ،و بلجيكا ، والبرازيل ، و بلغاريا ، و بورما ، وكندا ، والصين ، وتشيكوسلوفاكيا ، والدانمرك،وجزر الهند الهولندية ، ومصر ، وفرنسا ، وألمانيا،و بريطانيا، وجزر الهاواى ، وهولندة ، وهنغاريا ، والهند ، والعراق ، و إيطاليا ، واليابان ، و يوغوسلافيا ، ونيوزيلندة ، والنرويج ، وفلسطين ، و إيران ، والفليبين ، و بولندة ، وروديسيا ، وجنوب أفريقيا ، والسودان ، والسويد ، وسويسرة ، وسوريا ، وتاهيتى ، وتونس ، وتركيا ،وتركستان ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وجزر الهندالغربية .

وقد طبع كتاب « بهاء الله والعصر الجديد » فى أكثر من خمس وعشرين لغة ، واتخذت التدابير لظهوره فى عشر لغات أخرى .

وفى كل هذه الأوساط ، وبكل هذه اللغات يروج غرض التوفيق العام والسلام فى ربوع العالم طبقا للمبادئ التى وضعها بهاء الله . والواقع أن البهائيين لا يتدخلون فى المسائل السياسية. فهم لم يمسوها فى هذا الكتاب ولا فى غيره من الكتب . فمجالسهم ومحافلهم « روحانية » يعنون فيها بالأمور الروحيــة والإنسانية ، ورائدهم الأول هو نشر الرسالة البهائيــة ، وترويج الخير والسلام ، وتحقيق وعد الله بأن يفرغ روحه على كل الأجساد . ومن عدة سنوات خلت نشرت أميرة انكليزية الأصل – وهى ملكة رومانيا – تلخيصا للأمر طبع فى كندا ، فقالت :

« . . . ياجمال تلك الرسالة التى جاءنا بها بهاء الله وابنه عبــد البهاء اللذان لم يشاهاعنوة واقتدارا لعلمهما أن بذور الحقيقة السرمدية الكامنة فى تعليمهما لابد أن تتأصل فى النفوس، وأن تتمكن فى الأفئدة والقلوب، وتنتشر فى كل الآفاق . . . هى رسالة المسيح استؤنفت من جديد ، وفى عين بردها اللفظى. إنهـا أكثر ملاءمة لعصرنا الحاضر الذى يفصلنا نحو الألف سنة ونيف عن السنة الأولى التى ظهر فيها السيد المسيح . . . فإذا ما طرق أسماعكم اسم بهاء الله أو عبد البهاء فلا تنبذوا تعاليمهما وراء ظهوركم، بل اجتنوا كتبهم واجعلوا كلماتهم البهية الحاملة للسلام ، والفياضة بالحبة ، والمفعمة بالعظات تنفذ إلى أعماق قلوبكم كما نفذت إلى أعماق قلبى واستقرت فى صميم فؤادى . »

وإن هذا الكتاب ليستفتح بمأثرة جديدة من جلالتها عن جمال الكتب البهائية وقوتها ، فتقول :

« إن التعاليم البهائية تجلب السلام والفهم . إنها أشبه شيء بصدر واسع يضم إليه كل أولئك الذين طال بهم البحث عن ألفاظ الأمل . إنها تعترف بكل الأنبياء الكرام السالفين ؛ ولا تهدم عقيدة من العقائد ، وتترك كل الأبواب مفتوحة على الوجوه .

« لقد أحزنني النزاع المستمر بين المؤمنين بمختلف العقائد، وأجهدني ضيق كل فريق بالآخر ، فاكتشفت في البهائية روح المسيح الحقيقية التي طالما أنكرها الناس ،وأساءت فهمها ؛ فهي الاتحاد بدلا من الاختلاف والأمل عوضا عن القنوط ، والمحبة مكان البغض ، وعودة الطمأنينة الكبرى إلى النفوس . »

وقد تأثر جمع غفير من المنتمين إلى الكنائس المسيحية (الذين لا يقلون حماسة ولا إخلاصا واعترافا بجميل التقاليد العالية التي نشئوا عليها) بعرض عبد البهاء للحقيقة للمسيحية . فشعروا بأنه يتكلم عن عقيدة جديدة ، وقوة عجيبة ، وأنه قد أحب المسيح حقيقة ؛ وأنه تحمل في سبيل أبيه السماوي أمر الاضطهاد ، وتقبله في سعادة فائقة ونشوة جبارة . وكان لكلماته الرقيقة المتسامحة لون من القدرة العجيبة على النفاذ والإخصاب ، تنفذ بهما إلى أعماق القلوب لتثمر أوفر الثمرات وأدومها ؛ كما فض لهم

رضه للأناجيل مشكلات قديمة . وتصدى لشكوك الحدثة فقندها ، فرد إليهم إيمانهم بالإنجيل كلمة الله وبالمسيح ابن الله : تلك العقائد التى حطت من شأنها الإلهيات الحديثة وعدوى العقائد الدخيلة . وكان وصفه لمقومات المسيحى الحق وصفا لايمكن أن تقبله أية هيئة من الهيئات المنظمة الراهنة فى غير احتياط ، إلا أنها تحققت من أنه قد يكون الأساس الفريد الذى يمكن أن يقوم عليه اتحاد دائم بين الكنائس المسيحية جميعا .

تفضل فقال : « أن تكون مسيحيا حقا هو أن تكون خادما لأمر المسيح وللملكوت ؛ وأن تمضى قدما تحت لواء محبته وسلامه إلى الإنسانية جمعاء ؛ وأن تكون مطيعا منكرا لذاتك ؛ وأن تنتعش بحقائق روح القدس ؛ وأن تكون مرآة تعكس نور قدسية المسيح ، وشجرة مثمرة فى جنات هى غرس يده ؛ وأن تنعش الدنيا بسلاف تعاليمه ؛ وأن تتشبه به فى جميع الحالات ؛ وأن تمتلئ بروح محبته . » ـ « ترويج السلام العالمى
Promulgation of Universal Peace. I,P. 4 ".

ولقد شعروا بأن فيه قوة روحية حقيقية فياضة قد تثبت أنها بدء نهضة دينية شاملة فى العالم المسيحى ؛ وأن تعاليمه كثيرا ما تساعد على بعث العقيدة المسيحية من جديد : الأمر المرغوب فيه أعظم الرغبة ؛ وتمنوا لو أن أناسا أقدر منهم تدبروا عرض عبد البهاء للأناجيل ، ونقلوا ذلك القول الذى جدد لهم الآمال هذا التجديد إلى الجماهير من إخوانهم .

كما أن إحساسهم بضرورة مثل هذا الإصلاح لم يوهنه يأسهم من الروح حين يشاهدون الاضمحلال السارب من كل جانب في العقائد المسيحية الأولى ، ولا حين يرون أن الكنائس القديمة ــ في أكثر من إقليم واحد ــ لم تتعرض للإهمال فحسب ، بل للانحطاط والذلة .

على أن هذه الرسالة لا ترمى إلى سرد أو جمع تعاليم عبد البهاء عن أمر المسيح . بل إنها تلتمس أن تعلى وتروج ، في هذه الأيام ، ذلك الأمر الذي أخلص له المسيح الحب ، ووهب له من لدنه البركة ؛ والذي أصبح اليوم من أهم أمور العالم : أمر السلام ، وبالأخص أمر التوفيق بين كنائس العالم المسيحي وشعوبه . فالرسالة تعالج الأمر من زاوية جديدة ، وتقدم دراسة من شأنها أن تربط بين قضية الاتحاد العامة وقضايا اليوم بعلاقات جديدة .

فالإعلان الذي استهل به عبد البهاء رسالته إلى الغرب وجعله أساسا لجميع خطبه ومحادثاته ، كان نفس الإعلان الذي أصدره بهاء الله : ألا وهو أن الله قد وفى في هذه الأيام بميثاقه القديم لبني الإنسان ؛ وأن النفوس تستطيع أن تتغير ــ عن طريقه ــ تغيرا سريعا كاملا ؛ وأن العالم يمكنه أن يحصل ــ عن طريقه ــ على السلام العام في هذا القرن العشرين ؛ فتتضافر كل أمم الأرض على تأسيس حضارة عالمية جديدة .هذا هو الموضوع الذي اتخذته لرسالتي التي بين يديك . ولقد

وحديث فى تأليفها الرجوع إلى الدين المسيحى بوجه خاص ؛ واصطنعت
فيها تعبيراتنا الغربية . وأملى أن تكون من الوضوح بحيث تعرض
تعاليم عبد البهاء فى جلاء وإخلاص .

وأية بشرى أسعد للعالم المكدود من ميلاد سلام طال الوعد به !
وهذا الذى يعجب من أن يرى البهائيين ـ الذين آمنوا بذلك ـ أشد
أهل الأديان تفاؤلا ، وأعظمهم أملا ، وأشدهم حماسة ، وأكثرهم
جهادا ؟ ولقد تبدو هذه البشارات لبعض الناس ـ أثناء هذه الفترة
التافهة من عصر متغطرس مفتون بنفسه ـ فى ضخامتها وعنفها متسمة
بسمة الغرابة والتحدى ؛ ولكن المرء إذا مد بصره إلى العالم المسيحى
وإلى غيره من الأمم فإن عينه تبكى ، وقلبه يتفطر حزنا حين يشاهد
هذا الاضطراب المحزن الذى يشمل النظم الاجتماعية والاقتصادية فى كل
مكان ، ويرى ذاك الإعراض عن الدين ، ويلحظ ذلك الحط المستمر
من قدر الرحمة والنبل والفضيلة البشرية الخلاقة ، ويشاهد هذا الفشل
الخائف لكل محاولة يراد بها تبديل أو تلطيف تلك النزعات الظالمة
المرقة التى تتهدد الكيان البشرى بأسره بالدمار العام . ولقد يتساءل
المرء مستريبا ، وهو يرى هذا كله : « أتستطيع صيحة تقل فى دويها
عن صيحة إسرافيل فى الصور معلنة مجىء الله السريع أن توقظ الإنسانية
من هذه الغفلة المميتة ؟ »

وعسى حلم الاتحاد الإنسانى الجوهرى ألا يمضى — بفضل الله — غير ملحوظ ؛ بل عساه أن ينفث معنى جديدا للقوة ، وثقة جديدة بالنصر فى هؤلاء الذين يحبون الله وسلامه ؟

چورج تاوزند

الفصل الأول

قصة الإنسانية

كشف بهاء الله الغطاء عن منظر رائع للتاريخ البشرى : قصة كتبتها يد العناية تجرى فى طريق مرسوم إلى نهاية تحددت طبيعتها من قبل أن تبدأ الرواية ، وضرب لها المؤلف ميقاتا لايستطيع عدم الادراك البشرى ولا المقاومة المغرضة أن تؤجله .

فبين أن التاريخ البشرى كان — على مداه الواسع الكامل — وحدة كاملة واضحة متصلة الحلقات ، متركزة حول مطلب واحد ، ترمى إلى غاية عامة . فمنذ الدور الأول حتى يومنا هذا ، بل حتى نهاية الدور البعيد ، مازال هناك مطلب رئيسى ينقض على درجات معلومة . ومازال المسرح الذى تمثل عليه أحداث القصة هو العالم بأسره بقاراته ومحيطاته . وما من جنس ، ولا أمة ، ولا قبيلة ، ولا فرد من الأفراد إلا له مكان معين فى الكشف عن هذا التدبير الالهى العظيم .

إن عقيدة وحدة تاريخ العالم تقوم من تعاليم بهاء الله مقاما أساسيا . ولكن بهاء الله كان أبعد من أن يكون أول من كشف عنها أو بشر بها من بين مظاهر أمر الله . فإن «هؤلاء الأنبياء الذين كانوا منذ بدء الخليقة» هم ومن دونهم في مقام التنبؤ والالهام قد أبدوا منها للجنس البشري لمحات ونتفاً ، ولوحوا بها في رموز وأمثال . فهي في الحقيقة كامنة في كل أديان الجنس البشري التاريخية ، بل إنه ما من دين قائم يمكن أن يفهمه الناس حق الفهم إلا إذا فهموا هـذه العقيدة على نحو ما . غير أن بهاء الله كان أول من أكدها ، ونبه عليها ، ووسع مفهومها ، وأظهر خوافيها ، وأوضح غوامضها في عبارات سهلة واضحـة . ذلك لأن بها يقوم معنى مجيئه ؛ وعليها يرتكز سنوح الوقت المناسب لاصلاحاته الانسانية ؛ وحولها تدور تعاليمه في أهداف العناية الالهية وطرقها في تربية البشر .

إذاً فالخطة خطة تنفذها إرادة الله وتتعهدها عنايته ، ولها في حبه الخير لعباده أصل متين . وغايتها أن تشب شعوب الأرض على الحياة معاً ، وأن تعمل في وفاق ووئام حتى تستحدث بعناية الله ورعايته حضارة عالية تجد فيها كل المواهب البشرية الحرية المطلقة الكاملة للتعبير عن نفسها . وما بلوغ هـذه الغاية — في نظر المؤلف الأعلى — إلا افتتاحا للحركة الأساسية في التاريخ البشري ، وما الحوادث التاريخية الأولى السابقة إلا ضربا من المقدمات ، ولوناً من الدرجات المتواليـة في معراج مديد ،

ونوعا من الأسباب المؤدية إلى نتيجة مرجوة مرموقة . ومهما يكن من أهمية هـذه المقدمات ، فان وجه الأهمية لا ينحصر بأكمله فيها ، بل إنه مداها إلى حقيقة أخرى ، وهى أن هذه الأسباب تسير قدماً إلى غاية فوق حد الادراك ؛ وأنه لولا هذه الغاية لما كانت هذه المقدمات .

ولا يمكن أن يقال بأن مدرسة من المدارس الفكرية الدنيوية قد ألفت ـ فى نظرتها إلى التاريخ البشرى العام ـ مثل هذا الرأى العريض القائل بوحدة تتضح تدريجاً . كما أنه لا يمكن أن يذهب إلى أنها اتخذت ما يشبهه . فانه لم يكن من اليسير على عقول البشر فى العصور الماضية أن تسيغ أمثال هذه الحقائق العظيمة . وطالما أن العلم الدقيق بأحوال الأمم البائدة قد عسر على العلماء ، كما عسر عليهم العلم الدقيق بالواقعات الماضيات ، فان مثل هذه العقيدة سيظل بالقياس إليهم أشبه شىء بالأفكار المجردة التى ليس لها وجود مادى . وحتى اليوم ـ وقد كثرت التواريخ البشرية المحضة ـ فان التواريخ التى تعرض القصة بأكملها باعتبارها قصة محكمة متسقة (كأنها قصة دقيقة الوضع) هى فى الغالب قليلة بالفعل .

على أن الأمر يختلف عن ذلك فى عالم الدين . فان تساوق الأحداث الانسانية ، وخضوعها إلى إرادة أقوى من إرادة الانسان وبصيرة أصفى من بصيرته ، ونزوعها إلى غاية سبق بها القدر فكرة موجودة فى أكثر من وحى وأكثر من إلهام . بل لقد قيل إن كل مؤسس لدين من

الأديان العالمية قد ذكرها وقال بها . وهي إن لم يتكامل لها في أي عصر من العصور السالفة ما تكامل لها الآن من الكمال البالغ والمتمة القوية؛ أو لم تعالج في وضوح كما عالجها الآن بهاء الله فإنها لم تكن في يوم من الأيام خافية بتمامها على الانسان . لأن لها في الكتب المقدسة أو الحديث مراجع تظهر بكل وضوح وجلاء أن هذه العقيدة كانت جزءا من المعرفة الدينية البشرية العامة . إلا أنها لم تحتل بحال من الأحوال من تعاليم الأنبياء الكرام المنزلة الكبرى التي احتلتها من تعاليم بهاء الله . ولقد أشار المسيح إلى الحقيقة العامة من أن الله قد قدر الأحداث البشرية قبل أن تتخذ من الأرض مسرحا بأجيال طوال (كمثل المؤلف المسرحي الذي يتم مسرحيته قبل أن تعرض على المسرح) حين قال بصدد اليوم الآخر وصحته « أدخلوا في الفرح الذي أعده لكم الأب قبل بدء العالم » . وفي مواضع أخرى كثيرة أشار الرسول بولس إلى الحقيقة نفسها . فهو يقول مثلا : « كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم »(١) كما أشار إليها بطرس الذي تكلم بنغمة مشابهة عن معرفة الله الأب السابقة فقال : « علم الله الأب السابق .... الآية . »(٢)

وكذلك جاء سيدنا محمد مصدقا للحقيقة نفسها حين قال إن الله خلق

---

(١) رسالة بولس الثانية إلى أهل أفسوس ص ١ ى ٤ .

(٢) رسالة بطرس الأولى ص ١ ى ٢ .

أول ما خلق القلم ثم قال له : « اكتب » فقال القلم : « ماذا أكتب ؟ »
قال له الله : « اكتب قدر كل شيء يخلق » فكتب القلم كل ما كان
وكل ما سوف يكون إلى الأبد .

وأخص من هذا وذاك زرادشت الذى قال بتدرج البشر فى الكمال
تدرجا خاضعا لقانون إلهى ، مستظلا بظل عناية إلهية توجه التاريخ إلى
غاية إن بدت بعيدة إلا أنها محققة . ومنذ تاريخ غير معلوم ، كانت قصة
الخلق الاسرائيلية ، وهى أن الله خلق الدنيا فى سبعة أيام ، إشارة إلى
التقدم الدينى الذى ينتهى بإظهار غاية الله فى اليوم السابع : أى فى يوم
البلوغ والكمال والراحة . وقد بشر النبى من أنبياء بنى إسرائيل ــ وقد
طار بقوادم الالهام إلى عوالم الخلد ــ ببعض خصائص يوم الله البعيد ،
ذلك اليوم المقدور الدقيق فى تاريخ العالم . فيتحدث عن نبوءته بعبارات
التمجيد ، دون أن يدرك كل ما رأى الادراك الكامل ؟ ودون أن يقيس
الآماد التى تفصل بينه و بين تحقيقه . فيصيح أشعياء :

« ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس
الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه كل الأمم ، وتسير إليه شعوب
كثيرة ، ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب ، إلى بيت إله يعقوب يعلمنا
من طرقه ، ونسلك فى سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ، ومن

أورشليم كلمة الرب فيقضي بين الأمم ، و ينصف شعوبا كثيرين، فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل . لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد[١] . »

أو يصيح زكريا : « هو ذا يوم الرب يأتى . . . و يكون الرب ملكا على كل الأرض . فى ذلك اليوم يكون الرب وحده ، واسمه وحده[٢] . »

أو يوئيل :

« لأن يوم الرب قادم . . . لم يكن نظيره منذ الأزل ولا يكون أيضا بعده إلى سنى دور فدور . . . فتأكلون أكلا وتشبعون وتسبحون اسم الرب إلهكم الذى صنع معكم عجبا . . . ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم و بناتكم ، ويحلم شيوخكم أحلاما ، و يرى شبابكم رؤى ؛ وعلى العبيد أيضا ، وعلى الاماء أسكب روحى فى تلك الأيام ، وأعطى عجائب فى السماء والأرض . فتتحول الشمس إلى ظلمة ، والقمر إلى دم قبل أن يجىء يوم الرب العظيم المخوف . و يكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو[٣] . »

وقبل ميلاد المسيح بأكثر من خمسة قرون ، رسم كنفشيوس فى

---

(١) أشعياء : ٢ ــ ٤ .

(٢) زكريا : ١٤ ى ١ ، ٩ .

(٣) يوئيل : ٢

كتابه « الربيع والخريف » معالم خطة التاريخ المرسومة فى عبارات إن بدت موجزة إلا أنها واضحة .

فقسم التاريخ إلى مراحل ثلاث : فى المرحلة الأولى ــ التى سماها مرحلة الفوضى ــ كان العقل الاجتماعى فطرياً ؛ وكان التمايز بين وطن الرجل والأوطان الأخرى شديداً . ومن ثم كانت العناية منصبة على الوطن أكثر مما هى على غيره . وفى المرحلة الثانية ــ التى سماها مقدمة السلام ــ كان التمايز يقوم بين البلاد المتحضرة من جانب وغير المتحضرة من جانب آخر ، فاتسع مدى الحضارة واشتدت الصداقة بين الأمم توثقا ، واستطاعت الأمم الصغيرة أن تسمع الأمم الكبيرة صوتها بما تريد . وفى المرحلة الثالثة والأخيرة ــ وهى التى يسميها بالسلام الأعظم ــ انعدم التمايز بين أمم الأرض ، وعم العدل ، واتحد العالم ، وأصبح الكل متحضرين ، وصاروا سواسية .

أما المسيح فقد أطنب فى كلامه عن اليوم الآخر (وكان يسميه ملكوت الله) ، وعن اقترابه الحثيث فقال : « قد اقترب ملكوت السموات » . وهو وإن لم ينبه كما نبه كنفشيوس على الجانب التاريخى من هذا اليوم الدقيق ، إلا أنه نذر بأنبياء بنى إسرائيل فتكلم عن مجيئه الفاجىء ، وعما سيعانيه الناس آنذاك من اضطراب وفتنة . وذلك لأن

تفصيلا وافيا لما قدر للجنس البشرى من تقدم ومصير كان يبدو ـ حتى فى عصر متأخر كعصره ـ أمراً سابقا لأوانه . لذلك احتفظ بالصورة التامة لهذه الحقيقة من بين تلك الأمور الأخرى التى كان عليه أن يقولها لتلاميذه ، ولكنهم لم يكونوا قد بلغوا بعد ذلك المقام الذى يتيح لهم احتمالها .

أما الآن وقد سنحت فرصة جديدة ، وأخذت البشرية تعانى عللا جديدة ، وتواجه مشاكل جديدة ، وتستهدف لأخطار جديدة فقد اضطر الأمر إلى معرفة جديدة . وإن ذلك الذى عين من قبل بدء الخليقة تاريخ بلوغ النوع البشرى ـ الذى لم يكن قد خلق بعد ـ غاية طريقه ؛ وحدد الموعد الذى تبلغ فيه قوى الإنسان أشدها قد أعلن الآن أن أجل الميعاد قد حان . وإن ذلك الذى أخذ لشعبه على نفسه عهدا وثيقا فى الأزمان الغابرة السحيقة ، ووعدهم بأن يدخلهم جميعا فى ملكوته فى عصره المجيد قد بر لهم فى هذا العصر بعهده القديم وصدقهم وعده بأكمله .

وعصرنا هذا هو عصر الله المجيد . ويومنا هذا هو اليوم الذى تغنى به الأنبياء والرسل منذ الأزل . أشرق فيه بهاء الله كاملا على العالم من الشرق إلى أقصى الغرب وعلى حين غرة ، وعلى غفلة وبدون ترصد ـ كما قال المسيح تماما .

تنفس فجر يوم الرب ففتح الله للناس ـ وقد بر بوعده ـ أفقاً جديداً من الحياة والعمل ، ووهب لهم قوى جديدة وحملهم تبعات جديدة .

وطالبهم بالانضواء بسرعة تحت لواء هذا النظام الجديد ، وإعداد أنفسهم لهذه الحياة الأسمى شأواً .

ويتسنى للمرء أن يلم بطبيعة هذه التبعات التي ستوضع على عواتق البشر إن هو قرأ كتابات أنبياء بني اسرائيل قراءة كريمة . فقد كتب هؤلاء الأنبياء ـ كما يكتب الشعراء الملهمون ـ بعقول متجهة نحو الله ، وقلوب مستنيرة مشتعلة بالإيمان . غير أنهم لم يستطيعوا ضبط الرؤى التي أتيحت لهم ، بل لم يمكنهم أن يستكملوها أو يضعوها في بيئتها ومجالها ، ولا أن يلائموا بين معانيها ، ولا أن يحسبوا السنوات التي ينبغي أن تنصرم قبل أن تهبط تلك الرؤى من العالم العلوي الذي رأوها فيه إلى عالم الشهادة والواقع . فإذا قرأت كتاباتهم بهذه الروح كما قرأها المسيح والانجيليون تجلت لك صورة واضحة جريئة للتقدم العالمي الذي كان عليه أن ينتظر ساعتنا هذه منذ بدء الخليقة .

والصورة صورة حيرت العقل المسيحي وفتنته وأذهلته . والرؤيا رؤيا أثرت في الأولياء والقديسين تأثيراً عميقاً . وهم يكتبون ـ أو يرتلون ـ في لحن من الإجلال ترتيلا تتجاوب أصداؤه على ممر السنين : نلمسه في إيمان سفر الرؤيا ، كما نلمسه في إحساس المسيح الحزين ـ الذي لا يقل حرارة ـ حين يتنبأ بقدومه الثاني . كما أن للمناظر والأهوال الغريبة والعجائب التي تتراءى في الصورة لا تكاد في مظهرها المفزع تقل عن

التباين الصارخ فى تلك الألوان التى لونت بها : فهذه جهنم ممتدة حتى لكأنما هى متصلة بأبواب الجنة ؛ ولكأنما لضلالة والهدى ، واليأس والنصر ، والبؤرة المظلمة وتجلى شمس الله فى ماهيته ، لكأنما لكل ذلك مكانه هنا ! وما أعظم ذلك الجهد الذى يبذله الانسان ليعود حيا ، فيرث وعد كل العصور خلال لون جهنمى من التطهير !

لم تكن الواقعة التى تنبأ بها أنبياء بنى إسرائيل واقعة منعزلة ؛ بل كانت حلقة من بين حلقات : كانت اليوم الأخير لأيام عديدة . ولكنها فاقت كل ما قبلها حتى أنها لتبدو ممتازة عظيمة : فاق جلالها كل جلال ، وبرع سناؤها كل رونق وجمال ، وبذت بركاتها كل البركات بحيث يرى الناس أنفسهم فى عالم جديد لا يذكرون شيئا عن الماضى ، لأن ذلك الماضى قد زال وانقضى . وما أكمل ذلك الإلهام الذى سوف يتسمح به الله فى اليوم الآخر ! وما أبهى ذلك التجلى الأعظم الذى لن يستطيع الظلام ولا الإثم أن يثبتا حيال سلطانه ؛ سيعم نوره الأرض من الشرق إلى الغرب ويستقر فى كل بقعة من بقاع العالم ؛ ويصبح الجنس البشرى واحدا ، وينتظم حول سلطة مركزية واحدة يعترف بتعيينها القدس ؛ وينضوى العالم تحت قانون واحد لا تنعدم فى ظله مقومات القومية ، لأنه بينها تتلاقى الأمم المختلفة على قدم المساواة العامة تحتفظ كل واحدة منها بشخصيتها ؛ وتستوى كل الشعوب والأجناس فى العلاقة العامة بينها ؛ ويوحد بين قلوب

البشر دين عالمي واحد ، ويكون النوع الإنساني محفلا واحدا يعترف فى كل مكان بإله فرد واحد متصف بالصفات نفسها موسوم بالاسم عينه ، ويهمى على العالم مجد الله العلى الأعلى فى منتهى العزارة والعظمة ، وتصبح الهبات الروحية التى كانت من نصيب القليل الموهوب منحة للكثيرين ؛ ويتخلى الناس عن الحرب ، وتنصرف همم هؤلاء الذين كانوا يصنعون آلات التخريب والتدمير إلى عمل الخير والإحسان حتى ينعم أهل العالم فى بيوتهم وخيراتهم بالطمأنينة والسلام .

(أنظر أشعياء ٢ : ٢ — ٤ ، أشعياء ١٥ : ١٧ — ٢٥ ، زكريا : ٩ : ١٠ ، زكريا ١٤ : ٩ ، زكريا ٨ : ٢٠ وما بعدها ، وصفنيا ٣ : ٩ ، وميخا : ٤ : ١ — ٥ الخ) .

وهكذا كان تصوير الأنبياء لأحوال العالم فى اليوم الموعود . وهذه ـ كما يعتقد البهائيون ـ هى التغييرات التى يجب على الإنسان أن يعمل لها الآن .

كان بهاء الله على علم سابق بالأزمات والصعوبات التى ستواجه العالم ، فوهب للبشرية منذ نصف قرن[١] ، ذلك العلم الذى يعينها على تحمل التبعات الجديدة التى تلقى على عاتقها . فهو لم يضع منهج الإصلاح وحده

---

(١) كتب المؤلف كتابه عام ١٩٣٥ .

وحسب بل نبه ـ فى دقة لم يكن لها مثيل من قبل ـ على الأخوة البشرية ، وفسر تقدم وحدة الجنس البشرى منذ طفولته إلى يومنا هذا .

وبين أن التاريخ واحد فى كل نواحيه ، واحد فى كل تكوينه ، واحد فى جميع خطواته . فالجنس البشرى كان خاضعا منذ البداية لقانون واحد للترقى ، وكان يتقدم ـ عصرا بعد عصر ـ وفقا لمبدأ واحد لا يتغير ، وطبقا لطريقة واحدة لا تتغير ؛ وكان فى كل حركة من حركاته يعتمد على مصدر واحد وأصل واحد ، ويتجه إلى هدف واحد . ففكرة توحيد العالم لم تأت عفو الساعة ، ولم تكن محتاجة فى إتمامها إلى معجزة خارقة ، بل كانت خاتمة طبيعية لتطور مستمر منذ بداية الخلق . ولكل دين من الأديان العالمية مكانته ومنزلته فى هذا التطور المديد . ذلك لأن كل مرحلة من مراحل هذا التطور قد تمت على يد رسول من رسل الله الأكرمين وفقا لمبدأ واحد ، شاهدة بناحية من نواحى هذه الحقيقة التى لا تتجزأ . ولم يكن هناك دين يدعى لنفسه أنه ختم هذا التطور ، أو أنه قد استنفد الحقيقة كلها . بل كان كل دين من الأديان يقر بالتقدم ، ويدعو له . فإذا كانت الأديان جميعا قد جاء كل منها محققا غاياته برعاية الله وعونه ، فإنها جميعا لا تتباعد فيما بينها بحال من الأحوال . بل هى على النقيض ، تتقارب وتتقارب حتى تصير آخر الأمر دينا واحدا عاما . ولئن كانت الفكرة العليا للأديان جميعا متباينة مختلفة حسب النشأة والتطور

فإنها كامنة فى جوهر كل واحد منها . وهذه الفكرة العليا هى الدين العالمى ، وهو ثمرة كل ما تقدم وكماله . فكل من يتقبله عند ظهوره لن ينكر لعقيدة آبائه الأولين ، بل يؤكدها و يتقبل كل الديانات السماوية فى وقت معا ، وحينما يعلم الناس حقيقة تاريخهم العام ووحدتهم الحيوية يمكن — كما يقول بهاء الله — أن يشاد على هذه المعرفة هيكل السلام القادم ، وصرح الحضارة المقبلة .

الفصل الثاني

الظهور الإلهي

لم يملأ بهاء الله الثغرات والفجوات في معالم التاريخ العالمي الذي رسمه الأنبياء الأولون فحسب ، بل إنه أظهر بوضوح المبادىء والوسائل التي بها يتحقق الكشف المستمر عن المنهج الإلهي . وهو يريد الناس على أن يقرأوا التاريخ من جديد ليتدبروا الوقائع الماضية على هدى جديد ، ويضموا شتاتها على علاقات جديدة ، وينظروا إليها نظرة تقدير جديد .

والوضع الذي يريد أن يأخذوه عند تدبر قصة البشرية هو نفس الوضع الذي أوصى به السيد المسيح كل إنسان بالقياس إلى حياته الخاصة . فإن حياة كل إنسان تبدو في تعاليم المسيح (دراما) تعمل فيها إرادتان : إرادة الإنسان ، وإرادة الله .

وأحرج أوضاع الانسان هو العلاقة الباطنة بينه وبين خالقه . فإذا

كانت خاطئة كان كل شيء خاطئاً ، وأفضى به سعيه جميعه إلى لا شيء . أما إذا كانت متسقة فإنه يتقدم في رعاية الله وصونه ، ويكون ثوابه محققا. وبهاء الله لا يريد من الإنسان أن يغير هذا الوضع عند نظرته إلى أمور العالم الأعظم شأنا ؛ لأنه حتى في هذه الأمور الأعظم شأنا نجد أن المطلب الأساسي واحد . ولكنه يريد من الانسان أن يعرف أن الأمر الحيوي لكل جنس وأمة بل لكل فرد من الأفراد إنما هو التعاون مع الإرادة الخلاقة والاستعداد لاتباع خطة الله الشاملة التي تهدف الى التقدم والبلوغ. وأما الاعتبارات الأخرى بالغة ما بلغت من الأهمية فإنها دائما أقل جسامة من هذا الأمر . فمن يتعلم عن المسيح وعن بهاء الله كيف يقرأ التاريخ قراءة صحيحة يتخذ وجهة النظر هذه مداراً لتفكيره ليرى كل الحوادث ــ مهما تقادم بها العهد ــ تدور حول هذا المركز الثابت الذي لا يتغير : ألا وهو مشيئة الله .

قد يكون من العسير أن نجد في كتب الآداب العالية المعتبرة شواهد وأمثلة لفكرة مثل هذه . بل قد يكون من سوء الحظ أن نرى كتب التاريخ المرموقة لم تكتب شيئا في هذا الموضوع ؛ وأن قليلا من الكتاب اصطنعوا في كتاباتهم عن تطور الجنس البشري مثل هذه النظرة. غير أن هناك كتابا قديما ذا شهرة فائقة باقية على الزمن يعرض مراحل التاريخ البشري من أولها إلى آخرها باعتبارها موجهة بقوة الله و إرادته

متخذة أشكالها على أيدى قادة البشر الذين لم يكن لهم من هدف إلا تحقيق رغبته وتنفيذ أوامره .

ومهما تسقط النقاد العاجزون الكتاب المقدس ؛ ومهما بلغ من قصور الكتاب الذين كتبوا عنه فإن نظرته الشاملة للنوع الانسانى نظرة الأنبياء ومرشدى الجنس البشرى . وهو يشهد بأبلغ ما فى فلسفة التاريخ من مثال باق قدمه بهاء الله .

بين بهاء الله (فى غاية من التساوق مع التعاليم المسيحية) أن تحقيق منهج الله ليس معتمدا فى شىء على حسن نية الجمهور الواعية ، بل على الجهود غير المشكورة التى قام بها صف طويل من النفوس العظيمة التى اختيرت وأوتيت من القوة ما يمكنها من أن تقوم بهذا العمل . تلك النفوس العالية ـ التى هى من البشر وإن كانت فوق مرتبة البشر ـ هى مفاتيح التاريخ : هى التى توحى بحركة التقدم بين النوع الانسانى وتقرر الأطوار المتعددة لتقدم البشر وهدايته .

ذلك بأن تقدم المدنية لا يمضى فى طريق تشابه تلك الطريق التى ينتهجها العلم فى تطور الحياة المادية . فالانسانية لا ترتقى فى الحكمة ولا فى السعادة عن طريق حافز من حوافز قوة مجهولة ، أو دافع من دوافع قدرة فطرية أصيلة . ما أبعد الأمر أن يكون كذلك ! إن الإنسان ابركن ـ فيما يسمو به عن مستوى الحيوان البحت ـ إلى مبدأ خاص

جديد لا ينتظم الدركات السفلى من الوجود . هذا المبدأ هو جزء من العملية الخلاقة ، وهو سبب لكل ما هو نبيل كريم فى الحياة . وهو فعال اليوم كما كان فعالا بالأمس منذ أيام آدم ؛ تركن إليه البشرية الآن لصالحها بقدر ما كانت تركن إليه فى الماضى .

هذا هو قانون الظهور الالهى فى مرتبة الوجود البشرية .

وإعمال هذا القانون هو القوة التى توجه التاريخ ، وتمضى به قدما . والدور الذى تلعبه إرادة الإنسان فى إكمال المدنية دور صغير . واعتماد الانسان على مشيئة الله أتم من أن يدركه جهله ، وأعظم من أن تعترف به كبرياؤه . فلولا تدخل الله فى أمور البشر لصارت الأرض — كما يؤكد بهاء الله — بؤرة للرغبات الدنيئة والشهوات العارمة ؛ ولبدا الانسان نفسه حيوانا من أحط الحيوانات وأخطرها ؛ ولما ظهر بالتاريخ (إن كان من الممكن أن يعد تقويم جنس كهذا تاريخا) أى تلاؤم أو معنى ؛ ولاستحال إعلاء النوع البشرى . ولولا إظهار الله نفسه فى عالم البشر بنفحات السماء لحرم الانسان القوة والارادة فى التقدم ؛ ولغلفت عقول الناس وقلوبها بظلمة جهنمية ، فلا حياة روحية ولا تأمل ولا حياة صادقة . ذلك بأن الله لا يحدو البشرية للأمام إلى غاية قدرها من قبل فحسب ، بل إنه كذلك ليهب لها القوة على اتباع أمره وإطاعته .

وهذه المعونة الالهية لا يهبها الله للناس مباشرة ، بل إنه يهبها لهم عن

طريق نفوس عالية يمدها بسلطان وقوة من لدنه ، ويضفى عليها كل صفاته . وتلك النفوس المقدسة التى تفوق مرتبة البشرية تمثل الله للانسانية . وعن طريقهم وحدهم ينعم الله على النوع الانسانى بأفضاله وعناياته ؛ وعن طريقهم وحدهم يمكن للناس أن يتقربوا إلى الله وأن يعرفوه . فالتوجه إليهم هو التوجه إلى الله ، والإعراض عنهم هو الإعراض عن الله ؛ لأن إدراك الله فى حقيقته وماهيته منيع محال .

« ومن الواضح لدى أولى العلم والأفئدة المنيرة أن غيب الهوية وذات الأحدية كان مقدسا عن البروز والظهور والصعود والنزول والدخول والخروج ، ومتعاليا عن وصف كل واصف وإدراك كل مدرك . لم يزل كان غيبا فى ذاته ، ولا يزال مستورا عن الأبصار والأنظار بكينونته : « لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » . لأنه لا يمكن أن يكون بينه وبين الممكنات بأى وجه من الوجوه نسبة وربط وفصل ووصل أو قرب وبعد وجهة وإشارة ؛ لأن جميع من فى السموات والأرض قد وجدوا بكلمة أمره ، وبعثوا من العدم البحت والفناء الصرف إلى عرصة الشهود والحياة بإرادته التى هى نفس المشيئة ... إن جميع الأنبياء والأوصياء والعلماء والعرفاء والحكماء قد أقروا بعدم بلوغ معرفة ذلك الجوهر الذى هو جوهر الجواهر ، وأذعنوا بالعجز عن

العرفان والوصول إلى تلك الحقيقة التى هى حقيقة الحقائق[١] » .

وما دام الغرض من الوجود – كما يقول بهاء الله – هو ظهور الكمالات الالهية الكاملة فإن الله يرسل نفوسا مقدسة هم مجالى ظهوره وفيهم ينعكس جلاله فى عالم البشر كما ينعكس النور فى المرايا الصقيلة :

« قد أظهر بين الخلق جواهر قدس نورانية من عوالم الروح الروحانى على هياكل العز الانسانى كى تحكى بتمامها عن شمس الوجود وجوهر المقصود . فمثلا علمهم من علمه ، وقدرتهم من قدرته ، وجمالهم من جماله وظهورهم من ظهوره . وهم مخازن العلوم الربانية ، ومواقع الحكمة الصمدانية ، ومظاهر الفيض اللامتناهى ، ومطالع الشمس السرمدية كما قال : لافرق بينك و بينهم إلا بأنهم عبادك وخلقك[٢] » .

وكذلك تكلم الباب مبشرا بالسلطان الالهى الذى يظهره الله فقال :

« إنه هو الذى ينطق فى كل الأحوال : إنى أنا الله لا إله إلا أنا رب كل شىء ، وأن ما سواى مخلوق بأمرى ، واياى فاعبدون » .

وقد أعلن الباب عن عبوديته فقال : « وأنا أول العابدين » .

وعندما سئل عبد البهاء أن يبين قوة المظاهر الإلهية قارن تأثيرهم فى النوع الإنسانى بالشمس وتأثيرها فى الأرض والكواكب فقال :

---

(١) إيقان : ص ٦٦ من الترجمة العربية .

(٢) إيقان : ص ٦٧ من الترجمة العربية .

« أنظروا فى عالم الوجود أى الكائنات الجسمانية تجدوا أن المجموعة الشمسية مظلمة قاتمة ، والشمس فى هذه الدائرة هى مركز الأنوار ، وجميع السيارات الشمسية طائفة حولها ومستشرقة من فيوضاتها . فالشمس هى سبب الحياة والنورانية ، وعلة نشوء كافة الكائنات ونموها فى الدائرة الشمسية . ولولا فيوضات الشمس فى هذه الدائرة لما تحقق وجود كائن حى ، بل لأظلم الكل وتلاشى . إذا صار من الواضح المشهود أن الشمس مركز الأنوار وسبب حياة الكائنات فى الدائرة الشمسية . فكذلك المظاهر المقدسة الإلهية هم مركز أنوار الحقيقة ومنبع الأسرار ومفيض المحبة . يتجلون على عالم القلوب والأفكار ويبذلون ويفيضون بالفيوضات الأبدية على عالم الأرواح ، ويهبون الحياة الروحانية ، ويتلألأون بأنوار الحقائق والمعانى . فاستضاءة عالم الأفكار إنما هى من مركز تلك الأنوار ومطلع تلك الأسرار . فلولا فيض التجلى وتربية تلك النفوس المقدسة لكان عالم النفوس والأفكار ظلمة فى ظلمة[1] » .

ويشهد الكتاب المقدس بالحقيقة نفسها حين يعرف علاقة موسى بهارون فيقول : « وأنت تكون له إلها[2] » ، ثم يشهد بها مرة أخرى فى يوحنا ١٤ : الخ حين يعلن المسيح : « أنا هو الطريق والحق والحياة .

(١) مفاوضات عبد البهاء : ص ١٤٢ من الترجمة العربية .

(٢) خروج ٤ : ١٦ .

ليس أحد يأتى إلا بى ... الذى رآنى فقد رأى الأب . صدقونى إنى فى الأب ، والأب فى ».

تلك النفوس المقدسة تقف بين المنظور وغير المنظور ، وتتوسط بين الحق والخلق مشاركة فى الطبيعة الإنسانية وفى الطبيعة الإلهية على حد سواء . فهم بما لهم من هيئة جسمانية وطبيعة عنصرية بشرية يكون ظهورهم فى هذا الهيكل الجسمانى خاضعا لناموس الزمن . فقد أتى وقت لم يكونوا فيه موجودين بالجسد . ولكنهم فى حقيقة جوهرهم ، ومقام أبوتهم التى يشير إليها المسيح بقوله : « الأب فى الابن » ، ومقام كلمة الله يسمون عن البشر ويتسمون إلى نظام غير نظام البشر . فهم فى مقام لا يبلغه العقل ، وفى مستقر لا يحوم حوله التصور . ومهما بلغ الإنسان من طهر وقداسة ، فإنه لا يمكنه ــ بأية حال من الأحوال ــ أن يبلغ مستقرهم أو مقامهم . فلا أشعياء ولا بطرس ولا بولس ولا فرانسيس يمكنه أن يشارك المسيح فى مرتبة القرب من الأب .

وللتعبير عن قدرة الله جاءت هذه المظاهر الالهية ــ منذ الزمن الأول ــ إلى الأرض تباعا استجابة لحاجات البشر ؛ ويستمر مجيئهم إلى الأرض حتى « الآخر الذى لا آخر له » . فنعمة الله تهطل على الإنسانية دائما ، وستظل تهمى أبدا ، ولكن عن طريق هؤلاء الوسطاء المقدسين فمهمتهم هى « أن ينفخوا روح القدس فى جسد العالم الميت » ليوقظوا الناس من

الغفلة ، وليخرجوهم من الظلمات إلى النور ، ولينتقلوا بهم من الحياة الحيوانية المحض (التي يعدونها عين الموت) الى الحياة الروحانية . إنهم يمنحون البشر الفضيلة ؛ لأنه ما من فضيلة كانت للناس في وقت من الأوقات يمكن اعتبارها أصيلة فيهم ، بل إن كل ما كان منها للناس إن هو إلا هبة وهبها لهم هؤلاء المظاهر المقدسون . فالتطور الأعظم في الجنس البشري يرجع إلى تأثير هؤلاء الرسل الذين يقودون العالم إلى الأمام ، كاشفين تدريجا عن منهج الله ، مشيدين صرح التاريخ العالمي متوحدا في ذاته وجوهره .

وبالرغم من أن الجنس البشري نظر إلى هؤلاء الرسل المكرمين حتى الآن من حيث الاختلاف والتباين الظاهر بينهم ، إلا أنهم في حقيقة جوهرهم الداخلي ــ وهو الأهم ــ واحد لا يتجزأ .

« الجميع باسم واحد ، ورسم واحد ، وذات واحدة ، وحقيقة واحدة لأن جميعهم ساكنون على عرش ظهور الله ، وواقفون على كرسي بطون الله ... واذا ما سمع من المظاهر الجامعة : (انى أنا الله) فهو حق ولا ريب فيه[١] » .

وكذلك يقول بهاء الله « إن المسيح حينما خاطب تلاميذه أشار إلى صعوده بقوله : « إنى ذاهب ثم أعود » وقال في مقام آخر : « إني ذاهب

---

(١) إيقان : ص ١١٠ ، ١٢٣ من الترجمة العربية .

ويأتي غيري حتى يقول ما لم أقله ويتمم ما قلته » والمعنى في كلا القولين واحد[١] » . وقد كتب عبد البهاء إلى إحدى المجلات الانجليزية عام ١٩١١ فقال : « كل تعاليم الأنبياء واحدة ، وعقيدتهم واحدة ، ونورهم واحد وهو يضيء العالم جميعا. والآن ينبغي لكل شعوب الأرض أن تنضوي تحت علم الوحدة الانسانية ، وأن تعرض عن التعصب ، وتتآخى وتصدق بجميع الأنبياء[٢] » .

وفي إحدى رسالاته لمؤمن أمريكي يقول :

« فالمسيح بهذا الاعتبار ، مظهر للحقيقة الالهية ، وساذج الهوية والوحدة الصمدانية التي لا بداية لها ولا نهاية ، والتي لها في كل دور بزوغ وشروق وظهور وغروب[٣] » .

وما عملت التعاليم المعاصرة شيئا سوى تأييد التعاليم القديمة وتصديقها . وسيدنا محمد يشهد بهذه الوحدة نفسها حين يتلو في القرآن : « لا نفرق بين أحد من رسله[٤] » ؛ وحين يقول : « أما النبيون فأنا » ؛ وأيضا حين

(١) إيقان : ص ١٥ من الترجمة العربية

(٢) عبد البهاء في لندن ص ٣٣ .

(٣) مكاتيب عبد البهاء (عن الانجليزية) .

(٤) قرآن كريم ، س : ٢ .

يقول : « إنى آدم ونوح وموسى وعيسى » ؛ وحين يتلو فى القرآن :
« وما أمرنا إلا واحدة » .

وكذلك يشهد المسيح بهذه الوحدة حين يقول لليهود : « أبوكم ابراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح ... قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم : قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن[1] » .

ولقد أخذ تلاميذ المسيح تلك الحقيقة عن سيدهم حتى أطلق صاحب سفر الرؤيا على المسيح اسم « الألف والياء » . « يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شىء : أنا هو الألف والياء البداية والنهاية[2] » . وجاء فى الرسالة إلى العبرانيين (إصحاح ١١ ى ٢٦) أن موسى كان « حاسبا عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر » . وحين تكلم بولص عن تيه بنى إسرائيل فى الصحراء مرتين ذكر المسيح قائلا : « إن الصخرة التى تابعتهم كانت المسيح » و « إنهم جربوا المسيح » . بل إننا لنقرأ التعاليم نفسها من أرض أخرى ، وفى عصر أبعد : نقرأها عند سرى كريشنا Sri Krishna حين يقول : « عصرا بعد عصر أظهر نفسى لإقامة الدين[3] » . وفى الفقرة نفسها يعلن جيتا « إنه كلما يذبل الدين وتنتشر

---

(١) يوحنا ٨ : ٥٦ و ٥٨ .

(٢) رؤيا ١ : ٨ .

(٣) Bhagavadgita, iv. 7. 8.

اللادينية يظهر إله » .

ومن ناحية أخرى فإن المظاهر الالهية لا يظهرون للناس باسم واحد بل بأسماء متعددة مختلفة . والواقع أن لكل مقامين : أحدهما مقام التوحيد الذى لا تفرقة فيه بين بعضهم البعض ، وثانيهما مقام الانفصال . فأما الوحدة الجوهرية المشتركة بينهم جميعا فراجعة إلى الأمور السماوية ؛ وأما كثرتهم واختلافهم فيعود إلى الأمور الأرضية .

ففى مقام التفصيل وعالم الخلق « لكل واحد منهم هيكل معين وأمر مقرر ، وظهور مقدر ، وحدود مخصوصة ، بمثل ما أن كل واحد منهم موسوم باسم وموسوم بوصف[1] » .

وفى هذا المقام أيضا تظهر منهم العبودية الصرف والفقر البحت والفناء المحض : فهم يمشون بين العباد فى غاية من التواضع والبساطة ، مفضلين حياة الفقر والفاقة . بل إنهم بينما يدعون مقام النبوة و يعلنون عن رفعة مهمتهم يظهرون فى سلوكهم الشخصى غاية الوداعة ومنتهى اللطافة . وهم فى مقام التمييز يظهرون فى أزمنة متفاوتة وأمكنة مختلفة متعاقبين ، باسطين فى كل حين نفوذهم بأكمله على العالم جميعا . فكلهم طبيب ينصح بعلاج خاص لمرض معين (لأن احتياجات النوع البشرى تتغير وتتطلب من العلاج اليوم ما لا تتطلبه غداً) ؛ وكلهم معلم يطابق بين الدرس

---

(١) إيقان : ص ١٢٢ ، ١٢٣ من الترجمة العربية.

وقدرة التلاميذ ؛ وكلهم دليل يهدى عابر السبيل إلى مرحلة من مراحل سفرته ؛ فيؤسس كل بدوره ديناً عظيما . ومع أن كل الأديان واحدة من حيث الجوهر إلا لأن لكل واحد منها خاصيته التى تعتبر فى ذاتها خير وسيلة لبعث قوى العالم الروحية فى عصره . كل الأديان العظيمة تشهد بوحدانية الله ، ولكنها إن اختلفت فيما بينها فى عرضها لنواحى الحقيقة ، أو كان بعضها أغنى من بعض وأكمل فما ذلك إلا لأن لكل نبى رسالته الخاصة التى تلائم مطالب الناس وحاجاتهم فى عصره . فإذا بدت رسالة موسى أقل عظمة من رسالة عيسى ـ كأن لم يأمر قومه مثلا بأن يجزوا الشر بالخير أو اللعنة بالبركة ؛ أو لم يعد المؤمنين بالحياة الأبدية ـ فلا يعزى هذا إلى علمه المحدود ـ حاشا لله ! ـ بل يعزى إلى حال العالم المتأخر الذى أرسل إليه . وإذا كانت تعاليم كنفشيوس ـ كما يقول عبد البهاء ـ أقل شأنا من تعاليم بوذا فلا يرجع السبب فى هذا إلى المظاهر الإلهية أنفسهم ، بل إلى تفاوت القابليات عند الأقوام الذين أرسلوا إليهم .

ومن ناحية أخرى نجد أن الثقافة المادية التى تنشأ فى كل دورة ترجع فى أصلها إلى تأثير الرسول وإرادته ؛ ونرى أن بينها وبين التعاليم الروحية صلة وثيقة : إذ أن صبغتها منوطة بأمره ، وغايتها رهينة بإذنه . وقد مجد البشر فى العالم قاطبة رسل الله الكرام ، ودخلوا فى أديانهم العظيمة المختلفة . فهم يبجلون المسيح وبوذا وزرادشت وكريشنا وغيرهم

من الأنبياء الكرام ، ويعدونهم أعظم قادتهم . غير أنهم لم ينظروا إليهم على أنهم متصلون ؛ بل حملوا أمرهم على أنهم غرماء يتنافسون على إخضاع العالم لأمرتهم ، وتصوروا أن اعتناقهم لدين أحدهم معناه إنكارهم الأديان الأخرى ؛ وأن أتباع نبي من الأنبياء لن يخلصوا له الولاء إلا إذا عدوه رسول الله الأوحد . فهم بذلك قد وضعوا الأنبياء في الميزان : إذا رجحت كفة فلا بد أن تخف الأخرى . واحتقر أشياع كل دين أنصار الأديان الأخرى ، وعدوهم فسقة كفرة منبوذين في هذه الدار هالكين في الدار الأخرى . وعلى هذا النحو أصبح الدين – الذى أعد لتوحيد شعوب الأرض – سببا للعداء والتناحر من جراء سوء الفهم . وأما الأنبياء أنفسهم فما أساء أحدهم إلى الآخر ، بينما كان أتباعهم هم منشأ العداوة والبغضاء . فما تناول كريشنا في الجيتا بالنقد إلا عصره هو ، وما حط عيسى من قدر موسى ، وما وضع محمد من شأن عيسى . بل كان كل نبي من الأنبياء يطلب إلى الناس أن يؤمنوا بقدسية تعاليمه ، ويدعوهم إلى أن يعتقدوا أن فيها ما يحتاجون إليه في خلاصهم ؛ كما أن أحدهم لم يدع أن رسالته هي الأخيرة النهائية . وكل ما في الأمر أن الرسول كان يطلب إلى الناس اعتبار تعاليمه هذه تطوراً للتعاليم السابقة .

والآن ، في هذا اليوم الآخر ، تناول بهاء الله النبوة والرسالة بالشرح الواسع المستفيض ، وبين ماهيتها ، ووسع معانيها ، وأضفى على الشروح

السابقة غلائل البيان ، وثبت فى يقين جديد كل ما أنزل من السماء حول هذا السر الموحد بين الأديان جميعا ، ونبه بوجه خاص على ذلك الاتصال بين الأنبياء الكرام وتضافرهم جميعا على خدمة أمر واحد . فبين أن هؤلاء جميعا هم أشبه شئ بالأدلاء الذين يرشدون أهل العالم فى تصعيدهم على جبل من الجبال من شعاب مختلفة ليلتقوا جميعا على قمة واحدة . وهكذا تنضوى شعوب الأرض جميعا ــ فى اليوم الآخر ــ تحت لواء دورة دينية عامة .

ولكل أفق من آفاق الأرض سلسلته النبوية . ولكن يبدو أنه ما من رسول عظيم إلا ظهر فى الشرق . وفى الشرق آفاق متعددة لهذه السلاسل، ولكن السلسلة التى تتوالى حلقاتها فى أفق الأرض المقدسة هى التى تحتل منها المقام الأول . ولفترات الزمن المختلفة قدر معلوم من الوحى والإلهام . فما عند الله فى معاملة بنى آدم من تفرقة ولا تحيز ؛ بل هو نهج ونظام وسنة .

ويدلل بهاء الله على ذلك بقول الله تعالى فى السورة الخامسة عشرة من القرآن الكريم : « وإن من شئ إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم » . كما يقول فى الوديان السبعة : « ورغم أن رحمة الله الرحيم لا تزال هامية دون انقطاع إلا أن لكل زمان وعصر قدراً معلوما لا يلقاه الناس إلا بقدر ومقدار » . كما يتكلم عبد البهاء عن

الظهور الأعظم فى اليوم الآخر حين يجيب على سؤال من الأسئلة فى معنى تواتر النبوات فى عالم الشهود فيقول :

« و بالاختصار نقول إن الدورة الكلية لعالم الوجود هى مدة مديدة، وقرون وأعصار عديدة من غير حد ولا حساب ، وتتجلى مظاهر الظهور فى تلك الدورة فى ساحة الشهود حتى يتجلى ظهور عظيم كلى يجعل الآفاق مركز الإشراق، وظهوره يكون سبب بلوغ العالم رشده، ودورته تمتد كثيرا. ثم تنبعث المظاهر فى ظله من بعده ، و يجددون بعض الأحكام المتعلقة بالجسمانيات والمعاملات حسب اقتضاء الزمان، وهم يستظلون بظله . فنحن فى دورة بدايتها آدم والظهور الكلى لها حضرة بهاء الله[1] » .

يبدو لنا تاريخ الإنسانية فى كتابات بهاء الله تكوينا متقنا قد تساوقت أجزاؤه ووضعت مواضعها فى إحكام تام ؛ وأنه مهما طال و بدا معقدا مصطخباً فى مظهره فإنه متوحد فى داخله ، مقدس فى لبه ؛ وأن القوة الدافعة التى تصرف أحداث التاريخ ليست ناشئة عن إرادة الانسان ـ ولا هى ناشئة عن ظرف طارئ ـ بل عن إرادة رب حكيم أزلى . وتشاهد آثار هذه القوة الارادية فى كل الأحداث والواقعات صغيرها وكبيرها ، وليس لمداها حد . إذا فلا يمكن للتاريخ أن يقرأ حق قراءته إلا إذا مهد له بمعرفة قيمة بالمركز الذى يدور حوله جميعا ،

---

(١) المفاوضات : ص ١٤١ من الترجمة العربية .

وإدراك كامل للقوة التي تدبره جميعا . ومن حاول أن يفسر تغييرات العالم دون أن يرجع بها إلى منابعها عجز كل العجز - على الأقل حيال أزمة كأزمتنا هذه - عن أن يحلل الموقف كما ينبغي له ، أو أن يفهمه فهما فيه دقة وبعد نظر . وإذا كانت الأشياء جميعا لا يعلمها إلا الله وحده فإن كل امرئ يستطيع - عن طريق تعاليم بهاء الله - أن يقف على معالمها العامة ؛ وأن يعلم أنه ليس هناك من طريق للتقدم ولا للتحصيل ولا للأمل ولا للخلاص إلا بالخضوع لله ، والائتمار بأمره العلى .

الفصل الثالث

تعاقب الرسل

كما أعلن بهاء الله أن أولى العزم من الرسل هم الشخصيات المسيطرة على التاريخ العالمى ، بين أن رسالاتهم المتعاقبة تكشف عن النضج المستمر لهدف الارادة الأولى ، وتبين الأدوار الحرجة التى مر بها التقدم البشرى ، وتوضح أهم أقسام الأزمنة التاريخية .

ولا يبدو فى شريعة من الشرائع أو فى كتاب من الكتب المقدسة ـ كما هو ظاهر على وجه التحقيق فى الانجيل ـ أن مجىء رسول إلهى هو ظاهرة منعزلة أو مغامرة ملائكية وحسب ؛ أو أن هذا الرسول متميز بشخصية منفردة . ولكنه فى الواقع يأتى واحداً من عداد العاملين كلف بمهمة خاصة ؛ يأتى تحقيقاً لوعد سابق مبرم . كذلك تنبأ بوذا فقال إنه فى تمام الوقت سيظهر بوذا آخر باسم « ميتيا Metteyya » ، ونبه على أن عمل بوذا هذا يكون أقرب إلى إحياء الدين القديم ، وصياغة النظام

العتيق مرة أخرى من أن يكون ابتداع شيء جديد :

« إنما مثلى فيكم كمثل رجل ضرب فى غابة على جبل، فرأى طريقا عافية وسبيلا قديما قد سلكه قبله قوم غابرون، فمضى فيه، فعله بصر بما لم يبصر به غيره، فرأى مدينة خالية وقصرا مهجوراً سكنته الناس فى الأيام الخالية تحيط به جنات وعيون وأدغال وأنهار وأسوار، فكان على هذا الرجل الذى أبصر ورأى أن ينقلب إلى أهله لينبىء الملك أو وزيره : « تأمل يا مولاى واعلم بما رأيت » . فلما أن أخبره الخبر دعاه إلى أن يعيد بناء المدينة الخالية والقصر المهجور، لعل المدينة المهجورة أن تعود سيرتها الأولى فتحيى بعد موتها وتعمر وتغنى من جديد . هكذا أنا أيضا أيها الإخوان : بصرت بطريق عافية، وسبيل قديم قد سلكه قبلى بوذا كثيرون فى الأيام الخالية، فمضيت فيه، فرأيت الحياة فى ماضيها وفهمتها فى مستقبلها. فلما أن رأيت وفهمت جئت الملأ والإخوان حتى تنتعش الحياة الطاهرة الطيبة وتعم الناس من جديد[١] » .

وكذلك روى المعنى نفسه عن كنفشيوس حين قال : « إن عملى أقرب إلى الهداية منه إلى الابتداع » .

وتنبأ موسى بالمسيح مخاطبا بنى إسرائيل بقوله :

---

(١) Budhism. By Mrs. Rhys Davis P. 33 - 4

« يقم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى . له تسمعون(١) » .

وتوسع أنبياء بنى إسرائيل فى هذه النبوءة ، وأثارت الطامة أقوال بطرس : « وجميع الأنبياء أيضا من صموئيل فما بعده ، جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام(٢) » .

وروى يوحنا المعمدان كلمات أشعياء مشيرا لمهمته ولمهمة ذلك الرسول الذى يمهد له الطريق ؛ فقال :

« هذا هو الذى قيل عنه بأشعياء النبى ، صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب ، اصنعوا سبله مستقيمة(٣) » .

ولئن ربط موسى رسالتـــه برسالة لاحقة فإن المسيح لم يكن أقل منه ربطا لرسالته برسالة موسى : ساوى نفسه بموسى ، وادعى الحق فى تعديل شريعته ، مظهرا أن تعاليمه هى تعاليم موسى عينها ، بحيث أن الاخلاص فى قبول إحداها يتضمن قبول الأخرى ، فقال : « لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى(٤) » .

---

(١) تثنية : ص ١٨ ى ١٥ .

(٢) أعمال : ص ٣ ى ٢٤ .

(٣) متى : ص ٣ ى ٣ .

(٤) يوحنا : ص ٥ ى ٤٦ .

وكذلك جاء سيدنا محمد « فصدق أخباره وآثاره وكتابه أيضا بقوله : (إنه من عند الله)[١] » . والواقع أنه صرح قائلا : « إنى أنا عيسى » ، كما ادعى لنفسه ـ بحق ـ أنه خاتم النبيين الذين سبقوا الظهور الكلى ، فختم بذلك صف النبوة الطويل قائلا : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين[٢] » .

وجاء النيران ـ الشيخ أحمد الأحسائى والسيد كاظم الرشتى ـ يبشران بمجيء الباب وبجر « اليوم الآخر » ، ويشهدان باستمرار النبوة . فالنبيل ـ صاحب مطالع الأنوار ـ ينبه على أن الشيخ أحمد كان مدركا لمهمته ، وهى أن يهيء السبيل للذى سوف يظهر بين الناس عند تمام الوقت ؛ فقال :

« أستعد كما أمرته القدرة الالهية أن يبين معضلات الآيات الاسلامية التى كانت تشير إلى مجيء مظهر جديد ... وأعلمته الارادة الالهية أنه لا يمكن إحياء ذلك الدين ولا إعادة طهارته الأولى إلا بأمر جديد ، كما تشهد بذلك الكتب الاسلامية نفسها[٣] » .

وكذلك ذهب السيد كاظم إلى أن مجيء الباب وبهاء الله أمر سبق

(١) إيقان : ص ١٥ من الترجمة العربية .

(٢) قرآن كريم ، سورة الأحزاب ، ى ٤٠ .

(٣) مطالع الأنوار : ص ٣ من الترجمة العربية .

به تقدير الله منذ القدم مصداقاً لقوله تعالى فى القرآن الكريم :

« ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ؛ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب ، وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون[1] » .

وهى نبوءة يفسرها السيد كاظم الذى خلف الشيخ أحمد بقوله :

« والحق أقول لكم إن بعد القائم يظهر القيوم ، وبعد أن يغرب الكوكب الأول تشرق شمس جمال الحسين وتضيء العالمين[2] » .

وطالما تكلم السيد كاظم أيضاً عن القدوم المنتظر باعتباره الساعة التى طالما تمنت الأنبياء شهودها .

وقد أمن الباب على تعاليم مبشريه ــ الشيخ أحمد والسيد كاظم ــ مؤكداً أنه خليفة محمد ونظيره الذى شهد به ؛ وأن رسالته الخاصة هى أن يبشر بأعظم الظهورات وأعظم الدورات ؛ فقال :

« أشهد أنه لا أحد سواى فى الشرق والغرب يمكنه أن يدعى أنه هو الباب الذى يفضى بالناس إلى معرفة الله . وما برهانى على ذلك إلا البرهان الذى قام به صدق محمد رسول الله[3] » .

---

(١) قرآن كريم : سورة الزمر ى ٦٨ .
(٢) مطالع الأنوار : ص ٣٢ من الترجمة العربية .
(٣) مترجم .

وهو يقول مرة أخرى فى اللوح نفسه :

« أنا — أنا — أنا الموعود ! أنا الذى دعوتم باسمه ألف سنة ، والذى قمتم على ذكره ، والذى دعوتم الله أن يعجل بمجيئه . الحق أقول إنه يجب على أهل الشرق والغرب معا أن يطيعوا كلمتى وأن يبايعونى[١] » .

ولو أننا التمسنا تأكيدا أصرح وأكمل وأوثق لهذه الحقيقة لوجدناه فى كلمات بهاء الله ؛ لأنه بنى تعاليمه للبشرية جميعا على دعائم الرسل الغابرين جميعا .

وهكذا ينبه كل رسول عند ظهوره على تحقيقه النبوءة وثيقة سابقة معتبرا ذلك من مقومات رسالته الأساسية ، ثم يتنبأ — قبل ذهابه — باستمرار الرسالة برجعته . ويبدو أنه لا استثناء لهذه القاعدة حتى عند سيدنا محمد : فإنه حين قال بأنه خاتم النبيين لم يكن يعنى أنه ختم تعاقب الرسالة للأبد ، أو أن أبواب الاتصال بين الله والناس قد أوصدت من بعده فلا تنفتح من جديد . بل على العكس من ذلك ، فهو ينبه مرارا على أن الحق سيعاود الظهور مرة أخرى .

وإما قال نبى من الأنبياء المرسلين هذه النبوءة المعتادة : « سأعود مرة أخرى » أو « سيأتيكم من هو مثلى » فإن مقصده من العبارتين واحد ، وهدفه فى كلتا الحالين هو أن يشير إلى استمرار الرسالة . ذلك

---

(١) مترجم .

بأنه ما عرف فى أية سلسلة نبوية رجوع الرسول نفسه بلحمه ودمه إلى العالم الأرضى ليتمم العمل بنفسه . فلئن كان لرسل الله الصفات نفسها والرسالة عينها والأثر ذاته إلا أن أشخاصهم مختلفة متغايرة : النهر واحد وإن اختلفت فيه الأمواه . وإذا أشعل الإنسان مصباحاً فى غرفة كان ضوؤه نصف الليل كضوئه ساعة من قبل ذلك . هذا من حيث صفاته وإنارته ؛ ولكنه يختلف من حيث مقومات الضوء . ولن يتغير الوضع أو يتبدل إذا أطفىء النور وأشعل من جديد .

تكلم المسيح عن نفسه وعن رجعته بضمير المتكلم تارة ، وبضمير الغائب تارة أخرى حسبما كان ينظر إلى نفسه فى أحد الوضعين : فإذا تكلم ناظرا إلى حقيقته وهى أنه كلمة الله وصورة الأب قال : « سأعود مرة أخرى » ؛ وإذا تكلم ناظرا إلى نفسه من ناحيته البشرية العنصرية قال : « عندما يعود » ، لأن الذى سيعود بشر يختلف عنه لحما ودما .

ونرى عودة الصفات وظهورها فى شخص آخر أمراً واضحا فى الانجيل عندما يشير إلى إيليا ويوحنا المعمدان . فقد كان يوحنا فى روحه وقوته هو إيليا نفسه فى عود جديد . أما من حيث ناحيته البشرية العنصرية فلم يكن هو إيليا ؛ بل كان ابن زكريا وأليصابات بالذات . وهكذا يمكن القول بأن يوحنا حق من الناحيتين مع اختلاف الاعتبار بينهما : فلقد كان إيليا نفسه ، وكان شخصا آخر غير إيليا فى وقت معا . والتعارض

بين الاعتبارين ليس حقيقيا ، بل هو صورى محض . فحينما قال المسيح : « إيليا قد جاء » لم يكن يشير بذلك إلا إلى روح إيليا وقوته التى كانت متمثلة فى يوحنا . ولم يكن فى قوله هذا إنكار لما قاله يوحنا عندما سئل « إذا ماذا ؟ إيليا أنت ؟ فقال لست أنا . النبى أنت ؟ فأجاب لا[1] » .

ومهما تكن لغة الرسول ، فإنه أثناء تدليله على صحة دورته يعرض لما يكون من تطور غاية الله المستمرة التى لن تفتر فى المستقبل كما أنها لم تفتر فى الماضى . وقد لا يقدر أتباعه هذه الحقيقة فيما بعد ؛ وقد ينسون ما يتضمنه تعاقب الرسل ؛ وقد يستبد بهم خداعهم لأنفسهم من أن المعرفة الإلهية وقف عليهم هم دون غيرهم من أتباع الرسل الآخرين ؛ وأن كل نبى غير نبيهم كاذب أو مدع . يقولون هذا على حين هم لا يخلصون اتباع رسولهم . ولكن أخطاء البشر مهما كانت متينة الأساس فإنها لا تبطل الحق . فالإجماع على منزلة الرسل الكرام ومكانتهم فى التاريخ أمر لا جدال فيه . ومن المزايا الرئيسية لوجود النبوءة فى كل ظهور أنها تطبع فى العقل البشرى فكرة الترابط الأبدى بين الدورات والنبوات ، وفكرة العناية الدائمة الفائضة عن عقل قادر عليم .

إن مهمة تخليص العالم ــ تلك المهمة العظيمة السامية ــ هى المسئولية المشتركة بين رسل الله : لكل خطته ، ولكل نصيبه المقدر ؛ وكل يتسلم

---

(١) يوحنا : ص ١ ى ٢ .

العمل ممن سبقه ليتقدم به حتى تحين الساعة المعينة التى يسلم فيها عمله الكامل لخلفائه . ولقد وهب هؤلاء المربون من القوى ما لا يعلى عليه أو يقاس به :

« إن لطائف هذا الباب وجواهره توضح وتثبت لدى أصحاب النفوس الزكية والمرايا القدسية أن شموس الحقيقة ومرايا الأحدية التى تظهر فى كل عصر وزمان من خيام غيب الهوية إلى عالم الشهادة لتربية الممكنات وإبلاغ الفيض إلى كل الموجودات ؛ هذه الشموس تظهر بسلطنة قاهرة وسطوة غالبة . لأن هذه الجواهر المخزونة والكنوز الغيبية المكنونة هم محل ظهور (يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد[١]) » .

على أن جلال الرسول لا يكون عادة مما تلحظه كل عين لوهلتها الأولى ، أو مما يحمل جميع الناس على إظهار طاعتهم سريعاً . فإنه ـ كانسان ـ يظهر بين الناس متسماً بسمات البساطة واللطف والإعراض عن الأطماع الشخصية . وغالبا ما يولد من أبوين مغمورين غامضا معدما ، ولا يعلم من علم البشر إلا قليلا . فهو لا يطلب لإبلاغ رسالته من الوسائل ما يطلبه الفاتحون والملوك والطامحون للمراكز العالية من عصبية أو ثراء أو تملق أو مداهنة أو قوة مسلحة . ولو أنه قورن بالشخصيات المبرزة فى الميدان

(١) إيقان : ص ٥٠ من الترجمة العربية .

أو العسكر أو الساحة لبدا أضعف الضعفاء ، لا حول له حيال العنف ولا قوة . وهو يتعرض لما يتعرض له الناس من حيث الضعف الذي يعترى أبدانهم كالجوع والعطش والتعب والمرض وما يماثل ذلك . وهو هين على أعدائه بحيث يسهل على هؤلاء الذين يكيدون له الإيقاع به واضطهاده وتعذيبه . وإلى هذا المعنى يشير بهاء الله بقوله :

« إذاً فاعلم علم اليقين بأن شموس العظمة هؤلاء ، إن يكونوا جالسين على التراب ، فإنهم فى الحقيقة مستقرون على العرش الأعظم ؛ وإن لم يكن لديهم فلس واحد فإنهم يكونون طائرين فى أعلى مدارج الغناء ؛ وإن يكونوا مبتلين تحت يد الأعداء فإنهم يكونون ساكنين عن يمين القدرة والغلبة ؛ وإن يكونوا فى كمال الذلة الظاهرة فإنهم يكونون جالسين ومتكئين على عرش العزة الصمدانية ؛ وإن يكونوا فى نهاية العجز الظاهرى فإنهم يكونون قائمين على كرسى السلطنة والاقتدار(١) » .

إنما القوة المميزة لأولى العزم من الرسل هى القوة الروحية العقلية ، وهى من نوع لا يملكه الآخرون أو يفهمونه لأنها تعمل فى مرتبة فوق إدراك البشر ، وتؤثر مباشرة على قوى النوع الإنسانى الكامنة ؛ وهى خلاقة تنفخ فى حقائق الإنسان قوة للفكر والشعور لم تكن موجودة من قبل ، فترفع البشرية رفعاً إلى مستوى جديد من الوعى ، وتثير

---

(١) إيقان : ص ٨٩ من الترجمة العربية .

القدرات الكامنة ، وتمكن الناس من أن يسموا سموا أعظم فى العوالم الروحانية التى تحيطه . والرسول يأتى دائما باسم جديد من أسماء الله — وليس هذا الاسم الجديد لقبا جديدا لله فحسب ، بل صفة جديدة من صفات الله — فيغرس فى العقل البشرى صفة جديدة يتحقق بها الله و يزداد مفهومه كمالا . ولذلك كان سلطانه على البشرية من نوع لا يشركه فيه سيد دنيوى أو يحلم به : من نوع لا نظير له رفيع متميع كما يصف بهاء الله سلطانه على البشرية :

« إن المقصود من السلطنة هو إحاطة حضرته وقدرته على كل الممكنات سواء ظهر فى عالم الظاهر بالاستيلاء الظاهرى ، أو لم يظهر به وهذا أمر منوط بإرادته ومشيئته . إن المقصود من السلطنة والغنى، والحياة والموت والحشر والنشر المذكور فى الصحف الأولى ليس هو ما يدركه الآن هؤلاء القوم و يفهمونه ، بل إن المراد من السلطنة هى السلطنة التى تظهر فى أيام ظهور كل واحد من شموس الحقيقة من نفس المظهر نفسه ، وهى الإحاطة الباطنية التى بها يحيطون بكل من فى السموات والأرض ، ثم تظهر بعدئذ فى عالم الظاهر بحسب استعداد الكون والزمان والخلق [١] » .

« تلك السلطنة المقصودة لم تزل ولا تزال طائفة حولهم ، ودائما معهم وما انفكت عنهم آنا من الزمان . وهى السلطنة الباطنية التى أحاطت

---

(١) إيقان : ص ٧٢ من الترجمة العربية .

كل من فى السموات والأرض[١] » .

إن التطور الذى يحدثه النفوذ الخلاق لأولى العزم من الرسل فى قلوب الناس وأرواحهم يتجلى فى مظاهر شتى : يضع بين الناس أساساً جديداً للوفاق يتحد به الذين شتتهم تعصب الجنس والطبقات على محبة ووئام ؛ ويسمو بمستوى الأمم الخلق ويرتقى ؛ ويمد المجتمعات بوسائل جديدة للتعبير عن نفسها ؛ ويقيم أنظمة جديدة ، ويهيء بالتدريج حضارة مادية تكون أشد من سابقتها مطابقة لوعى الناس المضطرد فى التقدم .

إن تجديداً عظيماً كهذا يتضمن هدماً غير قليل . فإن كان الرسول يثبت التعاليم الروحية للدورة السابقة فإنه لا يتردد فى أن يعدل أو يبطل من قوانينها المادية ومن الشعائر التى جاء بها سابقوه . ذلك لأن تلك القوانين والشعائر كانت تلائم عقول البشر فى طور معين من أطوار النمو والتعاليم التى توافق اليوم لن توافق الغد فى عالم مستمر التبدل والتغير . فأنواع العبادات الظاهرة والرسوم التى تتناول الأعياد والصوم والمآكل والمشارب والزواج وما شاكل ذلك ليست فى حد ذاتها مقدسة كتلك الحقائق الخالدة . ولذلك فإن مثل هذه الأمور تنسق وترتب من جديد من وقت لآخر . ولكن الرسول الإلهى ليس رجل ثورة ، ولا هو رجل إصلاح عادى . فهو يبدل من قلوب الناس ونظم الشعوب بالإنماء الروحى

---

(١) إيقان : ص ٤٧ من الترجمة العربية .

لا بإعمال القوة الظاهرة . غير أن نتائج تأثيره لا تظهر مباشرة . وهو يجتهد فى ألا يجعل لأمره لونا سياسيا ، كما أنه يعلم أتباعه أن يلاحظوا ذلك أيضا . وما أشبه الأفكار والميول التى يبلغها للبشرية بتلك البذور التى تنمو نموا طبيعيا فى أدوار بطيئة كما هى الحال فى عالم النبات : فإن الأشجار التى تعمر طويلا لا تنمو سريعا . كذلك التطورات العظيمة التى يحدثها الرسول ؛ فهى لا تبدو كاملة المعنى إلا بعد سنين طوال ؛ حيث يجب أولا أن يتقدم الناس تقدما روحيا وخلقيا . فإذا تم ذلك على مدى بعيد ظهر التقدم فى الأمور الدنيوية كالقانون والنظام والفن والموسيقى والأدب وما شاكل ذلك . وهكذا يؤسس الرسول للمدنية المادية فى عصره على أساس روحى ثم يحافظ عليها بسياج الدين .

وقد تمر قرون طوال قبل أن يؤسس النظام الجديد ؛ إلا أن تأسيسه محقق إن عاجلا أو آجلا . ففى غضون دورة الرسول كلها يكمل سلطانه ، وتنفذ إرادته ، وتطاع أوامره وفروضه باعتبارها من عند الله ؛ وتكفى تعاليمه الناس للنجاة والخلاص ، فلا يستطيع أحد أن يتقرب إلى الله إلا بوساطته . وطالما أنه قد اختص بالتجلى الإلهى فالإعراض عنه إعراض عن الله . ومهما كان قوم الرسول من قلة الجدارة بمعونته وكانت استجابته لندائه ضعيفة فإنه لا يمكن لسعيه أن يخيب ، ولا لرسالته أن تظل غير تامة . فإن علم الغيب الإلهى يحيط بأعمال الخلق فى كل زمان ؛ كما أن

عصيانهم محسوب فى سابق تقديره . فالغرض الإلهى يتقدم تدريجا طبق ما سبقت به الإرادة . وكل دورة تستمر عادة مئات كثيرة من السنين ، ولكن أطوالها تتفاوت فيما بينها كثيراً . وقد استمرت دورة سيدنا محمد ألفا ومائتين وستين سنة (٦٢٢ م - ١٨٤٤ م) . والمفروض أن دورة سيدنا موسى قد استمرت قرابة الألف وخمسمائة سنة ؛ كما أنه يقال إن دورة سيدنا إبراهيم قد ابتدأت عام ١٩٢١ قبل الميلاد ، وأنها استمرت ما يقرب من أربعة قرون ؛ بينما نجد أن دورة الباب لم تطل أكثر من تسعة عشر عاما . فالتاريخ المحدد لنهاية كل دورة مقرر بالضبط تقريبا قد يظهره الله من قبل فى بعض الأحيان . تشهد بذلك نبوءات الكتاب المقدس . غير أن الرسول لا يبدو - أثناء حياته - أنه متنبئ أو عارف تمام المعرفة بالسنة التى « فيها تكون نهاية العالم » ، والتى فيها تكون نهاية العالم » ، والتى فيها تكون رجعته . إلا أن المسيح تنبأ مصورا العلامات التى ينفرد بها مجيئه الثانى . ولقد يبدو لنا الآن أن وصفه إياها كان واضحا كل الوضوح دقيقا كل الدقة . ولكنه ذكر أن موعد مجيئه ليس معروفا لأحد إلا الأب :

« وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الأب[١] » .

---

(١) مرقس ص ١٣ ى ٣٢ .

وفى مقام آخر يتكلم عن الأب وكيف مكن له فى الأزمنة والفصول.

وبالرغم من أن الدورات النبوية تختلف فى مداها وتتباين فى طولها إلا أن تأثير كل رسول فى العالم لا يختلف سبيلا . ولعل ذلك ما لا يتوقعه المرء . والواقع أن تأثير الرسول يجرى على خلاف ما يجرى عليه تأثير الحاكم الأرضى المستهدف للتقلبات والتغييرات ، المتعرض للأحوال الدنيوية . كما أن هذا التأثير النبوى لا يبلغ الأوج فى المرحلة الأخيرة لينتهى فى كمال جلاله وتمام عظمته . لكنه يتبع قانون الكون والفساد والنمو والاضمحلال الذى يشاهد فى غير ذلك من الخلق السماوى . والمسيح يشبه أمر أولى العزم من الرسل ــ وهو الذى يسميه بملكوت السماء ــ ببذرة ، بل بأصغر البذور التى تنبت شجرة كبيرة وارفة تظلل كل طيور الجو . فإذا بلغت الشجرة غاية النماء ماتت وسقطت . هكذا يكون أمر كل رسول كريم : يبتدىء أمره بأدق الأحوال وأحرجها وأضعفها ثم يتدرج فى مدارج النمو ضاربا بجذور دينه فى أعماق الأرض بقوة متزايدة ، ناشرا ظل شريعته الوارف فى كل الأرجاء من حوله . فإذا بلغ أمره غايته أخذ فى الانحلال والاضمحلال بحيث لا يعود يثمر أو يظلل ، ثم يتداعى ويتهالك ويموت . وفى مقام آخر ينبه المسيح بالأخص على تواتر النمو والانحلال عند ما يصف عصره بأنه « جيل » من الأجيال ، مشبها أقصى انحطاط أمره بانحدار حياة البشرية إلى هوة الضعف والموت ،

مؤكداً أنه « لن يمضي هذا الجيل إلا إذا تحققت كل هذه الأشياء » .

ورمز الدورة المألوف في الكتاب المقدس هو « اليوم » ؛ والنبي شمسه التي هي « نور العالم » ؛ و بهاء الفجر الذي يكسو الأرض شفقا وجلالا ، ويظهر الأمور إلى أنظار الناس هو علامة طبيعية لذلك الأثر المنعش الملهم الذي يحدثه مجيء المظهر الإلهي ؛ بينما ترمز غروب الشمس في آخر النهار إلى ختام دورة الرسول الكريم وكمال رسالته .

وفي بعض الأحيان يقارن عبد البهاء مقدم الرسول بالربيع مشبها قوته الفعالة في أرواح الناس بانطلاق الربيع وتأثيره في عالم النبات . فهو يقول مثلا في المفاوضات :

« فلنلاحظ الآن كم لقرب الشمس و بعدها وطلوعها وغروبها من الآثار الواضحة والنتائج الظاهرة في الكائنات الأرضية . فآنا خريف ، وتارة ربيع ، وطوراً صيف ، وحينا شتاء . وعندما تجاوز خط الاستواء يتجلى الربيع المنعش للروح ؛ ووقتما تكون سمت الرأس تصل الفواكه والأثمار إلى درجة النشوء والنمو . فكذلك المظهر المقدس الرباني الذي هو شمس عالم الخلق : عندما يتجلى على عالم الأرواح والأفكار والقلوب يأتي الربيع الروحاني ، وتقبل الحياة الجديدة ، وتظهر قوة الربيع البديع ، وتشاهد الموهبة العجيبة . كما أنكم ترون أن في ظهور كل من المظاهر الإلهية يحصل رقي عجيب في عالم العقول والأفكار والأرواح .

وعلى الأخص فى هذا العصر الإلهى ترون كم حصل من الترق فى عالم العقول والأفكار، مع أنه لا يزال فى بداية الاشراق. وعما قريب تلاحظون أن هذه الفيوضات الجديدة وهذه التعاليم الإلهية ستنير هذا العالم المظلم وتجعل هذه الأقاليم الحزونة فردوسا أعلى(١)».

للسنة شتاؤها، وللنهار ليله، والحياة البشر نهاية هى الموت. وهكذا يعيد كل تاريخ نفسه، ويعود إلى الظلمة التى نهض منها. فعندما تصل سلطنة الرسل الكرام إلى ذروة الظهور، وتنضوى تحت لوائها أمة ضخمة، وتتأسس مدينة عظيمة؛ وعندما تؤمن الناس علانية بأن هذا الرسول هو رسول الله الحق فيبجل الجاهل والعالم أقل أقواله شأنا؛ وعندما يعد الملوك أنفسهم أقل شأنا من أبسط تلاميذه، حينئذ تأخذ الدورة التى بلغت الأوج فى الانحدار والهبوط: يدب الوهن بين الأتباع، وتتضعضع الحماسة، وتضعف الطاعة، وتبرد المحبة، ويخبو الإيمان تدريجا وتظل النظم العتيقة على ما هى عليه مع اصطباغها بصبغة خرافية؛ وتضعف صلة الناس بروح الرسول التى صعدت؛ ويتداعى شيئا فشيئا ذلك النظام الذى تأسس تحت رعايته وينحل.

ولو لم يكن هذا الانحلال والسقوط، والتنافر والخلاف والجحود لما كان ظهور نور سماوى جديد أمراً ضروريا. فحاجة الإنسان هى التى

---

(١) مفاوضات عبد البهاء: ص ١٤٣ من الترجمة العربية.

تستمد من السماء معونتها فى ظل قانون روحى دائم . وفى ساعة الموت الروحى واليأس تقترب شمس الحقيقة من الأفق مرة أخرى ، ويشرق على الظلمات فجر يوم جديد . فما من رسول بعث ؛ وما من دورة حلت إلا حين أخذت نار الدين تخمد ، وشرعت الناس تنهمك فى المادية المنحطة . قال السيد المسيح إن الأمر كان كذلك أيام نوح ، ويكون الأمر كذلك أيام الباب وبهاءالله ؛ كما كان كذلك فى يوم ظهوره أيضا . وعلى ذلك فالرسول لا يجد من الناس حين ظهوره استعداداً تاما أو تحفزاً شاملا لتلقى تعاليمه والعمل بها . ذلك لأن الناس لا يفهمون ما هى حاجتهم ولا يعرفون من هو منقذهم . فأنانيتهم وانهماكهم فى كل أنواع الماديات يجعلهم يتوقعون حدوث كل شىء إلا حدوث ظهور جديد للحقيقة ، أو ميلاد روحى جديد ، أو قدوم رسول جديد غير هذا الذى يقرون بهتانا بأنهم يحترمونه ويتبعونه . لم تنفرد بذلك دورة دون أخرى ؛ بل لقد توالى ذلك فى كل دورة من الدورات . كان النور يضىء فى الظلام ، وكان الظلام لا يدرك النور .

يقول بهاء الله فى الإيقان موضحا حقيقة هذا العمى المتعاقب ، ويشرح أسبابه ، متوخيا أن يساعد الناس على تفهم الدورة العظمى الحالية :

« أنظروا إلى الأيام السالفة : كم من العباد من شريف ووضيع

كانوا دائما ينتظرون ظهور الأحدية فى الهياكل القدسية ، بحيث كانوا فى جميع الأوقات والأزمنة يترصدون وينتظرون ، ويدعون ويتضرعون ، لعل نسيم الرحمة الإلهية أن يهب ، ويطلع جمال الموعود من خلف سرادق الغيب إلى عرصة الشهود . وعندما كانت تنفتح أبواب العناية ، ويرتفع غمام المكرمة ، وتظهر شمس الغيب عن أفق القدرة ، يقوم الجميع على تكذيبها وإنكارها ، ويتحرزون من لقائها الذى هو عين لقاء الله كما هو مذكور ومسطور بتفصيله فى جميع الكتب السماوية(١) » .

« إنه قد ورد على مظاهر القدرة ومطالع العزة فى جميع الأعصار والقرون ما يضطرب له القلم(٢) » .

« يجب على السالكين سبيل الإيمان ، والطالبين كؤوس الإيقان أن يطهروا أنفسهم ويقدسوها عن جميع الشؤون العرضية : أى ينزهون السمع عن استماع الأقوال ، والقلب عن الظنون المتعلقة بسبحات الجلال ، والروح والعين عن ملاحظة الكلمات الفانية ... لأن العبد لو أراد أن يجعل أقوال العباد من عالم وجاهل وأعمالهم وأفعالهم ميزانا لمعرفة الحق وأوليائه فإنه لن يدخل أبدا رضوان معرفة رب العزة ، ولن يفوز بعيون علم سلطان الأحدية وحكمته(٣) » .

---

(١) إيقان : ص ٢ من الترجمة العربية .
(٢) المصدر نفسه : ص ٥ .
(٣) المصدر نفسه : ص ١ .

« تأملوا حينئذ ماذا كان سبب هذه الأفعال ، ولم كانوا يسلكون هذا المسلك مع طلعات جمال ذى الجلال . إذ أن كل ما كان سبب إعراض العباد وإغماضهم فى تلك الأزمنة قد أصبح اليوم أيضا سبب غفلة هؤلاء العباد . فإذا قلنا إن الحجج الإلهية لم تكن كاملة ولا تامة ، ولهذا كانت سببا لاعتراض العباد فإن هذا يكون كفرا صراحا . لأنه بعيد جدا عن فيض الفياض ، وبعيد جدا عن واسع رحمته أن يجتبى نفسا من بين جميع العباد لهداية خلقه ، ولا يؤتيها الحجة الكافية الوافية ؛ ومع ذلك يعذب الخلق لعدم إقبالهم إليها . بل لم يزل جود سلطان الوجود محيطا على كل الممكنات بظهور مظاهر نفسه ، وما أتى على الإنسان حين من الدهر انقطع فيه فيضه ، أو امتنع نزول أمطار الرحمة من غمام عنايته . إذاً فليست هذه الأمور المحدثة إلا من الأنفس ذات الإدراكات المحدودة ؛ أولئك الذين يهيمون فى وادى الكبر والغرور ، ويسيرون فى بيداء البعد ، ويتأسون بظنونهم وبما استمعوه من علمائهم . لهذا لم يكن عندهم غير الإعراض ، ولا بغية إلا الإغماض . ومن المعلوم لدى كل ذى بصر أنه لو كان هؤلاء العباد ــ فى حين ظهور أى مظهر من مظاهر شمس الحقيقة ــ يقدسون ويطهرون السمع والبصر والفؤاد من كل ما سمعوه وأبصروه وأدركوه ، لما حرموا البتة من الجمال الإلهى ، ولما منعوا عن حرم القرب والوصال المطالع القدسية . ولما كانوا يزنون الحجة فى كل

زمان بمعرفتهم التى تلقوها عن علمائهم ، وكانوا يجدونها غير متفقة مع عقولهم الضعيفة ، لذا كان يبدر منهم فى عالم الظهور أمثال هذه الأمور غير المرضية .

«إن علماء العصر فى كل الأزمان كانوا سببا لصد العباد ، ومنعهم عن شاطئ بحر الأحدية ، لأن زمام هؤلاء العباد كان فى قبضة قدرتهم . فكان بعضهم يمنع الناس حبا للرياسة ، والبعض الآخر يمنعهم لعدم العلم والمعرفة ... فكم ورد على سلاطين الوجود وجواهر المقصود من ظلم رؤساء العهد وعلماء العصر الذين قنعوا بهذه الأيام المحدودة الفانية ، ومنعوا أنفسهم عن الملك الذى لا يفنى ، كما حرموا عيونهم مشاهدة أنوار جمال المحبوب ، ومنعوا آذانهم عن استماع بدائع نغمات ورقاء المقصود . ولهذا ذكرت أحوال علماء كل عصر فى جميع الكتب السماوية ... إن أساس اعتراضات الناس واحتجاجاتهم لم يكن إلا من عدم الإدراك والعرفان . فمثلا إنهم لما لم يفهموا البيانات التى صدرت من طلعات جمال الحق عن علامات الظهور الآتى ، ولم يصلوا إلى معرفة حقيقتها رفعوا علم الفساد ، ونصبوا رايات الفتنة(١) » .

والواقع أن رسالة كل نبى تجابه فى ميلادها وطفولتها اضطهادات وانتقادات من المسفسطين وأصحاب السلطان ، ويصبح أمره المحك الذى

---

(١) إيقان : ص ١٠ ــ ١٢ من الترجمة العربية .

يمتحن به رب الحق نفوس الخلق فى طهارة إيمانها وحقيقة ولائها ؛ فيفترق القرين عن قرينه ، والصديق عن صديقه ، والأخ عن أخيه ، والأب عن ابنه .

وهؤلاء الذين يثبت المحك الإلهى أنهم مؤمنون حقا هم أولئك الذين إذا قاموا يعترفون بإيمانهم وينشرونه وهب لهم مظهر الأمر قوة تفوق قوة البشر ، فلا يمكن أن تقاوم شهادتهم له . ومهما بلغ عددهم من القلة ، أو حالهم من الضعف والفقر والجهل ؛ ومهما كان عجزهم الجثمانى ظاهراً ؛ ومهما عرقلت الاعتراضات مسعاهم ؛ ومهما أخرست ألسنتهم السجون ، وأزهقت أرواحهم كئوس الشهادة فان الرسالة التى حملوها ونقلوها قد تلقاها عنهم الآخرون ، وهكذا . وفى النهاية تنتشر ويعم قبولها ويعترف الجميع بأنها هى كلمة الله بالذات . وبذلك تتم فترة الانتقال المعروفة فى الكتب المقدسة بيوم الحساب ، ويفتتح الدور الثانى : دور التقدم المادى . وعند تمام الوقت يحدث ما حدث فى جميع الأدوار السابقة : تمضى القرون وتكر الأجيال حاملة معها هذه الظاهرة المتكررة ظاهرة الضعف والاضمحلال .

هذا هو سير الأزمنة الذى قاده أولو العزم من الرسل واحداً بعد الآخر إلى الأمام فى طريق الزمن المعروف للتاريخ . كلهم سواء فى التكوين وفى الحركة ؛ وكلهم صبوا فى نفس القالب العنصرى الذى يشاركهم فيه

كل إنسان من حيث النشأة والحياة . وبينما تتصل جميع الأدوار بعضها ببعض اتصالا وثيقا نجد أن كل دور منها يكون فى ذاته وحدة كاملة ، ويسعى لهدف خاص؛ بحيث لا يكون له شبيه بين هذه المجموعة العامة .

إن تقدم البشرية كما يظهر فى التاريخ ليس ثابتا ولا على نسق واحد؛ بل إنه لأشبه فى حركته بالمد والجزر مع الأمواج التى تتقدم وتتراجع ، من النهر الذى ينساب فى مجرى هادئ . وإذا ضربنا مثلا آخر عن علاقة النبوة العظيمة بالبشرية قلنا إنها كعلاقة القلب بالجسم : فإن الحياة التى تنفثها فى العالم نبضاتها المتزنة هى كالدم الذى يندفع فى الشرايين . فهذه الأمواج المتوالية أو الدقات المتعاقبة هى نبضات القوة الإلهية المكونة لحوادث التاريخ الحيوية . فظهور أولى العزم من الرسل يعين الأدوار التاريخية العظيمة ؛ كما أن مدى رسالاتهم يميز أقسام الزمن التاريخية العظيمة .

الفصل الرابع

رسالة السيد المسيح

اختلفت مهمة السيد المسيح عن مهمة أولى العزم من الرسل الذين سبقوه . وذلك لأنه كلف إعلان قرب الظهور الأعظم لكل الأزمنة، وإتمام تهذيب البشرية وإعدادها لهذا الحادث الجليل . وتمتاز دورته عن الدورات السابقة جميعا بأنها تتوج مرحلة الإعداد هذه ، وتستقبل يوم الله الذي عبد طريقه الأنبياء السابقون .

ولم يتح للانسان حتى الآن أن يرى إلى عمل السيد المسيح على حقيقته ، أو يفطن إلى النسب الكاملة لحكمته وقضائه . فهؤلاء الذين أحسوا في أنفسهم بنعمة الغفران والخلاص التي فازوا بها عن طريقه قد رتلوا خلال الدورة المسيحية كلها أناشيد الحمد والشكر بمختلف الألحان؛ وكل ما استطاعت شفاههم أن تنطق به لا يكفي لسرد قصة اعترافهم بالجميل ، ولا للإفصاح عن مبلغ السعادة التي أدخلها في حياتهم . والمؤرخون

ـ المصدقون منهم والمكذبون ـ قد مجدوا أخلاقه النيرة ، وتأثير تعاليمه التى سمت بالإنسان ، وتغيير العالم الغربى الذى حدث بتأثير قوته . ولكن الناس لم يستطيعوا أن يقدروا رسالة المسيح حق قدرها ، ولا أن يتدبروها فى مجالها الأوسع ، ولا أن يضعوها موضعها اللائق بها من حيث صلتها بفكرة الخلاص الكامل التى هى هدف الله الباقى . لم يستطيعوا شيئاً من ذلك حتى أشرق نور الله على الأرض ، وأعلن بهاء الله أن الوحى الإلهى متصل ؛ وأن اتصاله قائم بتعاقب المربين الإلهيين منذ القدم .

ولو ارتد المخلصون بنظرهم إلى الماضى من أبواب عصر الله الذهبى لأمكنهم أن يروا من زاوية جديدة تلك القيم الكاملة لتعاليم المسيح التى كانت خافية من قبل ، وأن يسبروا غور ماتحويه أقواله الكثيرة وتكتنزه . فتوجيهات المسيح ـ شأنها شأن توجيهات أى رسول آخر ـ كانت بالطبع تتناسب مع حاجة وقابلية الناس الذين ظهر فيهم . فأغدق عليهم من خزائن علمه التى لاتفى ذلك القدر الذى يفيدهم على الوجه الأكمل . ولكن رسالته الخاصة بإعداد الإنسانية للحادث العظيم ـ الذى كان وشيكاً ـ صبغت تعاليمه بصبغة خاصة . فكان جوهر إلهامه منصرفاً إلى إعداد البشرية لهذا الامتحان الشديد : امتحان المحبة والروحانية التى توشك البشرية أن تتعرض له . كان نصب عينيه ذلك الملكوت العتيد ؛ وكان هدفه الأساسى

هو أن يهيء الناس لهذه المنحة الكبرى ؛ وأن يقويهم على مدافعة شدائد يوم الدينونة العصيب .

والآن ، فى هذا القرن العشرين ، حين بغتنا يوم الدينونة ؛ وحين كشف الرحمن عن أسس هذا الملكوت ، وأخذت معالمه تتشكل على الأرض يستطيع المؤمن أن يرى لأول مرة كيف أن رسالة المسيح كانت من دقة التقدير بحيث أنها قادت الإنسان فى تدرج طبيعى إلى عصر بهاء الله ؛ ويستطيع لأول مرة أيضاً أن يلم بشيء من ذلك العلم السابق ، وتلك الحكمة التى امتلأ بها صدر المسيح ؛ وكيف أن نظرته الثاقبة قد اخترقت قرون دورته الطويلة ، وطابقت فى لبها وقائع يوم الله الوليد .

كانت رسالة المسيح الأساسية هى الوعد والوعيد بأنه لن يمضى وقت طويل (بعد انتهاء جيل آخر — وكان الجيل قد بدأ فعلا) حتى يؤسس الله ملكوته على الأرض تأسيساً تقوم دعائمه على قلوب البشر ، ويهلك هؤلاء الذين لا يستحقون هذا الملكوت . والواقعة التى حلم بها الشعراء ، ورآها الأولياء ، وتنبأ بها الأنبياء لم تعد حلما أو أملا أو نبوءة ؛ بل هى واقعة تاريخية محققة .

كان هذا محور موضوع تعاليمه العظيمة منذ بدء دورته حتى نهايتها ؛ كما كان ذلك محور مبشره يوحنا : « منذ ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات[1] » .

---

(١) متى : ص ٤ ى ١٧ .

فكان استقدام ذلك الملكوت ـ عملا بهذا الأمر ـ جوهر صلاة المؤمنين طوال دورته : «ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض[١]» . كما كان التنبؤ بأنه سوف يتناول تاج الكرمة من جديد مع المخلصين يوما ما على الأرض في ملكوت أبيه، إحدى كلمات وداعه في بياناته أثناء العشاء الأخير .

لم تكن رسالة المسيح روحية كلها ؛ بل إن بعضها كان تاريخيا لا يفتح أبواب حياة مقبلة بعد الموت فحسب ، بل أبواب مستقبل الإنسانية على وجه الأرض . فهو لم يعلم الناس أن يقتصروا بنظرهم على السرادق الداخلي الذي أقامه الله في قلب الإنسان فحسب ؛ بل أن يمدوا أبصارهم إلى الأمام حيث يحين الوقت الذي يرفع الله فيه خيمته بين الناس عامة . وهكذا أصبح الرجاء فضيلة من الفضائل المسيحية الممتازة . ولم يكن هذا الرجاء هو الخلاص الروحي بالقياس إلى الفرد فحسب ؛ بل الخلاص الاجتماعي بالقياس إلى الجنس كله . أمر المؤمنين ألا يخافوا لأن سرور الرب كان في إعطائهم ملكوته الذي تحدث عنه فقال : « اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم[٢] » ؛ وقال : « أنا معكم دائما إلى النهاية » . ولم يكن يخاطب بذلك أولئك الذين وقفوا أمامه تلك

---

(١) متى : ص ٦ ى ١٠ .

(٢) متى : ص ٢٤ ى ٤٢ .

اللحظة ، بل كان يخاطب كل المؤمنين من « جيله » والجيل الذى يأتى من بعده . ونقرأ فى إنجيل متى أربعا من أعظم مواعظ المسيح : موعظة الجبل ، وتعاليمه لتلاميذه الاثنى عشر ، والأمثال السبعة المذكورة فى الإصحاح الثالث عشر ، وكلامه على جبل الزيتون . وقد أشار فيها إلى مجئ ملكوت الأب . ولم يكن فى إحداها إشارة إلى غير ذلك ؛ إن لم تكن جميعها منصبة على هذه الحقيقة دون سواها .

ومع أن التعاليم الروحية والتأكيدات القوية التى جاء بها المسيح كانت منصبة على أن جوهر الحياة هو العلاقة السليمة بين الفرد والله ، فإنها — فى معرض المقارنة — تعطينا صورة قوية مثيرة لنبوءاته التاريخية التى تناول فيها الحوادث الظاهرية والوقائع العالمية الشاملة . فهو لم يتكلم فيها عن الفرد وحده ، بل إنه شمل الأمم كافة والجنس البشرى قاطبة .

وليس هناك من اختلاف بين خصائص أحكام عيسى وجوهر وصاياه ، و بين تنبؤاته ووعوده . فإن المظهر الخارجى والروح لن يتغيرا مطلقا . والواقع أن ظهور بهاء الله بعد ذلك قد أرسل نورا تبين فى ضوئه أن كلا الناحيتين من تعاليم المسيح تتصلان بعضهما ببعض اتصالا وثيقا ثابتا . نعم إن التباين بين الناحيتين موجود ؛ غير أنه أصبح من الواضح الآن أن المبادىء الروحية التى اختصها المسيح بالتأكيد الشديد هى نفس المبادئ التى عليها تأسس ملكوت أبيه فى عالمنا الحاضر ؛ وأن تعاليمه الدينية

كانت ترمى إلى تهيئة البشرية لتلق هبة الملكوت الموعودة ؛ وأنها قدرت لتسمو بالجنس البشرى وتقويه على القيام بواجب تأسيسه على الأرض .

ولئن كان ملكوت الأب ملكوتا أرضيا بمعناه الساذج من حيث أنه يتأسس على وجه الأرض ، ويراه كل الناس ، ويعرفونه ، ويسكنون فيه ، فإن وصفه بأنه ملكوت روحانى حقيقة لا تقل ثبوتا ولا تأكيداً . فحكم الأب إنما يستقر قبل كل شىء على قلوب الناس ؛ وإذا ملك قلوبهم فإنه يوجه إرادتهم وأعمالهم . وإنه ليستحيل تحقيق مثل هذا الحكم ما لم تنشرح الصدور لله ، وتتهيأ للقياه . ولهذا كانت تعاليم المسيح فى صلبها موجهة إلى إعداد القلب إلى الله . وإنك لو قارنت بين تعاليم السيد المسيح وتعاليم سابقيه العظام لما وجدت تعاليم المسيح أعظم فى ناحيـة من النواحى منها فى تأكيدها العنيف على الروحانية والمحبة . فموسى — لأنه أتى قوما أقل نضجا فى عصر أقل استعدادا — لم يكن ليقول شيئا عن الحياة الأبدية . فجاءت ديانته خاصة بحياة واحدة ؛ وقال بأن الذين يعملون بوصايا الله يعمرون فى الأرض ، وينعمون بالسلام ، وكثرة الذرية . ولكن ديانة السيد المسيح جاءت شاملة للحياتين : الظاهرة والباطنة ، المادية والروحية ؛ وكانت أخراها هى الأهم . فهو لم يعلم المؤمنين به أن يعلقوا كل آمالهم على المكافآت الدنيوية ؛ بل علمهم أن الأولى بهم أن يطمعوا فى السعادة الأبدية ، وفى استجلاء طلعة الله ، والتشرف

بلقائه، والتمتع برحمته. وبينما كان لموسى قوانين وأحكام، نجد أن المسيح ـ كما تعرفنا شريعتنا ـ جاء بحكمين اثنين لا ثالث لهما : وهما تحليل الناس من السبت، وتضييق قانون الطلاق. ثم أزال نظام القربان المعقد فى طقوسه وماديته. ولا تحفظ لنا الوثائق أنه استبدل به أكثر من طقسين من الطقوس، كان كلاهما رمزيا. وعلى نقيض التقدمات التى فرضتها الشريعة القديمة فإن هذين الطقسين لم يفرضا تضحية مادية ما؛ ولم يعد فيهما ذلك الأمر القديم الذى يحتم على العابد ألا يقف بين يدى ربه ويداه خاليتان : فلا تقدمة من ثيران أو خراف أو نعاج، لا ولا يمامة صغيرة أو فرخى حمام. بل إن جدولا جاريا، ووجبة معتادة يكفيان المسيحى كل ما يحتاجه للتعميد والتناول. ومعنى الطقسين وقيمتهما يكمنان فى رمزهما الروحى : فالتعميد بالماء رمز إلى التعميد بروح القدس؛ ونار محبة الله (التى تكلم عنها يوحنا) والتى منحها المسيح لهؤلاء الذين استطاعوا أن يتلقوها. وما كانت بركة العيد التاريخى إلا تجديداً لهذه المحبة الروحية التى ميزت آخر عيد من أعياد الفصح المسيح بمجده الفذ الخالد.

أعلن موسى ـ ككل نبى من قبل ومن بعد ـ قانون المحبة. وكذلك فعل كل رسول عظيم. وقد أعلن بهاء الله أن كل الشرائع والنواميس إنما تغيرت وفقا لاحتياجات البشر فى العصور المختلفة، إلا قانون المحبة الذى

يفيض دائما كالنبع ، ولا يطرأ على مجراه تغير ما ، وقد أمر موسى المؤمن به بالمحبة فقال :

« فتحب الرب إلهك من قلبك ومن كل قوتك[١] » .

«لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك ، بل تحب قريبك كنفسك[٢] »

غير أن المسيح أظهر قانون المحبة فى صورة أكمل ، وأكد على إطاعته إطاعة أكبر ، فقال :

« وصية جديدة أنا أعطيكم : أن تحبوا بعضكم بعضا[٣] » .

وجعل المحبة البرهان الأوحد على أنهم تلاميذه حقا ، فقال :

« بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إن كان لكم حب بعض لبعض[٤] » .

فلئن علمهم أن الله هو الروح ، فلقد تعلموا منه أن الله محبة . فبمزاولة هذا الحب يعرف كل واجب الإنسان نحو خالقه ، ونحو إخوانه فى الإنسانية . ولما أراد أن يبلغ بالناس أسمى وأعظم مقام من تعاليمه أمرهم أن يكونوا كاملين كأبيهم ، الذى أبان لهم عن طبيعته بقوله إنه روح ومحبة .

---

(١) لاويين : ص ٢٩ ى ٨ .
(٢) يوحنا : ص ٤٣ ى ٣٤ .
(٣) يوحنا ص ١٣ ى ٣٥ .
(٤) تثنية : ص ٦ ى ٥ .

فلو أن الناس تعلموا من سيدهم ـ إبان الدورة المسيحية ـ درس المحبة والروحية هذا ، لكان تأسيس ملكوت الأب على الأرض اليوم أمراً يسيراً . وتأسيس الملكوت ـ الذى يعتقد البهائيون أنه يقوم الآن ثابت الدعائم على أسس راسخة ، وأنه يتشكل خلال انحلال الأمم ـ هو أعظم برهان قائم على حكمة السيد المسيح وقوته وانتصاره . ولم يقتصر السيد المسيح على ذكر علامات كثيرة يعرف بها قرب الملكوت واقتراب مجيئه ؛ بل إنه ذكر عدة حوادث وإنذارات بعضها واضح كل الوضوح ، صريح غاية الصراحة . أما الميعاد فلم يحدده ؛ وقال إن علم ذلك عند الله . ولكنه تنبأ بعدة واقعات و إنذارات لا يخطىء الظن شؤم بعضها ؛ وأمر الناس بارتقابها . وكان على الفترة أن تكون طويلة؛ إذ كان لا بد من أن ينتشر الانجيل فى بقاع الأرض أولا وقبل كل شىء. على أنه قبل أن يأتى ابن الإنسان سيندر الإيمان ؛ وسيكون الناس ـ لإهمالهم وعصيانهم ـ منهمكين فى الظلم والطغيان ، مستسلمين للمتع والشهوات الدنيوية . إلا أن مصير اليهود هو العلامة الحاسمة لآخر الزمان؛ فقد قضى عليهم خلال الدورة المسيحية أن يتشردوا ، وأن ينفوا فى الأرض ؛ فإذا استوفوا عقابهم، وأذن لهم فى الرجوع إلى أرضهم ، حينئذ قد يعلم العالم أن دورة قد انتهت ، وأن دورة أخرى قد بدأت .

نبوءة كهذه قد بلغت من الوضوح والجلاء حدا لا يمكن معه أن

يكون تحقيق مجيئه مستحيلا . بل إن السيد المسيح قد مضى إلى أبعد من هذا ، فكرر القول عن مجيئه بنفسه ، بلغة سهلة – كما كانت لغته دائما – ولكنها كانت تستلزم الانتباه الشديد ، وتتطلب الفحص الدقيق : فقد أعلن أنه سيأتى بقوة فى مجد الأب ؛ وأنه سوف يرسل ملائكته فى أرجاء العالم ، ويهلك الأشرار ؛ وأن جلاله سوف يضئ الظلام من الشرق إلى الغرب . غير أنه أعلن بما لا يقل تأكيداً أن مجيئه سيأخذ الناس على غرة : فكما يدخل اللص بليل داراً ينام ربها ملء جفونه فلا يدرى من الأمر شيئا، سيكون مجيئه إلى دنيا غلفتها الجهالة الروحية بحيث لا يلحظه أولئك الذين جاء لهم .

ولا تحفظ لنا التواريخ أن تلاميذه قد سألوه معنى هذه الإنذارات التى كانت أهميتها بادية بقدر تناقضها الظاهر ؛ كما أنه ليس بين أيدينا اليوم تفسير ما لأية واحدة من هذه المتناقضات . فهو قد أعطى الناس من المعلومات ما يكفيهم إذا ما جد الجد ؛ وترك البقية لاجتهادهم .

وكانت النغمة التى أتى بها نبوءاته عن فجر اليوم الآخر نغمة لم يتوقعها المستمعون إليه . إذ أنه لم يتكلم عن اقتراب خلاص العالم المختوم بنغمة مستبشرة ظافرة ، بل لقد كانت كلماته كلمات قلق وتحذير . ورغم أن اليوم العظيم الذى امتاز بالتنبؤ به كان موعد نصر الله الذى تزول فيه الأحزان، وتكفكف العبرات ، وينعدم الموت الروحى ، ويدخل الناس فى سلطان،

الوئام والسلام والسعادة الإلهية عندما يشرق الحق كالشمس فى ملكوت الرب ، إلا أن كلامه عن اقترابه كانت مفعمة بالتفكير الحزين . ولم ينفك عن التفكير فى حشر عام ، يندب هو إليه قاضياً ، ليدين كثيراً ممن حملوا اسمه ، وعدوا أنفسهم من أحبائه وأوليائه . فطبع بذلك على أذهان الناس فكرة دينونة عامة شديدة ، ومغفرة نهائية لا تكون إلا بعد معاناة طامة لا مثيل لها من قبل .

الفصل الخامس

ترقب يوم الأيام

بلغت تنبؤات السيد المسيح من التأثير العميق حداً جعل توقع المجيء الثاني في القوة والمجد تحتل مكاناً ممتازاً في العقيدة المسيحية الخالصة منذ أيام التلاميذ إلى قرون عديدة لاحقة ، بل إنها كانت النغمة الحادية في تعاليم بطرس و بولس ؛ وكانت موضوعاً لتلك السلسلة الرائعة من الرؤى التي تختم كتاب العهد الجديد . وارتبطت بأسماء كثير من عظماء آباء الكنيسة الأولين أمثال بابياس Papias ، و إرانيوس Irenaeus ، وجستين مارتير Justin Martyr ، وترتليان Tertullian . وهي موجودة في بعض الكتابات المسيحية الأولى : في رسالة برنابا ، وفي مواثيق البطارقة الاثنى عشر ، وفي هيرماس .

ورغم الاختلافات الكثيرة (لأن المؤمنين الأول ضيقوا الخناق على أنفسهم ، فتصوروا أن المجيء الثاني سريع الحدوث) فإن حميا هذا الرجاء

استبدت بالناس حوالى قرون ثلاثة ؛ ولم تشرع فى الفتور إلا فى أيام قسطنطين، حيث توارت عن الأنظار حول القرن الخامس حين انصرف عنها اهتمام الدوائر الكنسية . ولم تعد تظهر فى التاريخ إبان الألف سنة التالية إلا لماما .

على أن هذا الرجاء لم يمت قط فى قلوب الناس ؛ بل إنه بدأ يستعيد مكانته فى العقيدة المسيحية فى عهد النهضة والإصلاح الدينى . ومنذ أوائل القرن الرابع عشر ــ منذ أيام دانتى وجيوتو ــ شرع الفن والشعر الإيطالى يصوران يوم الدينونة والحساب صوراً لا تزال ذائعة الصيت . فلأُركانيا Orcagna مثلا لوحة فى كامبو سانتو Campo Santo فى بيزا ؛ وللوقا سينيوريللى Luca Signorelli أخرى فى كاتدرائية أورفيكتو Cathedral at Orvieto ؛ ولميشيل أنجــلو ثالثة فى سيستين شابل Sistine Chapel (١٥٤١) . بينما عالج فرا أنجليــكو Fra Angelico وتنتورتو Tintoretto الموضوع نفسه أكثر من مرة . ومن ثم ظهرت صور عدة للموضوع فى ألمانيا وغيرها . ويتزعم تلك السلسلة الطويلة لوحـــة اليوم الأكبر Dies Domini للســير إ . بيرن جونز Sir E. Burnes - Jones . وكذلك تغنى بيوم الدينونة والحساب شعراء قدماء، إن كانوا أقل شأنا من دانتى إلا أن مقطوعاتهم الشعرية لا يمكن أن تنسى :

في ذلك الزمان ، وفي حياته
سيدين الشعوب والقبائل بقضائه
ويدخل الأبرياء الأبرار في ملكوته .
في ذلك الزمان تسكون أماكن لم يسمع بها
ويمضي الليل عن كل موجود ،
وحتى الموت نفسه فإنه يموت !

ويبدأ شعراء الانجليز في القرن السابع عشر يكتبون عن اليوم الآخر ، فيقال هنرى فون Henry Vaughan مثلا :

ذلك اليوم ، نقطة الزمان القصوى،
حين يفنى كل شيء غير المقدس الأسمى؛
حين يهز إرنان البوق القوى العتيد
دعائم الأرض، فيزلزل الصخر الجلمود،
ويذوب كركام الثلج؛ حين تلمع البروق
كالبرد،وتستقر العروش البيضاء من فوق؛
ذلك اليوم حين يرسل الأب في المجد
أمير الحياة ، فيصطفى مختاري العهد
ترى ملايين الملائكة تطوف من حوله
بينما قبائل الأرض تنوح من هوله
ثم يقضي قضاء العدل متوجا بالسحاب

هذا يحيي ، وذاك يهلك بالحساب .

وكذلك قال جون دريدن John Dryden :

كأنما من قوة الأطباق المقدسة
تشرع الأكوان تتحرك
وتتغنى بثناء الخالق العظيم
لكل من بورك فوقنا ؛
فإذا كانت الساعة الأخيرة المخيفة
التهمت تلك المشاهد الهالكة
ودوى صوت البوق في الأرجاء
فقامت الأموات وماتت الأحياء
عندئذ تغمر الألحان أجواز السماء .

وبدأ كبار المفكرين وأساتذة المدارس الفكرية العديدة في القرن الثامن عشر يتذكرون مرة أخرى توقع رجوع المسيح . وكان من بينهم بنجل Bengel المتوفى ١٧٥١ الذي تعد مؤلفاته – بوصفه عالما – أساسا لكل نقد حديث يتناول العهد الجديد ؛ ومن بينهم السير اسحق نيوتن ، وشارلز وزلى Charles Wesley . وقد أرهفت فترة الثورة الفرنسية من الاهتمام بشارات الكتاب المقدس . وفي غضون النصف الأول من القرن التاسع عشر لعب التوقع العام لرجعة المسيح دوراً في العقيدة المسيحية

العامة أكبر مما لعبه منذ القرن الثانى ؛ وكان أشبه شيء بالاعتقاد الأول من حيث أن القدوم وشيك . وبالرغم من أن هذه العقيدة كانت خاصة بالطوائف البروتستانتية إلا أن المسيحيين من معظم الطوائف المختلفة - إن لم يكن من كل الطوائف - قد آمنوا بها ؛ وأثارت فى بعض الفرق المسيحية أعظم الحماسة . فجاهرت بها جماعات كالارفنجيين Irvingites . وأصبحت العقيدة المميزة لجماعات من الأدفينتست Adventists ؛ وروج لها فى أوروبا وانجلترة على حد سواء بعض رجال الدين الأمجاد أمثال دليتش Delitzsh ، وجودت Godet ، ورئيس الأساقفة ترنش Trench والأسقف إليكوت Elicott ، والأسقف رايل Ryle ، وكانون فرمانتل Canon Fremantle ، ومستر مودى Moody . وتضخم أدب الموضوع منذ أن كتب بنجل Bengel كتابيه : « Exposition of the Apocalypse » و « Ordo Temporum a Principio per Priodos Œnomiae Divinae Historicus atque Propheticus » . وأخذت تفسيرات النبوءات القديمة تتعدد وتختلف أكثر فأكثر . وحدد عالم من العلماء تاريخ المجىء بعام ١٧٨٥ ؛ وحدده بنجل Bengel بعام ١٨٣٦ ؛ وحدده وليم ملر William Miller بعام ١٨٣٤ - ٤٤ ؛ وحدده كمنج Cumming بعام ١٨٦٦ . وأحيانا كان حساب أهل الدين يتناول المجىء الثانى وكيفيته ومكانه بل ويومه . وفى مناسبة غير موفقة

اجتمعت جماعة من الناس فى مكان معلوم ليترقبوا السحاب الذى ينزل منه المسيح فى مسوحه البيض إلى الأرض قبل هبوط الليل .

على أن تسلط فكرة التوقع يمكن أن تكون مما يبالغ فى مداه بسهولة . إلا أنه من المحقق أن الكنيسة الرومانية والأرتودكسية على وجه العموم ، وأغلبية من المحافظين من الأوساط الأشد تحررا ، ظلت غير متأثرة به على الإطلاق .

على أن العقيدة الدينية فى ترقب المجىء لم تكن مقتصرة على العالم المسيحى وحده . بل لقد شاركه فى ذلك معتنقو الديانات العالمية الأخرى : فالبوذيون ينتظرون قدوم بوذا الخامس ؛ والزردشتيون قدوم شاه بهرام ؛ والهندوس التجسد العاشر الذى يسمى كالكى Kalki ؛ والمسلمون الظهور من الذين تنبأ بهما سيدنا محمد .

وقد بلغ انتظار القدوم الثانى أوجه لدى المسيحيين فى أواسط القرن الماضى ؛ ثم بدأ يضمحل حتى اختفى آخر الأمر عن الأنظار . بل إنه حينما تحققت إشارة عودة اليهود إلى فلسطين تحققا يثير طلعة كل من هو على علم بنبوءات المسيح ، لم يتيقظ ذلك التوقع الأول ، ولم يتحرك قلب العالم المسيحى ليبحث عن تفسير هذه الظاهرة المدهشة .

فهل كان هذا الأمل الحار المتحفز تكرارا للخطأ الذى وقع فيه المسيحيون فى القرن الثانى ؟ أم كانت كل هذه الحماسة وذلك النشاط

نتاج خيال مريض يؤمن بالخرافات ؟ أم أن أولئك الذين لم يبدوا اهتماماً بما يثيره التوقع من حماسة فياضة ، ولم يحسوا بقبس منه من الملأ الأعلى ، قد أثبتوا أنهم على حق ؛ وأن أولئك الذين طفقوا يترقبون تحقق الوعد القديم على خطأ بين ؟ كذلك يظن العالم اليوم . غير أن البهائيين يعتقدون عقيدة مخالفة . فهم يقولون بأن قدوم المسيح الثاني لم يكن حلما فارغا ؛ وإنما هو استجابة فطرية لحقيقة ثابتة . هم يذهبون إلى أن عالم الفكر الروحي الذي يعيش فيه الإنسان قد شحن ثم شحن مرة بعد أخرى بشارات الظهور المحتوم ، وأن العقول الروحية التي هي على اتصال بذلك العالم النوراني قد انطبع عليها طابع من الإحساس الوثيق بأن الميلاد المقدس واقع لا محالة .

ووارد في التواريخ أنه عند المجيء الأول المسيح ، سبحت إشارة رمزية من عند الله إلى أرواح الناس في طول الأرض وعرضها ، فذاع في الشرق الاعتقاد بحاكم عظيم ينهض من أرض يهودا . وقد ذكر ذلك سوتينوس Suetonious (Vesp. § 4) . وحسب تاكيتوس Tacitus أنها قد تحققت في ڤسباسيان Vespasian الذي احتفل مع نائبه تيطس Titus بالنصر الفريد بعد إخماد الثورة اليهودية ، وتدمير بيت المقدس عام ٧٠ بعد الميلاد . وقد وصلت هذه الفكرة غربا إلى روما حيث أشار إليها

فرجيل فى إحدى مقطوعاته إشارة غامضة كان المسيحيون يفسرونها دائما بأنها إشارة مباشرة إلى ميلاد المسيح ؛ وأوحى إلهامها للمترقبين بالاقتناع التام بهذه الحقيقة . وكان ذلك عندهم بمثابة طلوع النجم الذى استدل به سمعان Simeon القديم فى أورشليم والحكماء فى بعض الجهات .

على أن هذا الاعتقاد ، مهما بلغ من الانتشار والذيوع والتمكن ، فإنه لم يؤد بمواطنى فرجيل ، ولا بالمجوس ، ولا بأى شعب آخر إلى ترقب التجلى الإلهى ، ولا إلى إدراك مخلص العالم فى شخص نبى الجليل. بل إن اليهود أنفسهم غفلوا – رغم امتيازاتهم الفائقة ؛ ورغم الهداية التى اختصهم بها تاريخهم وكتبهم ؛ ورغم أن أرضهم كانت موموقة كمركز لهذا التوقع العام – غفلوا عن الحادث المقدس كغفلة أى شعب آخر من هؤلاء الوثنيين والأجانب الذين كانوا يعدونهم ضالين محتقرين .

ويقارن البهائيون عجز اليهود عن تقدير أهمية السيد المسيح بعجز العالم فى الآونة الراهنة عن إدراك أهمية بهاء الله وتعاليمه . فإنه يقال إن جمود العالم اليوم نشأ عن نفس المقدمات التى سببت الجمود نفسه من قبل. ففى حالة اليهود غلف التعصب والإغراق فى التقاليد حكم الناس وحكمة قادتهم ، وأفضى بهم خاصة إلى إساءة تفسير النبوءة . ذلك لأن النبوءات لم تحمل على محمل روحى أو مجازى ؛ وإنما أخذت على وجه حرفى بل صبيانى فى بعض الأحيان . فأصبحت حجابا يحجبهم عن الحق عوضا عن أن تكون نوراً يهديهم إليه .

وما أقيم ملاحظة عبد البهاء لهذا الفهم الخاطىء ، تلك الملاحظة التي أضافها بنفسه إلى كتاب الدكتور إسلمنت « بهاء الله والعصر الجديد » ، فقال :

« عندما ظهر المسيح منذ عشرين قرنا كان اليهود منتظرين مجيئه بشوق ، وكانوا في كل يوم يتضرعون قائلين : « اللهم عجل بظهور المسيح » . ومع ذلك حينما أشرقت شمس الحق أنكروه وقاموا ضده بأعظم العداء ، وأخيراً علقوه على الصليب مع أنه كان روح القدس وكلمة الله ، وسموه بعلزبوب (أي الشيطان) كما هو مذكور في الإنجيل . والسبب في ذلك - كما قالوا - هو أن ظهور المسيح حسب نصوص التوراة يكون له علامات . وما دامت هذه العلامات لم تظهر فإن كل من يدعي أنه المسيح كذاب . ومن بين هذه العلامات أن المسيح يأتي من مكان مجهول . ونحن نعرف منزل هذا الرجل في الناصرة . وهل يمكن أن يصدر عن الناصرة شيء جميل ؟ والعلامة الثانية أنه يحكم بعصا من حديد ، أي أنه يقوم بالسيف . ولكن هذا المسيح لم يكن عنده عصا من خشب . ومن العلامات والشروط أنه يجلس على كرسي داود ويؤسس مملكة وسلطة داود . ففضلا عن عدم تتويجه فإنه لم يكن يملك حصيراً يجلس عليها . ومن بين الشروط أنه يؤيد شريعة التوراة ، ولكن هذا الرجل نسخ شريعة التوراة ، وكسر يوم السبت مع وجود نص قاطع في التوراة يقضي بأن كل من

يدعى النبوة، أو يظهر العجائب، أو يكسر يوم السبت يجب قتله . ومن العلامات أنه فى مدة حكمه يسود العدل والحق والصلاح، حتى يتجاوز من الإنسان إلى الحيوان ، فيعيش الثعبان والفأر فى جحر واحد ، والصقر والحجل فى وكر واحد ، والأسد والغزال فى مرعى واحد ، والذئب والحمل يشربان من معين واحد . ولكن للآن يوجد الظلم والاستبداد ، وقد اشتد إلى درجة أنهم صلبوه . ومن الشروط الأخرى أن اليهود فى زمان المسيح يسودون، و ينتصرون على جميع أمم الأرض ؛ ولكنهم لا يزالون مقيمين على الذل والهوان فى مملكة الرومان . فكيف إذاً يكون هذا هو المسيح الموعود فى التوراة ؟ وبهذه الصورة اعترضوا على شمس الحقيقة. مع أن روح الله كان هو الموعود فى التوراة . ولكنهم لما لم يفهموا معنى هذه العلامات صلبوا الكلمة . والآن يقول البهائيون إن العلامات المدونة كلها ظهرت فى مجىء المسيح . غير أنه لم يكن بالمعنى الذى فهمه اليهود . فإن الوصف الموجود فى التوراة كان مرموزاً . فمثلا من بين العلامات علامة السلطنة . فالبهائيون يقولون إن سلطنته كانت سماوية ، وهى السلطنة الأبدية ، وليست مثل سلطنة نابليون التى تزول فى أقرب وقت. فقد توطدت سلطنة المسيح ألفى سنة ، وهى للآن باقية . وسيرتفع هذا الوجود المقدس للأبد فوق عرشه السرمدى . وهكذا بقية العلامات التى ظهرت . ولكن اليهود لم يدركوها ، وهم للآن ينتظرون مجىء المسيح

مع أنه قد مر الآن عشرون قرنا ، وهم يعتقدون أنهم على الصواب ، وأن المسيح كان كاذبا[1] . »

وبحال لا تختلف كثيراً عن تلك الحال يؤمن البهائيون أن الألفيين Millennarians في القرن الماضي قد سلبوا أولى ثمرات إلهامهم حين ضلوا عن معاني الإنجيل ، رغم ما كانوا يبدون من إحساس روحي دقيق . فحينما أخذوا مثلا عبارة رجوع المسيح على السحابة بمعناها الحرفي ، ضلوا التحذير الذي يتضمنه رمز السحابة (كما يشرحها بهاء الله في كتاب الإيقان) وجلبوا الاضطراب الشديد على أنفسهم بتصورهم أن المسيح ينزل بلحمه ودمه من الأجواز العلوية على سحابة سابحة . لقد ضلوا فهم رجعة المسيح الشخصية كلها لافتقارهم إلى الإرشاد فيما يتعلق بمبدأ توالي ظهورات الله . لم يلتمسوا رجعة مشابهة لرجعة إيليا في يوحنا المعمدان ، ولا ابراهيم في موسى ؛ وما فطنوا إلى أن الذي قال : « سأعود إليكم مرة أخرى » ، قال كذلك : « قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن » . ولذلك لم تتجه أفكارهم إلى ظهور ذلك الجوهر الخالد الثابت الذي دعاه المسيح : « أنا » في هيكل بشري آخر ؛ بل اتجهت إلى هبوط نفس الهيكل البشري الذي ولدته بينهم مريم العذراء . ويذهب البهائيون إلى أبعد من هذا ، فهم يؤكدون أن أوامر الله تعالى وأحكامه مذكورة في الكتاب المقدس بعهديه القديم

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد للدكتور اسلمنت : ص ١٣ — ١٤ من الترجمة العربية .

والجديد ، وفى كتب الديانات العالمية الأخرى ، بلغة واضحة لا غموض فيها ولا إبهام ؛ ولكن « الأشياء التى ظلت مخفية منذ تأسيس العالم » ، ومعميات المستقبل ، والتنبؤ بمجىء الملكوت قد ذكرت رمزا وإيماء ينطويان على معنى أعمق ، يختفى وراء تضاعيف الألفاظ بمعناها اللغوى .

ولذلك فإن هذه التنبؤات تتيح سوء الفهم ؛ والكتب المقدسة تحوى إنذارات تنذر بصعوبة فهمها على وجهها الصحيح . وميرزا أبو الفضائل العالم البهائى المشهور يتناول فى كتابه « الحجج البهية » موضوع نبوءات الإنجيل بالتفصيل ؛ ويدلل على أن التنبؤات المتعلقة باليوم الآخر كثيرة فى كل الكتب السماوية ، ولكن هذه الكتب تؤكد تأكيدا شديدا أن أحدا لن يستطيع — كما قضى الله — أن يفترع هذه التنبؤات ، أو يحسر القناع عنها إلى أن يشرق اليوم العظيم ؛ وأن التفسير الصحيح — حتى فى ذلك اليوم — سيمتنع إلا على أولئك الذين يجتبيهم الله . وهو يحتج بأقوال أشعياء :

« غلظ قلب هذا الشعب ، وثقل أذنيه ، واطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ، ويسمع بأذنيه ، ويفهم بقلبه ، ويرجع فيشفى . فقلت : إلى متى أيها السيد ؟ فقال : إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن ، والبيوت بلا إنسان ، وتخرب الأرض وتقفر ، ويبعد الرب الإنسان ، ويكثر الخراب فى وسط الأرض[١] » .

---

(١) أشعياء : ص ٦ ى ١٠ — ١٢ .

وكذلك يستدل بالموضعين الآتيين من رؤيا دانيال :

« أما أنت يا دانيال فاخف الكلام ، واختم السفر إلى وقت النهاية . كثيرون يتصفحونه ، والمعرفة تزداد[١] » .

« فقال : اذهب يا دانيال لأن الكلمات مخفية ومختومة إلى وقت النهاية . كثيرون يتطهرون ويبيضون ويمحصون . أما الأشرار فيفعلون شرا ، ولا يفهم أحد الأشرار ، لكن الفاهمون يفهمونه[٢] » .

وكما يكون ذلك فى العالم المسيحى يكون فى طوائف العالم .

ولقد أفضى سوء الفهم إلى إفساد التوقع العام لدورة عظيمة ؛ وأدى إلى نتائج غير محمودة ؛ وشلت التقاليد الجامدة أرواح الناس . ذلك لأنه لا يبدو أن ديناً قائماً فى أى ركن من أركان العالم قد آمن أتباعه بأن المجىء القادم سيحدث تعديلات أساسية ، ويسمو بالناس إلى مستوى فكرى وعقلى أعلى من ذلك الذى قنعوا به فى الماضى . بل كانت كل طائفة من طوائف الأديان تنتظر مدافعا يدافع عنها وحدها دون غيرها ، ويبرر معتقداتها ، ويدعم شرائعها ، ويسمو بها إلى زعامة كاملة لا تقبل التحدى على كل المعتقدات الفاسدة الأخرى التى يعتقدها بقية الجنس البشرى .

وعلى ذلك فإجماع العالم على المجىء المقدس لم يكن كاملا حتى نستطيع

(١) دانيال : ص ١٢ ى ٤ .   (٢) دانيال : ص ١٢ ى ٩ — ١١ .

أن ندعى أن ملل العالم كافة تقبـل الخاص الحقيق عند ظهوره. بل على النقيض . فان أهل الديانات العظمى لم يقنعوا برسم معالم صورتهم الخاصة المسيح فقط ؛ بل إنهم قد انقسموا إلى فرق عديدة صورت كل واحدة منها صورة المسيح القادم فى تفاصيل إن كانت أقل شأنا إلا أنها أشد تعسفاً . إذاً فهما أبدى للعلم الإلهى من استعداد ليكيف نفسه حسب تصور الطوائف المختلفة العديدة فإنه من الواضح أنه لن يرضى ـ بحال من الأحوال ـ إلا نسبة ضئيلة جدا من الناس ؛ وأنه سيخيب فى الوقت نفسه آمال الملايين من البشر . ومن الناحية الأخرى فإن المظهر الإلهى إذا جاء فإنه يجىء على خلاف ما يتوقعه البشر جميعا ـ كما كانت الحال مع كل المظاهر الإلهية السابقة ؛ فيظهر باسم جديد ، ويأتى بكتاب جديد . وهو لهذا لا يلقى من جميع فرق أديان العالم إلا الإنكار والإعراض ويقتصر الإقبال إليه على أفراد قلائل يحكمون عقولهم بحرية واستقلال.

ويعتقد البهائيون أن اللوم الأكبر فى عدم الاكتراث الذى قوبلت به تعاليم بهاء الله إنما يقع عـلى عاتق معتنق دين معين ، ألا وهم أهل الإسلام . فلو قدر لأهل الإسلام أن يتدبروا قليلا وجه الامتياز الذى امتاز به الإسلام على بقية الأديان ؛ ولو لم يرأس الشاه والسلطان ذوات الطغيان ، لكان حظ العالم (كما يؤمن البهائيون) أقل بؤسا ؛ ولكان مظهره أقـل شؤما وتهـديدا . ولو لم يكن مرآة الـكمال ،

ومظهر أمر الله الأعلى قد عانى السجن طيلة ظهوره لاستطاع ـ بدل أن يخاطب حكام العرب بالرسائل (وقد فعل ذلك) ـ أن يزور دولهم بنفسه؛ وأن يسبغ على إعلان رسالته ثقة مباشرة ، و ينفخ فيها تأثيرا تعجز عنه أية شخصية ملكية . ولو أذن له فى حرية كهذه لكان تجنب هذا التعطيل فى الاعتراف بأورشليم الجديدة ممكنا ؛ ولجنبت الأمم كثيرا من الويلات .

كان الإسلام آخر الأديان العالمية ؛ وهو يحوى عددا من التنبؤات تقرر بوضوح أنه مطلع الظهور الذى انتظره العالم . وكانت هذه التنبؤات أشد تحديدا من بعض الوجوه ، وأكثر تفصيلا منها فى الديانات الأخرى . فهو قد بين أن المجىء القادم ثنائى : أى أنه سيظهر مظهران لله ؛ كما نبه على أنهما إذا ظهرا أدخلا تغييرات بعيدة المدى فى كلا الدنيا والدين ، وجاءا بنظام اجتماعى جديد ، وتعاليم جديدة . وكل الطوائف الإسلامية تقبل الشطر الأول من النبــوة ، ولكننا لا نجد واحدة من بينها تقبل الشطر الثانى .

وفضلا على هذا فإن سيدنا محمد قد تنبأ بنبوءة تقف بموضوعها فريدة عن كل ـ أو قل عن معظم ـ النبوءات الأخرى ، لأنها لا تتناول الظهور الروحى نفسه ، ولا تأثيره ، بقدر ماتتناول المشكاة والمصباح والهيكل النورانى الذى كان عليه أن يأتى إلى هذا الوجود ، ليكون للظهور بمثابة الحرم .

كانت نبوءات السيد المسيح كثيرة عديدة . ولكنه لم يبين ذلك الدين الذى تنفض فيه مكنونات رجعته . وفى هذه النبوءات أشار إلى المسيحية مرة واحدة . وكانت تلك الالتفاتة تحذيرا يقضى بأنه سيطرح خارجا أولئك الذين يصنعون الشر باسمه . ولكنه لم يشر أية إشارة إلى مكان رجعته ، ولا إلى عنصرها الجسدى . ولكننا نرى سيدنا محمد يتنبأ فى إحدى نبوءاته المحددة العجيبة (التى لم يتنبأ بمثلها نبى من قبل) بأن مرآة الله القادمة ـ القائم ـ سيقوم فى أحضان الإسلام ؛ وأنه سوف يكون واحدا من عترته . ومن أجل هذه النبوءة الخطيرة الذائعة الصيت كانت عترته تلقى العناية فى الإسلام . وكان كل من تشرف بهذه النسبة يلقب بالسيد ؛ وكان يمتاز عن غيره من المسلمين بالعمامة الخضراء .

وكان من شأن تصريح واضح كهذا أن يضيق مجال البحث ؛ وأن ييسر واجب التعرف على القائم الجديد . ولو أن معتنق الديانات الأخرى قد اهتموا بهذه النبوءة لأمكن تجنب كثير من الأخطاء والمصائب . ولكن المسلمين أنفسهم ضيعوا تلك المعونة الرقيقة التى أمدهم بها نبيهم . وبالرغم من أنه كان لهم هذه النبوءات مع مئات غيرها لا تقل تبيانا إلا أنهم لم يفيدوا منها شيئا . وحين جاء موعد البر بالوعد اطرحوا وراء ظهورهم ـ فى غير تردد ـ ذلك السيد المتألق الذى لا تشوبه شائبة ؛ والذى التقت فى شخصه كل العلامات التى قال بها سيدنا محمد .

وكان اسم ذلك الذى اختير ليكون المظهر الجديد ميرزا على محمد ؛ وكان أول المظهرين المنتظرين . وكانت مهمته هى أن يمهد الطريق فى قلوب الناس المظهر الأعظم الذى يتلوه ؛ ولذلك تلقب بلقب « الباب » مشيرا إلى طبيعة عمله الإعدادى . فكان مقامه من بهاء الله مقام يوحنا المعمدان من المسيح . ولكن لما كانت دورته تمان نهاية التاريخ الدينى الإنسانى ، فقد نزل هو الآخر منزلة أولى العزم من الرسل ، وأفرغ عليه ما أفرغ على سيدنا محمد من كمال القدرة القدسية ؛ وجاء – كما يجىء كل رسول عظيم – مسبوقا بمن يبشر به . فقبل إعلانه الدعوة بإحدى وخمسين سنة نهض الشيخ أحمد الأحسائى – وهو رجل ذو خلق قدسى وذكاء نورانى – يعد المسلمين لقدوم القائم فى حرص وأناة . ورغم أن شهرته كانت عريضة ، وتأثيره عميقا إلا أنه لم يجد من بين أولئك الذين استمعوا إليه من يستطيع أن يقدر أهمية رسالته ، حتى دنا منه بعد عشرين سنة شاب – هو السيد كاظم الرشتى – توسم فيه نفسا روحية صافية ؛ فاتخذه صاحبا ورفيقا ، وظلا يعملان معا تسعة عشر عاما ، حتى مات الشيخ أحمد عن إحدى وثمانين سنة .

وقد عرف الشيخ أحمد من بادىء الأمر أن مظهرين إلهيين يوشكان أن يشرقا ؛ وأن اليوم المقترب سيأتى رائعا مجيدا . ولو أنه لم يلق الباب بشخصه ولا بهاء الله – من باب أولى – إلا أنه أشار إشارات خاصة إلى

مدينة شيراز ــ تلك المدينة التى كان لصوت الباب أن يرتفع منها ؛ حتى إن الناس اندهشوا من مبلغ الحماسة التى أبداها نحو هذه المدينة . فكان يجيبهم بألا يتعجبوا ، فعما قريب ستتجلى لهم أسرار كلماته ، ويعيش من بينهم نفر يشهد جلال يوم طالما اشتاق لرؤيته الأنبياء السالفون .

على أنه هو نفسه لم يعش حتى يرى طلعة ذلك اليوم العظيم . فلما تمت رسالته مات فى سن متقدمة حوالى ثمانية عشر عاما قبل إعلان الباب لدعوته . (مقالة سائح « Traveller's Narrative. Note « E) ودفن بالمدينة المنورة قريبا من قبر سيدنا محمد عليه السلام .

وقد قدر للسيد كاظم أن يلقى الباب شخصيا ، ليتعرف فيه على القائم ، ويعترف به اعترافا . ورغم أنه رفض أن يذيع اسمه إلا أنه أشار إليه إشارة واضحة لا تترك مجالا كبيرا للشك : فقال إن القدوم وشيك ، وإن القائم نفسه قائم بين ظهرانيهم : « ترونه بأعينكم ولا تعرفونه » . فإذا انهالت عليه الأسئلة كان يجيب بقوله : « إنه من العترة الطاهرة ، من ذرية رسول الله ، من بنى هاشم . وهو شاب أوتى العلم اللدنى ... وهو متوسط القامة ، . . . . وهو على كامل الورع والتقوى » .

وقد ظل حياته يوجه الناس إلى الظهورين المرتقبين . إلا أنه شدد التنبيه على تلاميذه فى أواخر أيامه ، وأمرهم أن يتخلوا عن كل ماملكت أيديهم ؛ وأن ينتشروا فى طول البلاد وعرضها بحثا عن ملك الملوك

المستور ، مالك اليوم الآخر المكنون ؛ عن ذلك الذى له أن يختار منهم من ينصر أمره .

قال لهم : « كونوا ثابتين إلى أن يختاركم أحبابا له وتكونوا ناصرى أمر القائم الموعود . هنيئا لمن يشرب منكم كأس الشهادة فى سبيله . الحق أقول لكم : إن بعد القائم يظهر القيوم » .

« وبعد أن يغرب الكوكب الأول تشرق شمس جمال الحسين وتضيء العالمين . وفى ذلك الحين ينكشف السر الذى تكلم عنه الشيخ أحمد ، عندما قال : « إن سر هذا الأمر لا بد أن ينكشف ، ويظهر سر هذه الرسالة ... فيا أحبائى المخلصين ! ما أعظم وأجل هذا الأمر ! وما أعظم المقام الذى أدعوكم إليه ! وما أعظم المهمة التى أعدكم لها ! فشمروا عن ساعد الجد ، واجعلوا وعده نصب أعينكم . أسأل الله أن يؤيدكم بفضله على أن تقاوموا عواصف الامتحان التى سوف تكتنفكم حتى تخرجوا منها ظافرين وبغير خطر سالمين ، وترتقوا مقاما عليا[1] » .

---

(١) مطالع الأنوار لنبيل : ص ٣٢ ــ ٣٣ من الترجمة العربية .

الفصل السادس

باب الإشراق

بعد عدة أشهر من ذلك اليوم الذى وقف فيه أتباع وليم ملر William Miller فى أمريكا مقلبين وجوههم فى السماء ليلمحوا أول لمحة من المخلص عائدا فى مجده بين السحاب ، أعلن الباب فى الشطر الآخر من الأرض رسالته الإلهية ؛ وبدأ يقوم بعمله المختار : ألا وهو إعداد الجنس البشرى لانبلاج فجر اليوم الآخر ، وقدوم مالكه .

ولد لعشرين خلت من أكتوبر عام ١٨١٩ ؛ وكان حين إعلان دعوته شابا فى الخامسة والعشرين من عمره . ولم يعدم أن يجد من بين تلك الأرواح المتلهفة الفعالة التى جمعها حوله لترفع علم أمر الله كثيرا من مثله ممن كانوا فى شرخ الشباب . ولعل حرارة شبابهم أعانت الحركة البابية على الاشتعال بروح الإقدام والمغامرة والشجاعة التى لا تقهر ؛ تلك الروح التى ساعدت على اشتهار أمرها بين الأمم . ولا شك فى أن سحر

بطلها الفياض ، ورقته التى جعلته يبدو قربان المحبة ، وقوته الغريزية الخاصة التى كانت تنتزع من كل أولئك الذين أسلموا له قلوبهم إخلاصا حارا لا يشفق من أية تضحية ؛ لا شك فى أن هذه الصفات ، مع ضغينة العلماء وكراهيتهم التى أوردته موارد الشهادة ، قد أضفت على تاريخ حياته القصيرة جمالا حزينا جعله قصة من أروع القصص فى تاريخ الأديان .

كانت غاية الباب الوحيدة منذ البدء إعداد الناس لقدوم بهاء الله . وفى عام ١٨٤٣ ـ أى قبل إعلان دعوته بعام واحد ـ رأى فى منامه رؤيا رمزية ، فلما استيقظ شعر بأن روح الله قد شملته وملكت عليه أمره . فرأى أمام عينيه ألطاف الدورة العظيمة التى توشك أن تكون . وكان اللقب المقدس ـ الباب ـ الذى تلقب به يعنى أن رسالته كانت تحضيرية ، غايتها أن تمهد فى قلوب الناس طريقا يمكن منها لهذه الدورة الجبارة أن تنفذ .

ولم تكن استعارة « الباب » غير مألوفة لدى المسيحيين . وقد استعملها المسيح فى مثل واحد من أمثاله الجميلة المحببة ؛ وأشار بها إشارة خاصة فذة : فقدم نفسه فى ثوب الاستعارة فى صورتين مختلفتين تماما . فقال : « أنا هو الباب » ثم قال : « الذى يدخل من الباب » ؛ ومضى يفسر أن « الذى يدخل من الباب » هو الراعى الصالح يتبعه أولئك الذين يعرفون الصوت الإلهى والكلمة المقدسة . أما عند المسلمين فقد

كان لقب « الباب » أكثر اشتهارا . وقد احتاط الباب للقب ألا يفسر تفسيراً خاطئا ، أو يفهم على غير ما وضع له . فأعلن على رءوس الملأ في مسجد شيراز عام ١٨٤٥ قائلا : «لعنة الله على من يعدني نائبا عن الإمام أو باب الإمام » .

كان بابا لمجيء جديد تماما . وفي كتابه الأول والأعظم يتجه إلى مولاه فيقول : « يا بقية الله ! قد فديت بكلي لك ، ورضيت السب في سبيلك ، وما تمنيت إلا القتل في محبتك » . ومع أنه أشاد بذكر تلاميذ المسيح ، فقد قال لحروف الحي — وهو يرسلهم لتبليغ أمره — إن يوم التلاميذ لا يعدل مجد ذلك اليوم الذي يوشك أن ينبلج . وكان يعلم حق العلم أن ذلك اليوم عالمي ينتظم الدنيا بأسرها ؛ وكان إذا ما فكر في أنه يعمل له هانت عليه المتاعب ، وحليت له الشدائد . أنظر إلى روح الفداء التي تتجلى في تلك الكلمات التي تنتهي بها صلاته على جثمان ولده الصغير :

« امنحني فضل سفك دمي وفداء حياتي في سبيلك ، واجعله يروى وينبت بذور دينك ، واشمله بقوتك السماوية حتى ينمو ذلك البذر الجديد في قلوب الرجال ، وينتعش ويعظم إلى أن يصير شجرة كبيرة وتجتمع وتستظل الأمم والأقوام تحت ظلها ، فأجب يا إلهي دعائي ، وائتم لي مراد قلبي ، إنك أنت القوي الكريم[١] » .

(١) مطالع الأنوار : ص ٦٠ من الترجمة العربية .

لم تكن تعاليم بهاء الله وحدها تحيط بالأرض . بل إن تأثير الباب بلغ الشرق والغرب . بلغ أقصى الغرب إلى طائفة « الأدفنتيست » فى أوربا وأمريكا ؛ وبلغ أقصى الشرق كما يتضح من قصة ذلك الدرويش الذى جذبه سحر الباب من الهند . قال هذا الدرويش إنه رأى الباب فى رؤياه حينما كان ثوابا فى الهند ، وانجذب له قلبه حين حدق الباب فى وجهه وأمره أن يترك موطنه ، وأن يقبل على قدميه إلى إيران حيث يجد ضالة قلبه فى چهريق . فتخلى الدرويش عن منزلته العظيمة ، وخلع عنه الأثواب الفاخرة ، ومضى إلى إيران على قدميه كما أمر . ولما بلغ الباب فى سجن چهريق اعترف له بنبوته ورسالته ، ثم عاد إلى الهند على قدميه كما جاء ، لينشر هناك بأمر الباب بشارات الأمر الجديد .

اشتهر الباب منذ صباه بالتقوى والحياة الطاهرة والفهم اللدنى للأمور الروحية . ويتحدث إلينا أولئك الذين عرفوه عن لطف معشره وشفقته ، ورقة حاشيته وهيبة جانبه . كان أشد الناس تواضعاً وبساطة ؛ جمع الرصانة وتوقد الروح . ولم يستطع أحد أن يخطئ شجاعته ولا استقلاله ولا سؤدد أخلاقه ولا شدة عزمه .

وكان تاجراً ، ولم يكن إدراكه لمعنى التجارة فوق مستوى أولئك السفلة الذين كان يعمل بينهم فحسب ؛ بل إنه كان مما يندر وجوده فى

أسواق العالم المسيحي . ويروى تاريخ النبيل حادثة من حوادث تجارة الباب ؛ فيقول :

« وذات مرة أودعه أحد الناس أمانة لبيعها بثمن معين ، فلما أرسل له الباب ثمنها وجده أكثر مما قدره . فكتب إلى الباب يستفهم عن السبب ، فأجابه الباب : « إن الثمن الذى أرسلته إليك هو حقك ولم أزدك شيئا . وقد أتى وقت على وديعتك وصل فيها ثمنها إلى تلك القيمة . ولما لم أبعها بذلك الثمن وجدت من الواجب على رد تلك القيمة » وكلما أراد البائع رد القيمة الزائدة امتنع الباب عن قبولها[1] » .

ومن ناحية أخرى كان الباب يقول إنه من الخطأ أن تأذن لتاجر فى أن يطلب منك أكثر من الثمن المقبول لشىء من الأشياء . وقد حدث أن طلب وهو فى السجن قليلا من العسل ، فاشتروا له العسل ، ولكنه رآه باهظ الثمن فرد العسل وقال :

« إن العسل الجيد يمكن شراؤه بقيمة أقل من هذه ، وأنا الذى أكون الآن مقتدا كم كنت تاجراً من قبل . فعليكم أن تقتدوا بى فى جميع معاملاتكم فلا تغشوا جيرانكم ، ولا تسمحوا لهم بأن يغشوكم ، هذا هو طريق مولاكم » . فلم يتمكن أمهر الناس ولا أمكرهم من أن

---

(١) مطالع الأنوار لنبيل : ص ٦٣ من الترجمة العربية .

بمثه ؛ وكذلك هو لم يقبل أن يعامل أقل مخلوق وأضعفه معاملة خارجة عن الإنصاف[١] » .

وحين كان الباب يظهر بمظهر التجار فى غمار الناس كان يتمتع بصداقة الجميع وتقديرهم . إلا أنه حينما أعلن لحسين قائلا : « أنا الباب : باب الله » ؛ وحين أعلن ما يشبه ذلك لميرزا محيط فى مكة ، وبلغ رسالة الله إلى شريف مكة داعياً إياه إلى أن يعتنق أمر الله ؛ وحين أعلن أمام وارث عرش إيران وعلى رءوس الملأ فى تبريز قائلا : « أنا الموعود الذى دعوتم باسمه ألف سنة » ؛ وحين كتب إلى محمد شاه : « إنى أنا النقطة التى ظهر منها كل الوجود ... وإنى أنا وجه الله الذى لن يفنى ولن يطفأ » ؛ وحين كان يجرى قلمه فى سرعة فائقة بالرسائل والتفاسير والكتابات الأخرى التى بلغت آخر الأمر على حد قوله خمسمائة ألف آية ؛ وحين أرسل أتباعه التسعة عشر يمهدون الطريق للأمر ؛ وحين انجذب إلى تعاليمه الجديدة ــ بتأثيره وتأثيرهم ــ الجموع الغفيرة فى الأقاليم المختلفة ؛ حين بدأ يظهر مثل هذه الأعمال والجهود اتخذ رؤساء إيران الذين أدركهم الحقد والحسد احتياطات شديدة ليعرقلوا مساعيه ، ويغيروا مجرى التيار العام ، ويهدموا المظهر الإلهى الجديد وما عمل .

وكانت التعاليم فى حد ذاتها تعاليم لا يمكن لمن أحب الله والبشرية أن

---

(١) مطالع الأنوار لنبيل : ص ٢٤٠ من الترجمة العربية .

يعترض عليها : وقد كتب اللورد كرزون (Lord Curzon) فى كتابه : « إيران والمشكلة الإيرانية » صفحة (٥٠١ — ٥٠٢) فقال : « يمكن أن تعرف البابية بأنها عقيدة الإحسان والإنسانية العامة . فمن عقائدها المحبة الأخوية ، والعطف على الأطفال ، واللطف المقترن بالعزة والضيافة والكرم والتحرر من التعصب ، والصداقة حتى للمسيحيين » .

ويمكن أن ترى طهارة أمر الباب وسمو منزلته من ذلك الخطاب الذى خاطب به أصفياءه المختارين وهو يرسلهم إلى أنحاء إيران لنشر دعوته وهو يمضى فى جزء منه كما يلى :

« يا أصحابى الأعزاء ! إنكم حاملون للواء الله فى هذا اليوم ؛ وإنكم مختارون أمناء على سره . فعلى كل منكم أن تظهر منه صفات الله ؛ وأن تتجلى فى أقوالكم وأفعالكم علائم الصدق والقوة والعظمة حتى أن أعضاء جسمكم تشهد بنبل مقصدكم وطهارة حياتكم وصدق إيمانكم وعلو منزلتكم. لأنى أقول لكم إن هذا هو اليوم الذى تكلم عنه الله فى كتابه : «اليوم نختم على أفواههم ، وتكلمنا أيديهم ، وتشهد أرجلهم بما كانوا يعملون » تفكروا فى كلمات المسيح إلى تلاميذه عند ما أرسلهم لتبليغ أمر الله . قال لهم وهو يأمرهم بالقيام لإتمام المهمة المكلفين بها : إنكم كالنار المشتعلة فى ظلام الليل الموقدة على ذروة الجبل . فليكن نوركم ساطعاً أمام جميع الأنظار ؛ ولتكن طهارة أخلاقكم وشدة انقطاعكم بحيث يتقرب أهل

الأرض بها إلى الأب السماوى ، منبع الطهارة والفضل ، و يتعرفون إليه . فأنتم أبناؤه الروحانيون ، عليكم أن تظهروا بأعمالكم فضائله ، وتشهدوا بعظمته . فأنتم ملح الأرض ؛ فإذا فسد الملح فبماذا يملح ؟ يجب أن يكون انقطاعكم بحيث أنكم إذا دخلتم مدينة لتبليغ وتعليم أمر الله فلا تنتظروا مكافأة من أهلها؛ بل إذا خرجتم منها فانفضوا الغبار عن أرجلكم . فكما دخلتموها طاهرين كذلك اخرجوا منها طاهرين ؛ لأنى الحق أقول لكم إن أباكم السماوى معكم ، وهو ينظر إليكم فإذا كنتم أمناء لأمره فإنه يدفع لأيديكم كل ثروة العالم، و يرفعكم على حكام وملوك الأرض. فيا حروف الحق ! أقول لكم إن هذا اليوم هو أرفع وأجل من أيام الرسل السابقين، بل البون والفرق شاسع بينهما ؛ فأنتم شهداء فجر يوم الله الموعود ، الشاربون من كأس وحيه المختوم . فشمروا عن ذيل الجد ، وتذكروا كلام الله الذى نزل به الوحى فى كتابه : «وجاء ربك والملك صفا صفا» ؛ فاغسلوا قلوبكم عن أدران الشهوات فى هذه الدنيا ، واجعلوا زينتكم فضائل الملأ الأعلى ، واجتهدوا أن تكون أعمالكم شاهدة على صدق هذه الكلمات الإلهية ، واحذروا : إذا ترددتم أو توليتم أن يستبدلكم ربى بقوم آخرين، ثم لا يكونون أمثالكم . وهم الذين يأخذون منكم ملكوت الله. فقد انتهت الأيام التى كانت فيها العبادة المقرونة بالكسل والفتور كافية . والآن قد أتى الوقت الذى لا تصعد فيه الأعمال إلى عرشه الأعلى إلا إذا

كانت طاهرة نقية ؛ ولا تكون مقبولة لديه إلا إذا كانت خالية من أثر الدنس (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) . فأنتم المستضعفون الذين نزل فى شأنهم فى الكتاب : « بل نريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ». فقد دعاكم ربكم إلى هذا المقام وستصلون إليه إذا وضعتم تحت أقدامكم كل رغبة وشهوة أرضية ، واجتهدتم أن تكونوا من الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . فأنتم الحروف الأولى التى نبتت من النقطة الأولى ؛ والعيون الأولى التى انبجست من ينبوع الوحى . فتضرعوا إلى الله أن لا تعوقكم الشؤون الأرضية ولا الشهوات الدنيوية ؛ وأن لا تعكر شؤون الخلق صفو ذلك الفضل الذى يجرى فيكم ، أو تقلب حلاوته بمرارة . لأنى أعدكم لمجىء يوم عظيم . فابذلوا غاية الجهد حتى أمام كرسى رحمة الله فى العالم الآتى أكون أنا الذى أعلمكم وأرشدكم مبتهجا بأعمالكم ومفتخرا بما تم على أيديكم . وأما سر ذلك اليوم الآتى فمستور لا ينكشف الآن . لأن مولود ذلك اليوم الجديد يفوق أعقل وأشرف الناس فى هذا الزمان، وأصغر عامى فيه يفوق فى العلم والمعرفة أعلم العلماء والفقهاء فى هذا العصر . فانتشروا فى جميع الجهات وأعدوا الطريق لمجيئه بأقدام ثابتة وقلوب طاهرة . ولا تنظروا إلى ضعفكم واستكانتكم . بل اجعلوا أنظاركم دائما متوجهة إلى القوة القاهرة من ربكم و إلهكم القدير . قوموا على اسم

الله ، وضعوا ثقتكم فيه ، وتوكلوا عليه ، وأيقنوا بالنصر والفوز فى النهاية[١] » .

ونظراً لقصر حياته ، ولإبعاده عن أتباعه أربع سنوات من مدة رسالته البالغة ست سنوات حرم من توجيههم إلى الطريقة العملية فى تطبيق رسالته ؛ كما حرم من الإفاضة فى شرح التغييرات التى سوف تحدثها هذه الرسالة . وكان المؤثر فى إيمان البابيين الأول هو الإخلاص لشخصه والإيمان الراسخ بنبوته، أكثر مما كان الإقبال على مستوى خلق جديد ، أو فلسفة محدثة فى الحياة .

كانت تعاليم الباب حلوة جذابة كأخلاقه ؛ غير أن مهمته ، وهى تعبيد الطريق لقدوم بهاء الله وما صحب ذلك من تنديد علماء إيران ، جعلته يبدو، أولا وقبل كل شىء ، محطم أصنام ، ومهاجما للمفاسد ، ومزيلا لتقاليد بالية كانت عند القوم من صميم الدين . وكما اتهم اليهود القدامى المسيح بأنه « يغير الشريعة التى أعطاها لهم موسى » اتهمه المسلمون ــ فى غير قليل من الحق ــ بأنه يغير الشريعة التى أمر بها سيدنا محمد .

ولقد أثبت أولئك الذين تزعموا الإسلام أنهم عاجزون عجزاً محزنا عن إدراك عظمته ، والاعتراف بصحة رسالته ؛ أو تقدير تلك الهبات التى التمس أن يسبغها عليهم وعلى بنى وطنه . وكان من دأبهم أن ينظروا

(١) مطالع الأنوار لنبيل : ص ٧٢ ــ ٧٤ من الترجمة العربية .

إلى الأمور بالقياس إلى أنفسهم ، وأطماعهم الشخصية . وكانت أطماعهم ضيقة تافهة سمجة ؛ ذلك بأن روح الدين الذى جاء به سيدنا محمد وقام عليه الأئمة كان قد فنى منذ زمن بعيد ؛ وأصبح الأمر كما بين الشيخ أحمد والسيد كاظم : أنه من المتعذر ، إن لم يكن من المستحيل ، أن تجد الإخلاص فى الإيمان. نعم، بقى هيكل الدين، واستمر رسم العبادة، ولكن رغم كل هذه المظاهر فإن الحقيقة قد ضاعت ؛ وعمل علماء الإسلام على تفسير تعاليم رسولهم محورين إياها حتى تلائم أغراضهم الشخصية وأهواءهم ملاءمة تامة . فتبلورت على أيديهم نظاما يشجع كل صورة من صور الجشع والاستعباد . وتمكن أمراء الدولة وعلماء الدين من أن يزاولوا باسم نبيهم أهواءهم الدنسة ، لا ينير قلوبهم قبس من محبة ، ولا تعيقهم خشية من الله ولا خوف من عذابه ونقمته . وقد تحدت إصلاحات الباب زيغ العصر ونفاقه . فلما انتشرت تعاليمه القوية بسرعة إلى كل الأرجاء عبئت ضدها فى الحال قوى الحكومة . منذ ذلك الحين أصبحت قصة الباب ودعوته إحدى المآسى الظالمة ، حتى خيل آخر الأمر أن نور المحبة قد انطفأ فى غبار الموت إلى غير رجعة .

حاولت السلطات بادىء الأمر أن تسخر من الباب وتحتقر شأنه ؛ وأن تثنيه عن أمره بالعقاب الصارم . فلما أخفقت فى تلك المحاولة سجنته فى حصن منيع ، محظرة عليه الاتصال بالعالم الخارجى . واتهم أتباعه بأنهم

أعداء الدولة والدين . فقاسوا كثيرا من العنت والإرهاق ، وأرهبوا وضربوا وقتلوا فى بعض الأحيان . وفى ثلاثة أقاليم بلغ الاتهام من القسوة أن تسلح البابيون دفاعاً عن أنفسهم بعد أن يئسوا . وفى تبريز وزنجان احتلوا مواقع عسكرية كانت بطبيعتها خالية . وفى مازندران ابتنوا لأنفسهم ، تحت إمرة ملا حسين والقدوس ، حصنا ساذجا ولكنه حسن الاستعداد على أية حال . وفى تلك الأحوال التى كانت فيها حركاتهم خاضعة للظروف الهوجاء عسكرت ثلاث جماعات من البابيين بعد أن حصلوا على ما استطاعوا الحصول عليه من الأسلحة الصغيرة ، منتظرين فى طمأنينة هجوم المغيرين. وما تلا من الحوادث يعد من أروع المعارك فى تاريخ الحرب غير المنظمة. ولا يتأتى للمرء أن يجد فى هذا المعنى خيراً من قول الشاعر : « قوتى تعادل قوة عشرة لأن قلبى طاهر » . تلك الحوادث تكذب المثل المعروف الذى قاله فاتح عظيم، ألا وهو أن الله مع الأكثر نفراً ؛ لأن الله كان بغير شك فى تلك الحوادث مع الفئة القليلة التى غلبت الفئة الكثيرة ؛ وكان مع الضعيف الذى غالب القوى . وقد يصف الجندى النظامى البابيين بأنهم « غوغاء مسلحون » ، لأنهم تألفوا جميعا من مدنيين من كلا الجنسين، ومن مختلف الأعمار ؛ انصرف بعضهم عن متاجرهم ، وهجر بعضهم منابرهم ، ولكن أحداً لم يأت من الميدان . وكان عددهم فى كل مرة صغيراً . كانوا فى مازندران مثلا لا يتجاوزون الثلاثمائة إلا قليلا ؛ تسير

إليهم خير الفصائل من جيوش الشاه حافلة بالمشاة والفرسان والمدفعية فى تمام عدتهم تحت إمرة ضباط ممتازين؛ فيضربون الحصار حول البابيين فيقاسى هؤلاء من أهوال الحصار ما شاء لهم الحرمان والزاد القليل. نعم كانوا يصابرون الشدائد، حتى أنهم كانوا يقتاتون أياماً طوالا بالعشب المسلوق؛ إلا أن إيمانهم ظل ثابتا لا يتزعزع، وشجاعتهم قوية لا تهن ولا تضعف، وحماستهم فياضة لا تخور ولا تفتر. وكانوا حريصين الحرص كله على أن يقفوا موقف المدافع، تاركين لعدوهم أن يقف موقف المهاجم. غير أنهم فى بعض الأحيان كانوا يحسون من العدو نية الهجوم فيسبقونه إليه، فيخرج منهم مائة أو من يقارب المائة ليفسدوا خطة العدو، ويقلبوا مدافعهم رأساً على عقب، ويشتتوا شملهم. فإذا ما أفسدوا عليهم هجومهم كفوا عن تعقبهم، ونكسوا أسلحتهم، وعادوا إلى حصنهم ليتمتعوا جهد طاقتهم براحة قصيرة إلى أن يشتد أزر العدو من جديد ويتأهب لهجوم جديد.

قال القدوس فى غضون الأيام الأخيرة من حصار مازندران، وقبل شهادته بقليل مقاله التالى:

« منذ أن قطنا فى هذه القلعة لم نقبل بأى حال أن نسعى فى التعدى على أعدائنا، ولم نقم للدفاع عن حياتنا حتى بدأونا بالهجوم علينا. ولو كان غرضنا الطمع فى إعلان حرب دينية عليهم، أو كان عندنا أقل قصد فى

الحصول على السيادة بقوة أسلحتنا على الكفار لما بقينا محصورين داخل جدران هذه القلعة إلى هذا اليوم . ولكانت قوة أسلحتنا قد غلبت الأمم كما كان الحال مع أصحاب محمد فى الأيام السالفة ؛ ولاضطررناهم إلى قبول الدعوة . ومنذ التجأنا إلى القلعة كان قصدنا الوحيد الذى لم يتغير هو إثبات سمو الدعوة بأعمالنا واستعدادنا للتضحية وسفك دمائنا فى سبيل ديننا ؛ وأن الساعة الآتية قريبة ، تحين عندما تكمل أعمالنا[1] » .

هذا الصراع الفذ بين حفنة من البابيين العزل وبين كتائب الشاه المطوقة دام فى كل مرة شهوراً . ولم تكن الخسائر ، ولا المشقات توهن من استماتة الدفاع ؛ ولم يخطر للمحاصرين أن ينقذوا أرواحهم باطراحهم عقيدتهم أو مساومة أعدائهم فيها . فإذا خلوا لأنفسهم بعد الدفاع عن أنفسهم قرأوا كتبهم ، ورتلوا بحماس مشتعل مناجاتهم لمولاهم الباب ، شاكرين الله على ذلك الإخلاص السماوى الذى تدفق فى قلوبهم . وفى مازندران ونيريز مل قائدا حاميات الحكومة الحصار ، وخجلا من تكرر الهزائم التى منيت بها كتائبهم ، فهادنوا البابيين ووعدوهم (مقسمين بأغلظ الأيمان) أن يعفوهم من التحرش والمناوشات ؛ وأن يخلوا سبيلهم . ولكن ما إن خرج المحاصرون من حصونهم ، وألقوا سلاحهم وتفرقوا حتى انقضوا عليهم هم والأهلون ذبحاً وتقتيلا فى غير قليل من التعذيب والتنكيل . وفى زنجان

---

(١) مطالع الأنوار لنبيل : ص ٣١٥ من الترجمة العربية .

كانت الكتائب أكثر عددا والصراع أدوم أمدا . وفى الشهر العاشر كان البابيون فقدوا ما يقارب الألف رجل من بينهم قائدهم : الحجة . وشن قائد قوات الشاه غارة شعواء يائسة على الحصن ؛ وأفلحت كثرة العدد وحدها فى إخراج البابيين من القلعة إلى المنازل المجاورة حيث منوا بالهزيمة مرة أخرى . فلما رأوا أن حالهم لن تدوم على هذا النحو ؛ وأن من بينهم كثيرا من الأولاد والنساء والجرحى، حمل منهم من كان قادرا على القتال سلاحه عازما على القتال حتى الموت ؛ فقتل بعضهم وأسر بعضهم وانتهت المقاومة بذلك . وهكذا ضحى فى سبيل الإصلاح الدينى فى إيران بأعظم أتباع الباب حماسة؛ بما فى ذلك أربعة من أقدر الزعماء، وهم : ملاحسين أول من آمن بالباب فلقب « بباب الباب » ، والوحيد ، والحجة ، والقدوس الذى كان أقرب إلى الباب من أى تلميذ آخر .

ولم تكن فاجعة تضحية كل هذه الأرواح بالجريمة الوحيدة ؛ ولا كانت بأعظم الجرائم التى ارتكبها الظالمون فى تلك الديار ؛ بل لقد أضافوا إليها جريمة أشد فظاعة. فقد أحسوا أن جلال الباب لا يزال يتألق من سجنه الموحش على الجبال الشمالية ، باعثا الاضطراب والقلق فى ظلماتهم ، منيرا لأتباعه سبيل التقدم ؛ وأدركوا أنه ما دام حيا فإن سوء أعمالهم سيظهر وتضمحل قواهم . وكانت قوة محضره ــ وإن لم يشكو لحظة واحدة فى تأثيرها ــ لا تزال قادرة على أن تكسب إليها أتباعا جددا، وأشفقوا من

أنه لو أفلح مرة واحدة فى أن يلق الشاه فلقد يكسبه إليه ، ويحرمهم من ميزة قربهم من الذات الملكية . وعلى ذلك فلن يهدأ لهم بال إلا إذا مات الباب .

وكثيراً ما تمنى البـاب على ربه فخر الشهادة ؛ وكثيرا ما تنبأ بأن دعواته وتمنياته لن تذهب سدى ؛ وعين لبعض أتباعه اقتراب الأجـل المحتوم . أما وقد علم بأن هذا الأجل قريب ، فقد جمع كل الألواح التى كانت فى حوزته، ووضعها هى وذخائر شخصية أخرى فى صندوق، وأرسلها جميعا مع معتمد إلى سيده بهاء الله .

وبعد أيام قلائل (بأمر من الوزير الأكبر لا صبغة له من العدل ولا من القانون) دعى من سجنه إلى تبريز . وهناك فى اليوم التاسع من يوليو سنة ١٨٥٠ بمحضر من عشرة آلاف رجل تزاحموا فى النوافذ والأسطح ليشهدوا هذ المنظر ، حظى بغاية آماله العزيزة . وبعد أن وهب محبوبه كل ما تستطيع الحياة أن تضم من الهبات ، توج هباته ببذل الحياة نفسها .

أما جثمانه الذى مزقه الرصاص إلا الوجه ـ الذى أصابته خـدشات طفيفة ـ فقد حافظ عليه أتباعه وأخفوه بإرشاد بهاء الله فى مكان أمين ؛ حتى نقـل نهائيا إلى الأرض المقدسة . وهو الآن يثوى فى مقامه على سفح الـكرمل .

خلف استشهاد الباب ـ واستشهاد الشخصيات البارزة من أتباعه ـ بقية الأتباع محيرين مضطربين زمنا ما . ولكن كان من بينهم من كان قادرا على أن يجابه الموقف ؛ وأن ينفخ الشجاعة فى القلوب الكسيرة ؛ وأن يمضى بذلك العمل الذى ظن أعداء الباب أنه قد انحدر بموته إلى هوة النسيان ، إلى الأبد .

على أن الذى أصابه الأمر منذ نشأته يرجع فى غير قليل إلى جهود سيدة من بيت عريق ترى تعرف بقرة العين أو الطاهرة . تلك التى جعلتها عبقريتها ونبوغها ألمع الوجوه فى صدر تاريخ الحركة البابية . وقد كتب عنها الأستاذ براون ما يلى :

« إن ظهور مثل تلك المرأة ... يعد فى أى قطر وفى أى عصر ، ظاهرة نادرة ؛ ولكنه فى قطر كايران يعد إسرافا ، لا بل معجزة تقريبا . فهى تقف فى جمالها الباهر ، وذكائها النادر ، وبلاغتها الفياضة ، وإخلاصها الجسور ، واستشهادها المجيد ـ تقف خالدة لا يدانيها مثيل من بين نساء وطنها . ولو لم يكن للدين البابى من سبب يمت به إلى العظمة لكفاه سببا أن يخرج للناس بطلة كقرة العين[1] » .

وقد كتب عنها شهود ثقاة غيره بحماسة وحرارة . وقد جعلها الباب فردا من تلاميذه المختارين ، أى من حروف الحى . وكانت هى المرأة الوحيدة

---

(١) مقالة سائح – Browne : Traveller's Narrative

بيتهم . ولقد بلغ من صفاء بصيرتها ، ومن عمق إيمانها بالله أن عدت الدنيا وما فيها قبضة من تراب ؛ وأعرضت عن كل شيء لكي تكرس قلبها الطاهر جميعه لخدمة أمر الباب . وقد أثرت جاذبيتها الشخصية ، وتفوقها الذهني، وتقتها المطلقة تأثيرا قويا في بني وطنها، تأثيرا بلغ أشده في صيف سنة ١٨٥٢ . ويتكلم النبيل في تاريخه عن « المحبة والتقدير » اللذين حاطتهما بهما علية النساء في العاصمة ؛ وكيف أن منزلها كان محاصراً بالمعجبات اللائي تزاحمن على بابها ابتغاء المثول بين يديها ، والارتشاف من منهل علمها .

ولكن تدعيم أمر الباب في تلك الآونة ، وانتشار تعاليمه كان مدينا أولا وقبل كل شيء إلى حماسة بهاء الله الذي أخذ على عاتقه أن يعيد إلى أتباع الباب نشاطهم ؛ وأن ينظم فعاليتهم و يوحدها . فقادهم قيادة كانوا في أشد الحاجة إليها في حالهم الحزينة ، وأنعش أرواحهم ، وعمق إيمانهم، وألهمهم ثباتا كافيا لتحمل كل المحن التي يوشكون أن يواجهوها .

ولذلك كان أعداء الباب مضطرين إلى ملاحظة تقدم الدين في شيء كثير من الحيرة والفزع ؛ الدين الذي ظنوا أنهم قد قضوا عليه ، فرأوه ينتشر في كل جانب ؛ بل يتوغل في البلاد الأخرى كذلك . فانتظروا متربصين به بما استطاعوا من صبر لكي يثبوا به . وحانت فرصتهم في خريف سنة ١٨٥٢ . حين فقد بابيان صوابهما لمقتل الباب فصمما على الانتقام ، وحاولا أن يعتديا على حياة الشاه . وكان الشابان دون الرشد،

ويتضح طيشهما من أنهما حشيا مسدسيهما بالبارود بدل الرصاص فأخفقا، حيث أن الشاه لم يصب إلا بجراح طفيفة . ومزق المعتدى الذى أطلق الرصاص فى الحال ؛ ولكن محاولة الاعتداء هذه أتاحت للسلطات فرصة طيبة طال تربصهم لها . فاستطاعوا أن يقيموا من الجريمة ـ وإن استنكرها كل أتباع الباب المخلصين ـ دليلا على أن الدين البابى عقيدة إرهابية ؛ وأن من غاياتها هدم المملكة . وقد تملكتهم الكراهية والتعصب والتوجس فعزموا على ألا يفلتوا العذر فى إهلاك العقيدة الناشئة دفعة واحدة وإلى الأبد . فأثاروا الأهلين، ودفعوا بهم إلى عاصفة هوجاء تنصب على البابيين اضطهادا وحشيا مفرطا. وأخذت الناس تعامل البابيين فى طول البلاد وعرضها ـ شيبا وشبانا ، أطفالا ونساء ـ على أنهم خوارج يجب أن يسلموهم دون سؤال إلى أعدائهم؛ فانصبت عليهم الإهانة والجرائم والقتل بألوانه . ولكى يضاعفوا التخويف والإرهاب وقعوا عليهم العقوبة علنا بأفظع وأشنع ما استطاعوا . وما من رجل فى تلك الآونة يستطيع أن يعدد مشاهد الذابح والمجازر والتعذيب والتنكيل التى شهدها فى شوارع المدن المختلفة . وما من زوج أو أم بابية تحمل رضيعها بين ذراعيها كانت تستطيع أن تدرك اللحظة التى قد يعن لجندى فظ أن يخرجها من مكمنها لتقاسى على يديه ما يختار لها من ألوان التعذيب . وكان الإعدام يجرى بلا اكتراث فى الميادين والشوارع والأسواق؛ وكان القتل

يتم في الصورة التي تتراءى لهؤلاء السفاكين .

وقد أعد الوزير الأكبر نظاما بربريا لا مثيل له ، مؤداه أن يقسم عبء المجازر على طبقات الدولة وهيئاتها المختلفة ورجالها البارزين . فكان على كل هؤلاء أن يشتركوا في التعذيب والتنكيل اشتراكا مباشراً . فاقتيد بابي إلى إدارة الأمن وأعدمه أعضاء الإدارة علناً ؛ واقتيد آخر إلى وزير الخارجية فاشترك هو وأعوانه في تمزيقه ؛ وقتل ثالث بأيدي رجال الدين ورابع بالمدفعية ؛ وآخر بالمشاة ؛ وآخر بالفرسان ووزع آخرون على البلاد والتجار على اختلافهم . بل إن الشاه نفسه أناب رئيس القصر مع بعض الموظفين في قتل البابي الذي كان من نصيبه . والأدهى من ذلك أن الأجانب الذين كانوا يعملون في البلاط دعوا إلى الاشتراك في هذا الجرم الفظيع . فقد طلب إلى أحدهم ، وهو الطبيب الفرنسي كلوكيه ؛ طبيب الشاه الخاص أن يشترك في الذبحة بأن يقتل بابياً بيده ، فرفض بطبيعة الحال . واضطر آخرون بحكم وظائفهم أن يشهدوا مناظر يدفع وصفها بالسم إلى التجمد في العروق فزعا وهلعا . وكان من بينهم ضابط نمسوى ، هو الكابتن فون جوموانس (Von Goumoens) الذي كان في خدمة الشاه في ذلك الحين . وهو يصف لنا كيف كانوا يحيئون بالبابيين إلى المكان الذي اعتدى فيه على حياة الشاه ، وكيف كانوا يسملون أعينهم ويضطرونهم

إلى آكل آذانهم المبتورة ؛ وكيف كانت الأسواق تضاء بالبابيين الذين كان يقطر منهم الدم : يشقون فى صدورهم وأكتافهم وظهورهم ثقوبا كبيرة ويضعون فيهـا الشموع المشتعلة تشوى أجسادهم وتضطرب فى كواها الحية ؛ وكيف كان يتلو ذلك عذاب جديد ؛ وكيف (وقد رأى ذلك كثيرا ، وكثيرا جدا !) كان السفكة « يسلخون باطن القدم ، ويعالجون الجراح الدامية بالزيت المغلى ، ثم ينعلون القدم كما ينعلون حافر الحصان ، ويضطرون الباقى بعد ذلك إلى العدو . كل ذلك يجرى دون أن تتأوه الضحية آهة واحدة ؛ بل كانت تتحمل العذاب فى صمت أظلم ، حتى تعجز عن العدو ، ولا يستطيع الجسم أن يتحمل ما قد تحملته الروح ، فيسكبو . حسن ، اضربوه الضربة القاضية ! ضعوا حدا لآلامه ! كلا ! يهوى السفاك بسوطه من جديد . فتنهض الضحية اليائسة متحملة ألف ضعف من العذاب ، وتعدو من جديد ! »

وقد ألقى القبض على بهاء الله ، وزج به ــ هو وبعض البابيين ، وبعض المجرمين ــ فى سجن تحت الأرض انتظاراً للمحاكمة . وكان البابيون يؤخذون واحداً بعد الآخر ويقتلون . غير أنه قبل أن يأتى دور بهاء الله صدر الأمر بألا يقتل بابى دون محاكمة . فلما ظهرت براءة بهاء الله أعفى من القتل ، وصودرت ممتلكاته الشاسعة ، وجرد من منزلته الرفيعة ، ونفى من الأرض . وهكذا غادر وطنه المحبوب هو وأسرته

وحفنة من أتباعه المخلصين فى يناير سنة ١٨٥٣ إلى الأبد .

وعلى هذا النحو صبت إيران نقمتها على هؤلاء الأبناء المختارين الذين كان بإمكانهم أن ينهضوا بها من مستواها التافه ؛ وأن يجددوا لها مجداً أعظم مما كان لها فى سالف الزمان . وعلى هذا النحو اطرح علماء الإسلام معاصين كان بمقدورهم أن يطهروا الإسلام ؛ وأن يجعلوه مهداً لإصلاح دينى جديد يلقى أنواره الوهاجة حول العالم فى بضع سنين .

وفى أوائل سنة ١٨٥٣ ظن أعداء البابية — حينما تدبروا ما فعلوا — أنهم قد بلغوا غايتهم التى سعوا إليها ؛ وأنهم قد أحرزوا النصر المبين . فقد قتل الباب ، وأصبح اسمه نسياً منسياً . فإن وجد من أنصاره أحد فإنما هو صامت منطو على نفسه . ولم يعد هناك من أثر لذلك الجهاد الدينى القصير العنيف الذى أحيى مع قصره أرضاً ميتة ؛ لم يبق من أثر اللهم إلا بعض آثار من الدماء على حجارة حصن متهدم ، أو بقايا محترقة ، أو أشلاء لا تزال عالقة بباب إحدى المدن تذكر الناظرين باللعنة الروعة التى منيت بها تلك العقيدة التى ظنها القوم خارجة لعينة .

الفصل السابع

دخول ملكوت المجد

ارتكبت الحكومة الإيرانية فى حربها الشعواء الطاحنة التى شنتها على العقيدة البابية غلطتين كبيرتين ، كان من شأنهما إحباط كل مساعيها وقسوتها ، وإبدال نصر ظاهر بفشل ذريع . فهى قد نسيت أولا أن دماء الشهداء بذور الإيمان ؛ ولم تستطع أن تدرك أن الجهود التى بذلتها لتزهق الحق بالقوة المادية كانت تدفع بالحق ليبحث عن ملاذ أخفى فى صدور الناس . وتلك غلطة نراها بعد قرن من الزمان واضحة لكل مشاهد مع أنها أخذت تتضح ودماء الشهداء ما زالت تخضب الأرض . قال الأستاذ براون فى كتابه « عام بين الإيرانيين » ص ١١١ – ١١٢ ما يلى :

« لقد قهرت البربرية أهدافها بنفسها . فبدلا من أن تنزل الرعب والهلع، أتاحت للشهداء فرصة يبدون فيها ثبات الأبطال الذي أثر فى الناس أكثر مما أثرت أية دعاية أخرى . فإن الدعاية – مهما بلغت من الحذق

والمهارة ـ لم تكن تستطيع أن تضمن النصر المبين للأمر الذى ماتوا من أجله ... إن الأثر الذى خلفه مثل هذا العرض من البطولة والثبات كان عميقا خالداً ؛ لا ، بل إن العقيدة التى ألهمت الشهداء كانت معدية كما أثبت الحادث الآتى : فقد اتفق أن رجلا من أهالى يزد عرف بالشراسة وغلظة الطباع ذهب ليشهد مصرع بعض البابيين . ولعله ذهب ليسخر منهم ، ولكنه حينما رأى الهدوء والثبات الذى قابلوا به التعذيب والموت عانت مشاعره انقلابا عظيما ؛ حتى إنه اندفع صائحا : « اقتلونى أنا الآخر ! فأنا الآخر بابى !» وظل يصيح على هذا النحو حتى لحق بهؤلاء الذين جاء ليتسلى بمشاهدة عذابهم » .

ولا يزال سجل هؤلاء الشهداء الخالدين يدفع بالدم الحار إلى الرءوس ، ويسرع بهؤلاء الذين يقرأونه إلى الإيمان . وطالما ساعد عار المذابح على نشر الأمر فى كل الأرجاء ، وأثار عطف البلاد البعيدة على الضحايا وإعجابها « بساحر البابيهم الشاب » (كما كانوا يسمونه) ، ذلك الذى عد الرجال والنساء والأطفال الموت من أجله وفى سبيله سعادة . ارتد كيد أعداء الله فى نحورهم صراحة بين الأمم ، و باطنا فى قلوب الناس ، وأصبح عاملا فعالا فى نشر العقيدة الجديدة وتثبيتها على أسس روحية لا يمكن أن تتزحزح .

وإلى هذه العاطفة أضافت الحكومة الإيرانية أخرى أعظم خطرا ،

إذ أنها حطمت كل باقى أظهر القدرة على الزعامة إلا واحدا .

فهى لم تدرك أن أعظم أبطال الأمر الجديد وأشدهم أثرا هو بهاء الله، وقد استطاعت منزلته الاجتماعية الرفيعة ، وخلقه العظيم أن يحمياه كمواطن إلى حد ما ؛ بينما مكنه حرصه وتحفظه من أن يوفق بين أكبر ما يمكن من النشاط وأقل ما يمكن من إثارة الظنون . وبعد حادث الاعتداء على الشاه قبض عليه ، وزج به باطن الأرض بطهران . وكانت الغرفة التى سجن بها سفلية لا يدخلها النور ولا الهواء إلا بقدر ما قد يتخلص إليها خلال درج عميق ضيق . وظل على هذا النحو تثقل كاهله الأثقال ، وتغل عنقه السلاسل والأغلال ، يعيش بين مجرمى الدولة المهددين ينتظر مقتله يوما بعد يوم ؛ أربعة أشهر طوال تحيط به ظروف يصعب جدا على القلم وصفها . فلما برئت ساحته آخر الأمر ، وعلمت السلطات أن صحته قد تضعضعت حتى إنه ليموت اليوم أو غدا ، أخرج من سجنه ، وأمر أن يغادر إيران إلى بغداد فى غضون شهر من الزمان .

ونسى أعداؤه حين نفوه من الأرض إلى الآستانة ، ثم إلى أدرنة ، ثم إلى الأرض المقدسة أن سيدنا محمد عليه السلام قد نبه المسلمين غير مرة تنبيها قويا إلى مدينة عكاء ؛ فقال :

«إن عكاء مدينة بالشام قد اختصها الله برحمته ... إن أفضل السواحل عسقلان ؛ وإن عكاء أفضل من عسقلان ؛ وفضل عكاء على عسقلان

وعلى جميع السواحل كفضل محمد على جميع الأنبياء . ألا أخبركم بمدينة بين جبلين فى الشام فى وسط المرج يقال لها عكاء . ألا وإن من دخلها راغبا فيها وفى زيارتها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر(١) » .

وقال :

« إن فى السواحل مدينة معلقة تحت ساق العرش يقال لها عكاء؛ من بات فيها مرابطا احتسابا لله تعالى كتب الله له ثواب الصابرين والقائمين والراكعين والساجدين إلى يوم القيامة(٢) » .

وقال :

« أخبركم بمدينة على شاطىء البحر بيضاء حسن بياضها عند الله تعالى يقال لها عكاء ... ألا وإن من أذن فيها كان له مد صوته فى الجنة ... ألا وإن فى الجنة ملوكا وسادات ؛ وفقراء عكاء ملوك الجنة وساداتها . وإن شهرا فى عكاء أفضل من ألف سنة فى غيرها ... طوبى لمن زار عكاء ، وطوبى لمن زار زائر عكاء(٣) » .

وينسب إلى سيدنا محمد عليه السلام أنه قال « ويقتلون كلهم (يعنى أصحاب القائم) إلا واحداً منهم ينزل فى مرج عكاء فى المأدبة الإلهية » .

---

(١) لوح ابن الذئب ص ١٣٢ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

كان قتل الحكومة للباب وأصحابه القادرين إلا واحدا ؛ ونفيها لهذا الواحد إلى عكا مليئا بالمغزى العجيب . فبينما هي تجاهد في صب النقمة على رأس الباب وبهاء الله ، إذا بها تدفع بهما إلى النور والمجد اللذين أسبغهما عليهما تحقيق نبوءة سابقة .

تميز ميرزا حسين على الابن الأكبر للوزير ميرزا بزرك منذ صباه، بل منذ مولده بأنه هو من يظهره الله . ولما ولد في فجر اليوم الثاني عشر من نوفمبر سنة ١٨١٧ بطهران، سجد تلميذ من تلاميذ الشيخ أحمد الأحسائي (المبشر بالباب) ، وكان يقيم في « نائين » قائلا إن نور الموعود قد انبثق في تلك الساعة ، وإنه ينير العالم .

وقد توسم فيه والده ـ وهو ما زال طفلا ـ علامات تبشر بمستقبل غير عادي ؛ وتحقق هذا التوسم بحلم غريب رأى فيه ولده سابحاً في بحر لجي لانهائي ، وجسمه يتوهج كالشمس ، وشعره الأسود يسبح على وجه الماء . ورأى الأسماك تتجمع حوله وقد تعلقت كل سمكة بطرف شعرة من شعراته دون أن تنفصل شعرة واحدة عن رأسه ، أو تتعطل في الأمواج حركته . فلما دعا بأحد مفسري الأحلام المعروفين ليفسر تلك الرؤيا قال إن البحر هو عالم الوجود، والأسماك هذه هي أمم الأرض التي ستجتمع حول بهاء الله وتتشبث به ، واضطراب الأسماك في المياه هو الاضطراب الذي سوف يحدثه بهاء الله بين الناس ، والشعر الذي لم تنفصل واحدة

منه عن رأسه دليل على أنه سيظل فى مأمن من كل خطر وإن قام وحيداً فريداً .

وبعد بضعة أعوام كان المجتهد ميرزا محمد تقى النورى يلقى على طلابه دروسا فى الفقه الإسلامى . فنهض شاب فى الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين وأخبر المستمعين بحلمين تراءى له فيهما بهاء الله ؛ ولذلك فهو يراهما حلمين خطيرين . أما أولهما فقد رأى فيه نفسه يشق طريقه وسط جمع غفير من الناس إلى منزل قيل إن القائم الموعود يقطنه . ولكن محاولاته الجبارة للدخول ذهبت سدى ، لأن القائم كان منهمكا يداخله فى حديث خاص لا ينبغى أن يقاطع . ولم يكن ذلك الذى كان القائم يحادثه على انفراد إلا بهاء الله . أما الحلم الثانى فقد رأى فيه نفسه فى مكتبة تحوى كتبا لبهاء الله ، محفوظة فى صناديق . فلما تصفح هذه الكتب رأى كل كلمة من كلماتها ، وكل حرف من حروفها مكتوبا بالجوهر النادر .

كان لبهاء الله طبيعة دينية قوية . فعزم منذ نشأته الأولى على تكريس حياته للدين . وكان هذا العزم بمثابة الخروج على تقاليد أسرته التى أهلته لخدمة الدولة أكثر مما أهلته لخدمة الدين . فأجداده لعبوا أدواراً مهمة فى إدارة شؤون الدولة ؛ وتقلدوا فيها مناصب كبيرة فى ظل التاج . بل إن والده نفسه كان وزيرا خطيرا ؛ وكان من المنتظر أن يحذو الوارث الشاب حذو أسلافه . ولما رأى أصدقاؤه تطور مواهبه السريع ؛ ولحوا حدة

ذكائه، وقوة إرادته، ولطف معشره، تنبأوا له بمستقبل فائق يضيف مجداً جديداً إلى سجل أسرته وأجداده الوزراء المقتدرين . فلما لم يبد الشاب رغبة حثيثة فى ولوج عالم السياسة عظمت دهشتهم ؛ ولكنهم وثقوا فى حكمه ، مؤكدين لأنفسهم « أنه يدرى ما يفعل ؛ وله فى ذلك حكمة » .

كرس حياته للدين ؛ ولكنه لم يدرس فى مدرسة دينية ، ولم ينقطع للدين . بل إنه نشأ رجلا اجتماعيا يلبس القلنسوة التى كان يرتديها فى إيران أهل الدنيا لا أهل الدين . وكان كثيرا ما يشترك سرا وعلانية فى المناقشات الدينية التى تتناول الشريعة الإسلامية ، وحاز شهرة فائقة فى ذلك لعمق إدراكه وسعة فهمه . قال الدكتور ت . ك شين : « كان حديثه يتدفق كالسيل الجارف؛ وكان وضوح عرضه للمشاكل يضطر أكبر علماء الدين إلى الخضوع له . ولكنه لم يتلق تعليما مدرسيا ، وكان الجميع يعدون علمه علما عبقريا لا علما مكتسبا » .

وكان أول عمل على أيدى به بهاء الله غاية حياته هو اعتناقه لأمر الباب . فما إن سمع بظهور الباب حتى أعلن أنه بابى ، وألقى بنفسه فى أحضان الحركة ؛ وقام بكل ما استطاعت بصيرته وحماسته أن تقوما به لوضع أساس متين للدين الجديد فى قلوب مواطنيه .

وبعد ثلاثة أعوام من استشهاد الباب ــ أى حين بدا أمره فى أضعف أحواله ــ أشار بهاء الله فى بعض مناجاته إلى نفسه : بأنه هو المركز الذى

دارت حوله كل تلك الحركة التى قام بها الباب .

وقد تنبأ الباب بهذا الإعلان ، وحدد موعده حين قال «فى سنة التسع» يعنى فى السنة التاسعة من دورته . ولم يقتصر على أن أشار إشارات عديدة لشخصية بهاء الله باعتباره موعود كل الأزمنة ؛ ولكنه أطلع واحداً أو اثنين من أعوانه الخاص على ذلك صراحة .

بتلك الإشارات فض بهاء الله عن قلبه السر المقدس الذى أفضى به إلى العزوف عن تقاليد أسرته والانصراف إلى الحياة الدينية . ولكن الإشارات كانت خاصة وتمهيدية . فاستمرت دورة الباب ، واستمرت شعائر الباب . لأن الوقت لم يكن قد حان بعد لإعلان بهاء الله لدعوته وإظهار سلطانه .

حدث هذا الإعلان فى أدق الأوقات ؛ وكان له أبعد النتائج أثراً ؛ لأن إعلان دورة جديدة من شأنه ، أولا وقبل كل شىء ، أن يختم الدورة السابقة ؛ وأن يعطل شعائرها ، وعاداتها ، وكتبها ، ونظمها . والواقع أن دورة الباب كانت تحمل فى طواياها للدورة التى تليها صلة خاصة ليس لها مثيل . فقد كان للباب منزلة مستقلة كرسول عظيم قائم بذاته يوحى إليه من العلى القدير ؛ ولكن مهمته مع ذلك كانت التبشير ببهاء الله . كانت دورته قصيرة الأمد ، بل هى أقصر الدورات التى عرفها التاريخ البشرى ؛ فهى لم تدم إلا تسعة عشر عاما فقط . وقد بلغ من تقارب عمله وعمل سيده

الأعلى أن ظلت سنة إعلان الباب لدعوته بدءاً لتاريخ العصر الجديد . ذلك بأن بهاء الله أمر بأن تكون سنة ١٨٤٤ بدء عصر الله المجيد ؛ على حين يدل إعلان بهاء الله لدعوته على ميلاد نظام جديد، ومنهج جديد، ومعنوية جديدة ، وتبعات جديدة ، وإخلاص جديد يدخل فى العوالم النفسية ــ حيث تكمن أفكار البشر ومشاعرهم ــ تأثيرا روحيا جديدا، وقوة خلاقة. ثم إن إعلان المظهر لدعوته جهرا من شأنه أن يضعه من أهل عصره فيما يتعلق بالأمور القريبة المباشرة وضعا جديدا ــ سواء اعترفوا به أم لم يعترفوا ؛ وأن يدفع به إلى إظهار مغامزهم وأخطائهم مهما أحكموا إسدال الستر عليها ؛ وأن يكلل أنقياء القلب المخلصين بأكاليل المجد والفخر. كما أن هذا الإعلان يحيط صاحبه شخصيا بكثير من المسئوليات والصعوبات التى تتطلب أصدق الحكم وأبرع المهارة ، وتثير تلدد الكثيرين ومقاومتهم، وتجر عليه متاعب جديدة وامتحانات شديدة .

مضت عشر سنوات قبل أن يقرر بهاء الله أن الحين قد حان لإعلان دعوته . وكان ذلك فى ربيع عام ١٨٦٣ حين كانت إقامته فى بغداد توشك أن تنتهى. إذ أن أحد أعدائه سعى به لدى السلطات فزادت ريبة السلطات فيه ، وبات يتهدده التحويل إلى منفى أبعد حيث يراقب مراقبة أدق . وكان موقفه الشخصى محفوفا بالمخاطر ، ومستقبله مفعما بالوعيد المظلم . ولكن بهاء الله لم يكن من ديدنه أن يأبه بالأعباء

ولا بالمصائب . والواقع أن إعلانه دعوته ـ مهما قل شأن الظروف التى حدث فيها ـ كان نصرا وسعادة . فقد سجل هـذا الإعلان للبشرية أن بركات الله الموعودة لم تعـد بعد من الأمور المنتظرة ، بل هى فى متناول الأيدى ؛ وأن العهـد القديم قد تحقق ؛ وأن يوم الحساب ، يوم الرب ، قد أسفر صبحه على العالم ؛ وأن ذلك الذى جاء له المبشرون يبشرون بمقدمـه باعتباره الأب الأبدى يوشـك أن يحقق لأبنائه الإخاء ، وأن يحيا على الأرض بينهم . ورغم ما أحاط بهاء الله من مصاعب فإنه أعلن دعوته فى جلال وسلطان ، جاعلا من تلك الفترة عيدا دينيا تعكس فيه سعادة المؤمنين فى حياتهم الأرضية ذلك الفرح الذى عم ملائكة السماء . وكان المكان الذى اختاره لإعلان دعوته يقع بظاهر مدينة بغداد حيث خيم هو وأسرته استعدادا لرحلته الطويلة إلى الآستانة . أعلن دعوته فى الحديقة بين ٢١ إبريل والثانى من مايو سنة ١٨٦٣ . وبلغ من قوة روحه أن رد غم أتبـاعه الذين كانوا على وشك مفارقة مولاهم سعادة وبشرا ؛ فكفكفوا من دموعهم ، واطرحوا أحزانهم ، وأدركوا بإلهامه المعنى العميق لتلك الفترة التى شاركوه فيها حماسته الروحية ، فانتقلوا من الغم والحزن إلى السرور الذى هبت عليهم نسماته من السماء .

وقد جذب بهاء الله إليه ـ أثناء إقامته فى بغداد ـ كثيرا من الخلق من كل الطبقات ، فكثر أصدقاؤه . فلما آن أوان رحيله أقبـل الناس

زرافات تضم الغنى والفقير والحاكم والنبيل والعادى والبسيط يودعونه على كره لوداعه . وكان تضخم ذلك الجمع الغفير الذى التف حوله يوما بعد يوم ، والعطف والاشفاق والإحساس العميق الشامل بالخسارة التى لا تعوض ، وإخلاص أتباعه الذين اكتسح إخلاصهم وتنورهم الروحى أحزانهم ؛ كان كل ذلك مما أضاف إلى قوة شخصيته قوة جديدة ، وأحاط الحادث المعجز بجلال لا تخطئه العيون ولا الظنون .

بهذا الإعلان عبر بهاء الله تعبيرا كاملا عن ذلك العزم الذى عزم عليه فى طفولته ؛ والذى كان عليه ــ مهما جابه من صعاب ومشقات ــ أن يتابعه إلى آخر حياته . صرح بالحقيقة علانية على ملأ من أتباعه ؛ ولكنه لم ينشرها ، ولم يفرضها على عقول الناس . وضع الحقيقة فى متناول أتباعه ؛ فكان عليهم أن يأخذوا على عواتقهم ذلك العلم الذى وهبه لهم . وقد تغير موقف أتباعه نحوه تغيرا عظيما . فلم يعودوا من بعد ذلك يعدونه أعظم رءوس البابية ، لأن سلطانه قد انفرد حينئذ ؛ ولأن تعاليمه السمحة قد فسرت وفاقت تلك التعاليم التمهيدية التى أتى بها سابقة . وبدأ اسم « البابى » يتخلى عن مكانته ليحتلها اسم « البهائى » . إلا أن سلوك غير المؤمنين ظل كما كان من قبل . والواقع أن قليلا منهم من سمع بالدعوة الجديدة ؛ ولكنهم جميعا لم يفهموا عنها شيئا . وربما زادت عداوة

أعدائه الألداء فظلوا يكفرون به كفران اليهود بالمسيح ؛ وظلت حكومة الشاه والسلطان توالى حياله سياسة الاتهام والاضطهاد .

كان بهاء الله ، من قبل تسعة عشر عاما ـ حين اعتنق أمر الباب ـ فى ريعان شبابه ، حائزا على كل ما يملأ الحياة سعادة وأملا : مكانة ، وثروة ، وصحة ، ومحبة فى القلوب ، وشهرة متزايدة . والآن حين تحمل مهام منصبه المقدس، جرد من كل ما يمكن أن يجرد منه: فأصبح شريدا، طريدا، معدما، أسيرا، منفيا، يتهدده سيف مصلت على عنقه فى كل حين. إلا أن الله حفظ حياته وحدها من بأس الأعداء(وفقا لذلك الحلم الغريب الذى رآه والده) . فما عاقته كل الظروف عن نشر أمره الذى ملك عليه نفسه ؛ ولم تدع له الأحوال شيئا على سطح الأرض إلا تلك المواهب الفطرية التى وهبها له الوهاب فى العقل والقلب ، وقع فريسة للاضطهاد والحرمان والتعذيب الإيجابى . فلاقى على يد الحكومة كل ألوان العذاب : من تشهير قاس ، إلى سجن متصل شديد ، إلى إنهاك وحرمان طويل . وكثيرا ما كادت القسوة التى عومل بها تودى بحياته ؛ وكثيراً ما كان عرضة لما توجبه غضبة حاكم ظالم، أو نباح جموع عفيرة من ألوان المقت والعذاب . واضطر منذ أن نفى حتى آخر حياته إلى أن يبصر بهؤلاء المقربين، و بأولئك الذين أحبهم يتحملون مالا يقل عما يتحمل من شدائد؛

وأن براهم فى كثير من الأحيان يذوون قبل الأوان، فيموتون متأثرين بما عانوا وقاسوا. ولم يهادنه السجن والحبس حتى آخر حياته. فمات ــ كما عاش ــ سجينا منفيا، بعيدا عن وطنه المحبوب الذى حكمه أجداده حكما زاهرا مجيدا.

ورغم كل هذه الصعاب، مضى بهاء الله ــ بعزيمة لا تفل ــ فى تلك الطريق التى رسمها لنفسه من أول الأمر؛ لا تعيقه عقبة، ولا يضعضع من حماسته تثبيط، ولا ينال من اطمئنانه ولا تقته التشريد ولا البؤس. كانت إرادته لا تفل؛ وكانت قواه الروحية لا تكل.

وكان سلوكه ــ طوال قيامه برسالته ــ نحو الاتهامات الموجهة إليه والاضطهادات المنصبة عليه، ونحو أولئك المسؤولين عنها سلوكا مستقلا استقلالا فذا. فكان شاعرا بالظلم أعمق الشعور؛ وكان دائم الاحتجاج على ما يكيلون له من مظالم. وفى إحدى بياناته الأولى، وهى الكلمات المكنونة، يشير إلى نفسه وإلى المعاملة التى يعامل بها على هذا النحو:

« يا أهل ديار العشق! أحاط الريح الفانى بالشمع الباقى؛ واستتر جمال الغلام الروحانى بالغبار الظلمانى. لقى سلطان سلاطين العشق الظلم على أيدى رعايا الظلم؛ ووقعت الحمامة القدسية بين براثن البوم. ينوح جميع أهل السرادق الأبهى، ويندب الملأ الأعلى؛ على حين تقيمون

فى الأرض غافلين ، و تحسبون أنكم من الخاصين ؛ فباطل ما أنتم تظنون[١] » .

وهو يشير إلى نفسه دائماً «بهذا المظلوم» . وفى ألواح للملوك يعرض مظالمه ويبث شكواه ، فهو يقول فى لوحه الموجه إلى نابليون الثالث :

« إن الذى خلق العالم لنفسه قد حبس فى أخرب الديار بما اكتسبت أيدى الظالمين؛ومن أفق السجن يدعو الناس إلى فجر الله العلى العظيم. »

وهو يقول فى لوحه إلى قيصر روسيا : « فاعلم جسمى تحت سيوف الأعداء ، وجسدى فى بلاء لا يحصى . » وفى أواخر أيامه فى سنة ١٨٩٠ كتب فى لوح ابن الذئب يقول :

« أما تلك المصائب التى وردت على هذا المظلوم فلم ير لها أحد شبيها ... ولقد بلغ الظلم حدا يعجز كل أقلام العالم عن وصفه . هذا عبد نفاه وطنه، ونبذه قومه يقوم هدفا لسيوف العدوان وسهام البغضاء . ومع ذلك ... فإن هذا المظلوم يقضى الأيام صامتا هادئاً وحيداً فى سجنه الأعظم ، منقطعاً عما سوى الله » .

وكتب للشاه :

« يا ملك ! قد رأيت فى سبيل الله ما لا رأت عين، ولا سمعت أذن

(١) الكلمات المكنونة الفارسية .

قد أنكرنى المعارف وضاق على الخارف ، وقد نضب ضحضاح السلامة وأسفر ضحضاح الراحة ، كم من البلايا نزلت ، وكم منها سوف تنزل ! أمشى مقبلا إلى العزيز الوهاب ، ورأنى تنساب الحباب . قد استهل مدمعى إلى أن بل مضجعى . وليس حزنى لنفسى . تالله رأسى يشتاق الرماح فى حب مولاه ! وما مررت على شجر إلا وقد خاطبه فؤادى : يا ليت قطعت لاسمى ، وصلب عليك جسدى فى سبيل ربى ! بل بما أرى الناس فى سكرتهم يعمهون ، ولا يعرفون ... فسوف يخرجنا أولو الحكم والغناء من هذه الأرض التى سميت بأدرنه إلى مدينة عكا ، ومما يحكون أنها أخرب مدن الدنيا ، وأقبحها صورة ، وأردأها هواء ، وأنتنها ماء ؛ كأنها دار حكومة الصدى ، لا يسمع من أرجائها إلا صوت ترجيعه . وأرادوا أن يحبسوا الغلام فيها ، ويسدوا على وجوهنا أبواب الرخاء ، ويصدوا عنا عرض الحياة الدنيا فيما غبر من أيامنا » .

وبينما هو يصور الأحداث التى تترى عليه هذا التصوير المحزن ، كانت أحداث أخرى تترى عليه ؛ وبينما هو يحتج عليها احتجاجا عنيفا ، كان يحتملها جميعا فى صبر فائق اطاقة البشر . حتى لقد قال أقرب المقربين إليه : « لم يكن لقوته حد ولا نهاية ؛ حتى لقد تحسب أنه يعيش فى أعظم راحة » . لقد أثبت بهاء الله استعلاءه المطلق عن متاعبه ؛ وأظهر القدرة

الفائقة على تحمل كل ما يمكن أن ينصب عليه من ألوان العذاب وهو رابط الجأش مطمئن الخاطر .

قال فى الكلمات المكنونة : « بلائى عنايتى ظاهره نار ونقمة ، وباطنه نور ورحمة[1] » .

ولما صدر الأمر بسجنه فى سجن عكا قال :

« إنى فى أكثر أيامى كنت كعبد جالس تحت سيف علق بخيط واحد ، ولا يدرى متى ينزل : أينزل فى الحين أو بعد حين . وفى كل ذلك نشكر الله رب العالمين . ولسان السر يتلو هذه المناجاة فى الليالى والأيام : سبحانك يا إلهى ! لولا البلايا فى سبيلك ، من أين يظهر مقام عاشقيك ؟ ولولا الرزايا فى حبك ، بأى شيء يثبت شأن مشتاقيك[2] ؟ » .

ولكنه لم يضمر ضغينة لأولئك الذين آذوه ؛ بل لقد سأل الله « أن يوفق الكل إلى ما يليق بالأيام ، وإنى لأنظر فى الليالى والأيام إلى هذه الكلمات المحكمات ، وأنطق بها : « إلهى !... أسألك أن تؤيد المنكرين على الإقرار ، والمعرضين على الإقبال ، والمفترين على العدل والإنصاف . أى رب ! أيدهم على الرجوع إليك[3] ... »

(١) الكلمات المكنونة العربية .

(٢) لوح ابن الذئب : ص ٧٠ .

(٣) لوح ابن الذئب : ص ٧٨ .

وكان إنكاره لذاته عظيما كاملا ، حتى لقد نعم بضرائه نعيما جعل الشقاء لدى المؤمنين به ثوابا . كان يدعو الله أن « يجعل هذا البلاء درعا لأجساد أوليائه ؛ وأن يحفظهم به من السيوف الشاحذة والسهام النافذة » .

وقال : « من بين العذاب أسفر نوره ، وتألق ثناؤه على الدوام . تلك كانت سنته فى العصور الخالية والقرون الأولى[١] » .

وقال مرة أخرى : « لو يستروننى فى أطباق التراب يجدوننى راكبا على السحاب ، وداعيا إلى الله المقتدر القدير[٢] » . فلا مشقة ولا صعوبة ولا عقبة يمكن أن تعترض طريقه التى يسلكها لإتمام رسالته .

أما وقد نظر إلى متاعبه تلك نظرة التجرد عن شخصيته، فقد أعرض عن الهروب ، حتى ولو فتحت أمامه الأبواب وأخليت السبيل . وأصر على ألا يسأل السلطات فضلا من الأفضال ، أو يرجو لنفسه منها إحسانا . فقد نصح له بعض الوجوه فى الآستانة مثلا أن يلجأ إلى العادة المتبعة بأن يرفع إلى السلطان التماسا يسأل فيه تبرئة ساحته . فأجاب تلك الإجابة المطمئنة الفريدة :

« لقد جئنا إلى هذه البلاد إطاعة لأمر السلطان . أما فيما عدا ذلك فلم يكن لنا ، وليس لنا ، هدف ولا غاية فى أن نسترحم أو نحدث ضجة .

---

(١) مقالة سائح .

(٢) لوح ابن الذئب : ص ٣٩ .

وسوف يظهر ما هو مستور بحجاب القدر . لم يكن لنا ـ وليس لنا ـ من حاجة فى التوسل والتضرع . فإذا كان زعماؤكم المتنورين حكماء قادرين فإنهم سيستفسرون ويتعرفون بأنفسهم إلى حقيقة الحال . فإن لم يفعلوا ذلك استحال عليهم بلوغ الحق . وفى هذه الظروف ما ذا يجدى التوسل إلى الحكام واسترحام الوزراء ؟ إنا لا يعترينا القلق ، وإنا لمستعدون لما قدر لنا من قبل » .

وهذا التصريح يتضمن أن السلطات حين تحكم على بهاء الله وتدينه فى الظاهر ، فهى فى حقيقة الأمر لا تحكم إلا على نفسها ، ولا تدين إلا نفسها .

لم تكن هناك فى الحياة ظروف أسوأ من تلك الظروف التى اكتنفت متابعة العمل على نشر رسالة عامة ضخمة ، وتشييد بنيان قوى لتعاليم عملية لما وراء الطبيعة فى وقت معا . إلا أن شيئا واحداً قد تحقق لبهاء الله ، ثم لعبد البهاء من بعده ، وإن حرم منه الباب : ذلك هو تمتعه بالحياة سبعين عاما بعيدا عن منال البشر بإذن الله ، بالغة ما بلغت متاعبه وبلاياه . فلما صعدت روحه فى مايو سنة ١٨٩٢ لم تكن عينه قد غشيتها غشاوة الكبر ؛ ولم تكن قوته قد أوهنها ضعف الهرم . أما الباب فإنه لم يستطع ، لقصر حياته ، أن يقود أتباعه إلى الدقائق المعنوية التى تضمنها دينه . غير أن بهاء الله انتهز كل الفرص التى عرضت له طوال جهاده

الطويل الفعال ليعلم باللسان وبالقلم وبالمثل المأخوذ عن مسلكه وحياته أيضا . وقد بدأ عمله بأن وضح لأتباع الباب شريعة مولاهم ، ثم تدرج بهذه الشريعة ، ووسع نطاقها حتى صارت أركان شريعته العامة ، التى مهد لها الباب السبيل .

وكان بهاء الله يثير إعجاب كثير من الناس فى منفاه ، سواء أكان ذلك فى بغداد أم فى الآستانة أم فى أدرنة ؛ وانتشر أمره انتشاراً واسعا ، بل إنه حين أودع سجن عكا كان قريب المنال ، يختلط فى شىء من الحرية بالمجتمع ، ويرحب بالزيارات التى يقوم بها السائلون من كل الأنحاء . وكان كثير من المفكرين ، والتطلعين من مختلف الطبقات ومتباين الأقطار يلتمسون المثول بين يديه ؛ فإذا حال البعد دون اللقاء الشخصى اتصلوا به بالرسائل . وقد تكلم فى كثير من قضايا الفنون والعلوم ، ولكنه كان يكثر الحديث عن مشكلات الدين . وكانت إيضاحاته وبياناته من الإقناع والتنوير بحيث خلقت فى الناس إدراكا ليس بالهين . وأصبح فى أدرنة مركزا لحركة كبيرة ؛ وكان فى أدرنة أن بدأت رسائله تؤثر فى الجمهور ؛ كما بدأ اسم « البهائى » يتغلب على الاسم السابق الإعدادى : « البابى » . وكان نجاح تعاليمه فى هذه المدينة عظيما عظمة زادت اشتعال نار البغضاء فى قلوب أعدائه القريبين ؛ وأثارت حملة المفتريات من الحقد والحسد ، وانتهى الأمر بهم – كما انتهى به أيضا – إلى

نفى جديد . فلما بلغ عكا آثر العزلة ـ اضطرارا أول الأمر ، ثم اختيارا من بعد ـ وانكب على الإملاء والتحرير . حقا إن التعاليم الشفهية التى ألقاها بهاء الله فى غضون أسفاره من طهران إلى عكا، والتوجيه الشخصى الذى بذله لمن حوله ليحتلان من رسالته محلا ممتازاً ، ولها آثار باقية ؛ إلا أن البهائية دين كتابى قبل كل شىء . وآثار المظهر المكتوبة وحدها هى أصل الاعتماد دون الأحاديث الشفهية ؛ والكلمة الأصلية المكتوبة ليس لها ـ بنهى قاطع ـ أن تفسر ، ولا أن تخضع لأى لون من ألوان المعالجة اللهم إلا التفسير البسيط ؛ لها أن تؤخذ على وجهها الطبيعى ؛ وهى على هذا النحو المرجع الأخير الفريد الذى يقره البهائيون . أما تلك الروايات التى كتبها أولئك الذين سمعوه ورأوه أو غيرهم فنصيبها هو أن يحكم لها أو عليها بما تقضى به قيمتها ؛ فهى ليست « إنجيلا » .

والبهائيون يجلون كتب الديانات السالفة ويقدسونها ـ بما فى ذلك البيان وكتب الباب باعتبارها عهدهم القديم . أما عهدهم الجديد فيتألف من كتابات بهاء الله المتعددة ؛ وهى كتابات ضخمة يقال إنها تفوق فى الحجم كل الكتب السماوية السالفة مجموعة . وهى تختلف فى شكلها وتتفاوت : فمنها ما يحتوى الشعر ، والحكم، والأمثال ، والدعاء ، والمناجاة، والألواح ، والشرائع . ومعظمها على هيئة رسائل ، وكان بهاء الله يأمر بها فتستنسخ ويحتفظ بأصولها . ويروى أنه كان يملى بسرعة فائقة ، دون

سابق تفكير ، ودون إعادة . وكان من دأبه ألا يكتب بيده ، بل يملى على الكتبة ؛ وقد يستمر أحيانا فى الإملاء ساعات كاملة دون توقف . والأسلوب عادة يستجيب لتلك الطريقة ؛ فمجراه كمجرى الشلال . بينما يدل غنى اللغة والتصوير ، وقوة الفكر الدائمة على طاقة تستمرئ العمل فى أعنف أحواله . ثم هو من ناحية أخرى قد يركز كثيراً من الأفكار فى عبارة قصيرة ؛ بل إنه قد يملى لوحا أو كتابا بأسره على هذا النحو من الحكم المحملة بالمعانى الكبار . ولقد كتب بالفارسية والعربية ؛ ويروى أنه ملك ناصية اللغتين ، واستخدم أنصع البيان فيهما . وقد ترجم الشىء القليل من آثاره إلى الآن ؛ فمن آثاره التى تربو على الألف أثر لم ينقل إلى الإنكليزية مثلا إلا خمسون : منها عشرون أو ثلاثون لوحا متباينو الطول ، ومثنوى ، وحكمة ، ومجموعة من المناجاة والدعاء . ولكنها كافية ــ وإن قلت ــ لأن تبين طبيعة فلسفته الدينية وأسسها الأولى . وأشهر تلك الآثار هو « الكلمات المكنونة » بلا ريب . وقد كتب هذا الكتيب الصغير الجامع فى بغداد ؛ وعنوانه يشير إلى حديث نبوى إسلامى فى دعوى النبوة المقدسة ، ونغمته الحادية هى الروحانية والمحبة ، وغايته هى تدريب الناس على أن يكونوا « بجوهر التقى فى أرض الروح من الفائزين » . وهى تقع على لباب التعاليم النبوية السابقة : فالإنصاف هو القانون الأعظم للحياة البشرية ؛ والمحبة هى سبب الخلق وغايته ؛ ورجوع الإنسان إلى

الله هو النعيم ؛ والبعد عن الله هو أس الشقاء ؛ ثم هى تعلم عظمة الله ، وفضله ، وحلمه ، وغضبه ، ووعده الناس بألا يتركهم دون معونة .

وشبيه بهذا الكتيب « كلمات الحكمة » التى تعرف فى عشرين عبارة عشرين ناحية من نواحى الحقيقة الروحية ؛ لمنها :

« رأس الدين هو الإقرار بما نزل من عند الله ، واتباع ماشرع فى محكم كتابه » .

« أصل العزة هو قناعة العبد بما رزق به، والاكتفاء بما قدر له » .

« أصل كل العلوم هو عرفان الله جل جلاله ، وهذا لن يتحقق إلا بعرفان مظهر نفسه » .

ويبدو إيمان بهاء الله بوحدانية الله إيماناً لا يقبل المساومة فى قوله :

« أصل كل الشر هو إغفال العبد عن مولاه، وإقباله إلى هواه » .

وشبيه بكتاب « الكلمات المكنونة » كتاب الإيقان . وقد ترجم إلى الإنجليزية ترجمتين صدرت ثانيتهما عن ولى الأمر . و « الكلمات المكنونة » إن قامت مثلا على الإيجاز ، فإن كتاب الإيقان يقوم مثلا على تدفق الأسلوب . فهو يقع فى مائتين وثلاث وخمسين صفحة ، معالجا طبيعة إظهار الله نفسه للبشر ، واستجابة البشر لذلك الإظهار . وهو يؤكد فى المنزلة الأولى أنه يجب على ذلك الذى يلتمس معرفة الله أن يتجرد عن الأغراض المادية ، ويعرض عن الأعراض الدنيوية ؛ وأن يتحرر من

التعصب والتحيز والتكبر ؛ كما يجب عليه أن يطرح وراء ظهره الإخلاد إلى الراحة أو الطمع فى الشهرة ، وما شابه ذلك . ثم هو يؤكد فى المنزلة الثانية أن سلوك الإنسان نحو المظهر الإلهى يجب أن يكون سلوك تقبل عاجل ، وطاعة تامة كاملة ، تتسق مع ما يهب الله لمظهره من السلطان القدسى والقوة الروحية الغالبة . وبهاء الله يقرر فى هذا الكتاب بكل قوة أن حقائق التاريخ تشهد بسلطان الرسل الخارق لقدرة البشر ؛ وأنهم إن لاقوا من معاصريهم الإنكار والجحود والكفران فإن سبب ذلك لا يتغير من عصر لآخر على الإطلاق . وهو يحاول بإظهار بواطن آيات القرآن والإنجيل ، والمقارنة بين قدوم الرسل السابقين وهذا القدوم ـ أن ينقذ جيله من إعادة الغلطة التاريخية التى ارتكبها أجدادهم حين أخفقوا فى تعرف يوم المعاد كل مرة إلا بعد فوات الأوان .

تلك كتب أصولية ؛ ولا يقل عنها أهمية كتاب العهد بالقياس إلى الجامعة البهائية حيث يتناول الأمور العملية . ففيه يعين بهاء الله ولده الأكبر ـ المعروف بعبد البهاء ـ « مركز العهد » ـ « فمن أقبل عليه فقد أقبل على الله ، ومن أعرض عنه فقد أعرض عن جمالى ، وأنكر حجتى وكان من المنكرين » ـ ويأتى للناس بتعليماته ، ويعلن أنه لن ينهض فى الناس نبى من بعده إلا بعد ألف سنة .

وأكثر من كل هذه الآثار ذيوعا بين القراء العاديين تلك الألواح

التى أرسلها إلى الحكام فى الشرق الأوسط وفى الغرب ؛ وهى ألواح الملوك التى عرضها وحللها البارون روزن (Baron Rosen) فى نشرة المعهد الشرقى فى سانت بطرسبرج، والاستاذ إ . ج . براون(E. G. Browne) فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية . أرسل بهاء الله لوحا إلى الشاه يحمله رسول خاص ؛ وكتب إلى الملكة فكتوريا ، ولملك بروسيا ، ولنابليون الثالث (مرتين) ، ولقيصر روسيا ، ولرئيس الولايات المتحدة ، ولسلطان تركيا ، ولرئيس وزرائه، وللبابا . وفى تلك الألواح يذكر أنه يعانى الأسر المحزن ؛ ولكن لهجة خطابه لم تكن – وإن صيغت فى قالب الاحترام – لهجة مسود يخاطب سيداً، ولا لهجة الضعف يقارب القوة والجلال. بل إن الأسلوب كان رنانا ، والمقاطع كانت محملة بقوة إرادة الكاتب . وهو يطلب من الملوك فيها أن يتعاونوا معه فى جهاده الذى يبذله فى تحسين حال الشعوب؛ وأن يروجوا بين مواطنيهم الإخاء والسلم العالمى اللذين يمكن للعالم عن طريقهما وحدهما أن يبلغ السعادة والرخاء . فهم على الأرض ظل الله مادامت القوة والسلطة مركزتين فيهم. ولذا وجب عليهم أن يظهروا صفات الله المختلفة الأخرى كالعدل والرحمة ؛ وأن يتعهدوا بالعناية الكبرى من هم فى أيديهم وديعة . وهو يدعوهم للإقرار بمن أرسله الله لهداية البشر ؛ ويؤكد لهم أن الشرف والرخاء سيبارك عهدهم عن طريق هذا الخضوع وحده .

وقد ضمن بهاء الله تلك الألواح بعض التنبؤات التاريخية للقبلة لفتت إليها الظروف الخاصة الأنظار العامة . كما أن بعض آثاره الأخرى من أول الكلمات المكنونة ١٨٥٧ – ١٨٥٨ إلى آثاره التي صدرت عنه في أخريات حياته – تضمنت إنذارا بالعقاب ، وبالسقوط ، وبالهزيمة ، وبالكوارث العظمى ، وبعضها الآخر بشارة ودعاء بالخير ووعداً بالثواب . كان بعضها مادي النظرة ، وبعضها الآخر روحي؛ بعضها يوحي بتحقق عاجل، وبعضها الآخر ينتظر المستقبل البعيد . على أنها جميعا لن يتأخر بها الوقوع: فهي جميعا ستتحقق – على ما يبدو – قبل نهاية هذا القرن . وأجرأ هذه التنبؤات وأعنفها وأعجبها هي تلك التنبؤات المتدرجة المتكررة التي تتناول صميم رسالته : وهي أن الطبيعة البشرية ستعاني تعديلا كبيراً بعد فترة من التطهير العالمي ؛ وأن الأمم ستتحد ؛ وأن السلام العالمي سيستتب . إلا أن الذي جذب انتباه العلماء والجمهور خاصة كان بعض العبارات التي تنبأت بحدوث انقلابات اجتماعية عاجلة ، وحدثت الانقلابات مطابقة لكلمته تماما. فقد كتب إلى نابليون الثالث عام ١٨٦٩ وهو في أوج مجده متنبأً له بسقوط عاجل . وقد عاجله السقوط فعلا في العام التالي . وكتب إلى سلطان تركيا من سجنه في عكا عام ١٨٦٨ « وسوف يأخذكم بقهر من عنده ، ويظهر الفساد بينكم وتختلف ممالككم . إذاً تنوحون وتتضرعون ، ولن تجدوا لأنفسكم من معين ولا نصير» . وكتب إلى رئيس

وزراء السلطان متنبأ له بسقوط عاجل ، وضياع أدرنة من يد السلطان ، هى وأماكن أخرى ؛ كما تنبأ باضطرابات سياسية عامــة . وقد تنبأ من الناحية الأخرى للملكة ڤيكتوريا بحكم طويل سعيد . وأصدر إلى ألمانيا فى أوائل سنى السبعين (وكانت ألمانيا يزدهيها النصر على الفرنسيين) تحذيرا بهزيمة تكراه على حدودها الغربية ، ثم بهزيمة أخرى تتلوها. وفى الوقت نفسه قال فى إيران :

« أن يا أرض الطاء ! لا تحزنى من شىء ، قد جعلك الله مطلع فرح العالمين . لو يشاء يبارك سريرك بالذى يحكم بالعدل ، ويجمع أغنام الله التى تفرقت من الذئاب » .

ويلقى بهاء الله إلى كتاب واحد من كتبه العديدة أهمية عظمى . ذلك هو الكتاب الأقدس . وهو كتاب لم يترجم إلى الانكليزية بعد ، ولكنه فى متناول الأيدى بلغته الأصلية . وهو يشمل الأحكام والشرائع فى ملكوت الله طوال العصر الجديد . وقد جاءت هذه الأحكام مستجيبة لحاجات كل قطر ، دافعة كل شعب إلى دوام التقدم. وهى عالمية فى نظرتها وشمولها ، محافظة على حرية الأمم ، منظمة لكل الصالح والنافع ، مشيدة بناء متسقا من طبقات العالم وشعوبه .

لقد انتقل عمل بهاء الله اليوم إلى ذمة التاريخ . فلا يمكن لشىء أن يضاف إليه ، ولا لشىء أن ينتقص منه . فهو يقوم كاملا . أما أولئك

الذين قاوموه فقد هلكوا . وهناك معهم النظام الذى أتاح لهم فرصة مقاومته فى إيران وتركيا . أما الخلافة والسلطنة ـ ذلك النظام العتيق لأهل السنة ـ فقد انهار . ولكن اسم بهاء الله وكلمته باقيان لا يزولان . وبقى سجل حياته يشهد بما استطاع بلوغه من المثابرة والتحصيل ـ رغم الصعاب والعراقيل ـ شخص كرس إرادته جميعا لإرادة الله العالية . وقد انتشرت تعاليمه ونصائحه فى طول الأرض وعرضها ، واهبة لكثير من الناس الراحة والشجاعة والأمل . وما زالت جدة تعاليمه ، وعلمه السابق يزدادان ظهورا واتضاحا كلما تحققت التطورات العالمية التى تنبأ بها كما نفذت أحكامه إلى صميم الغرب والشرق ، وأصبحت علامات تميز هذا العصر المتقدم ؛ وما زالت حكمته تزداد انطباعا على عقول الناس كلما ردتهم الهزائم المتكررة التى تمنى بها كل مشروعاتهم السطحية إلى الأمر الحق ، وهو أن النظام الاجتماعى العالمى لن يستقيم له بناء إلا إذا أخضع الناس إراداتهم الشخصية لذلك الذى هو منبع كل اتحاد وسبب لكل وفاق .

التواريخ الأساسية في الحركة البهائية

١٧٥٣ — ١٨٢٩	الشيخ أحمد الأحسائي، من الأحساء ببلاد العرب، أول المبشرين بالباب .
١٧٨٩ — ١٨٤٣	السيد كاظم الرشتي ، ثاني المبشرين بالباب .
١٢ نوفمبر ١٨١٧	ميلاد بهاء الله .
٢٠ أكتوبر ١٨١٩	ميلاد الباب .
١٨٤١	زواج الباب .
٢٣ مايو ١٨٤٤	إعلان الباب دعوته لملا حسين في شيراز .
أغسطس ١٨٤٥	بدء اضطهاد البابيين .
١٨٤٧	مناظرة الباب الأولى في تبريز .
فبراير ١٨٤٩	استشهاد الملا حسين : باب الباب .
١٦ مايو سنة ١٨٤٩	استشهاد القدوس .
يوليو ١٨٤٩	استشهاد الوحيد .
مارس ١٨٥٠	استشهاد الشهداء السبعة في طهران .
٩ يوليو ١٨٥٠	استشهاد الباب .

يناير ١٨٥١	استشهاد الحجة .
١٥ أغسطس ١٨٥٢	محاولة اغتيال الشاه .
أغسطس ١٨٥٢	استشهاد الطاهرة ، وحبس بهاء الله .
ديسمبر ١٨٥٢	نفى بهاء الله .
مارس ١٨٥٣	وصول بهاء الله إلى بغداد .
ابريل ١٨٥٤	اعتزاله فى سركلو فى السليمانية .
١٨٥٦	عودته من العزلة .
١٨٥٦	كتاب الوديان السبعة ، والكلمات المكنونة .
١٨٥٨	كتاب الإيقان .
ابريل ـ مايو ١٨٦٣	إعلان بهاء الله لدعوته .
مايو ١٨٦٣	رحيل بهاء الله عن بغداد .
أغسطس ١٨٦٣	وصول بهاء الله إلى الآستانة .
ديسمبر ١٨٦٣	وصول بهاء الله إلى أدرنة .
١٨٦٤	طرد جميع البابيين من إيران .
١٨٦٣ — ١٨٦٨	ألواح الملوك : اللوح الاول لنابليون ، لوح الشاه .
٣١ أغسطس ١٨٦٨	وصول بهاء الله إلى عكا .
١٨٦٨ — ١٨٩٠	اللوح الثانى لنابليون ، لوح الملكة فكتوريا ، لوح القيصر ، لوح البابا ، لوح ابن الذئب .

٢٩ مايو ١٨٩٢	صعود بهاء الله إلى الرفيق الأعلى .
١٩٠٨	إطلاق سراح عبد البهاء من السجن .
١٩٠٩ — ١٩١٠	عبد البهاء فى مصر .
١٩١١	أولى رحلات عبد البهاء (إلى جنيف ، ولندن ، وباريس) .
١٩١٢ — ١٩١٣	ثانية رحلات عبد البهاء (إلى الولايات المتحدة سنة ١٩١٢ ، وإلى خمس مدن من مدن انجلترا وهى لندن ، وأكسفورد ، وأدنبره ، وكليفتون ، ووكينج ، ثم إلى باريس ، وشتتجارت ، وبودابست ، وفينا سنة ١٩١٣) .
١٩٢٠	الإنعام بلقب فارس على عبد البهاء .
٢٨ نوفمبر ١٩٢١	صعود عبد البهاء إلى الرفيق الأعلى .

الفصل الثامن

نور الشريعة الآلهية

صعد بهاء الله إلى الرفيق الأعلى فى سنة ١٨٩٢ ، وهو فى الخامسة والسبعين ؛ بعد أن أعلن مجىء يوم الرب ، ووضع أسس ملكوته فى قلب البشرية ، وشرع مبادئه وأحكامه . وقد عين فى وصية مكتوبة ابنه الأكبر عبد البهاء مبينا لكلماته ومركزاً لميثاقه وخليفة له ؛ بحيث من توجه إليه توجه إلى مظهر أمر الله نفسه .

وأخذ عبد البهاء من فوره على عاتقه مهمة تأسيس المعالم الأولى للمدنية الجديدة بين الناس ؛ تلك المدنية التى أحكم خطتها والده وأمر بها . وكانت المهمة من أصعب المهمات حتى بالقياس إلى فرد لم يقض حياته فى قساوة سجن تركى ووحشته . ولم يكن ثمة شىء يشجع رجلا ذا نظرة صادقة فى الأمور على محاولة تأسيس فردوس أرضى فى عالم كعالمنا هذا ، اللهم إلا ثقة فائقة فى بهاء الله .

ونحن أقرب إلى عصر بهاء الله — وأضعف بالعادات الخلقية والماضى

القاسى من سلطان ـ من أن نستطيع إدراك المعنى الكامل لعمله الإنشائى ؛ أو تمثل صورة للمجتمع العتيد الذى يجب أن ينشأ تحت ظل أمره . إلا أن عبد البهاء قد استنبط من تعاليم أبيه الخاصيات الأساسية للنظم الإلهى ؛ وفسر ببيان واضح تلك الحقائق الجوهرية والتعاليم الأساسية التى يجب على الإنسانية أن تجدد نظامها بمقتضاها .

ولا بد أن المسيح قد نظر بعيداً فى الملكوت الأبدى ، فرأى هناك شبهاً روحياً قوياً بين رؤاه وعصر بهاء الله، فى ذلك اليوم الذى أقبل عليه فيه تلاميذه يقولون : «يا سيد ! علمنا كيف نصلى كما علم يوحنا تلاميذه» . لأن ذلك الذى تحقق للناس فى هذا العصر ـ عصر النهاية ـ إنما هو تحقيق مضبوط لتلك الصلاة التى علمها المسيح لتلاميذه ؛ والتى رددها العالم المسيحى من بعده جيلا بعد جيل : « أبانا الذى فى السموات ! ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض » . فبقوة بهاء الله الخلاقة الوهابة للحياة، أضحت صفات العلى القدير حقائق ملموسة يمجدها الناس ، ويحتقرون أضدادها . فأصبح العدل والشفقة والرأفة والصدق والإخلاص تحكم بدلا من تلك الصفات الشيطانية التى سيطرت على العالم، وجعلت التاريخ البشرى إلى الآن قصة محزنة مخجلة . وليس الملكوت الذى نزل إلى الأرض الآن ملكوت نبى مرسل ؛ كما أنه ليس دورة تتسم باسم نبى من الأنبياء الكرام ؛ بل هو

بالأحرى عصر الله نفسه ؛ هذا الملكوت هو ملكوت الله المتجلى فى مجده .

« باسم يومه طرزت لوحك الذى لا يعرفه أحد سواك ؛ وسميته يوم الله ؛ حين لا يرى فيه شىء إلا نفسك العليا ، ولا يسمع فيه ذكر إلا اسمك الأحلى : إذاً فحين تجلى ارتجفت الأمم ، وتحير العالم ، واضطرب الحكيم ، إلا من توجه إليك(١) » .

فى هذا اليوم يريد بهاء الله أن ينفذ الناس إرادة الله ؛ وليس لهم من حكم يحتكمون إليه إلا أعمالهم وحدها . كان الإيمان فى الماضى يتجلى فى الكلمات ؛ ولكنه الآن ليس كذلك : « رأس الإيمان التقلل فى القول ، والتكثر فى العمل » .

« كان الهدى بالقول أما اليوم فبالعمل . فعلى كل شخص أن يقوم بالأعمال الطاهرة المقدسة . لأن الألفاظ ملك لكل الناس على السواء . بينما لا يقوم بمثل تلك الأعمال إلا أحباؤنا . فاجتهدوا إذاً بقلوبكم وأرواحكم فى أن تميزوا أنفسكم بأعمالكم(٢) » .

كان الناس فى الأدوار السابقة يقبلون بشهادتهم ، و يتفاوتون فى المراتب حسبما تنطق به شفاههم ؛ ولكن الأمر الإلهى المبرم يقضى على

---

(١) مترجم عن الانجليزية .

(٢) مترجم عن الانجليزية .

الإنسان اليوم أن يثبت أحد الأمرين ـ إما هذا أو ذاك ـ بسلوكه وأعماله ، لا بشهادته وأقواله .

وهكذا مهد المسيح ، هو وأولئك الذين كانوا يرددون هذه الصلاة خاشعين ، الطريق إلى العصر الألفى الذهبى الذى يحكم فيه بهاء الله . وإن أهل الملكوت الجديد ـ أيا ما كانت دياناتهم التى تربوا فى أحضانها ـ ليعترفون شاكرين بمساعدة تلك الصلاة القديمة التى تحققت اليوم تحققا كاملا .

إن الخصائص الأساسية المهمة الحيوية للحقيقة العظيمة التى تميز هذه الدورة عن غيرها من الدورات هى أن محبة الله غالبة على قلوب البشر ؛ وأن ملكوته على الأرض كامل باق ؛ وأن هذا العصر ليس بعصر وعد يتجدد ، بل هو عصر وعد يتحقق . فهو لم يأت للناس بطور جديد أو بصورة جديدة للميثاق القديم ؛ وإنما أتى لهم بتحقيق ذلك الميثاق نفسه كاملا غير منقوص . حقا إن المثل القائل بأن الإنسان لم تفرغ عليه البركات يوما ما، ولكنه كان يبنى دائما بالبركات كان مثلا صحيحا على مدى الأزمان ؛ إلا أنه اليوم لم يعد صحيحا ـ بل أصبح مثلا عتيقا زائفا : لأن البركة على الأبواب . ولقد تحمل الله ضلال البشر وعصيانهم لقصورهم وعجزهم ؛ فوقتهم رحمته من العقاب الطبيعى الذى كان يجب أن ينزل بهم لعصيانهم ؛ واحتمل الزؤان ينمو بين القمح ، والشر يختلط مع الخير ؛

وكانت شمسه تشرق على العادل والظالم على السواء . ولكن صبره الآن قد نفد ؛ وآن الأوان لاقتلاع الزؤان، وطرح المنافقين ، و إهلاك جميع صانعي الشر بالنار في النهاية . ولم تعد الرؤى التي يختتم بها الإنجيل مكشوفة ـ سواء بصورتها الجميلة أو المفزعة ـ لعين النبي وحده ؛ بل لقد كشف الغطاء عنها فأصبحت اليوم أمام كل عين حقيقة تاريخية مجسمة . ولم تعد تصاوير الشعراء عن العصر الذهبي تبدو « من المادة التي تصنع منها الأحلام » . بل إن كل ذي روح ليعترف الآن بأنها كانت تنبؤا ملهما عما تنفض أسراره في عصرنا هذا . ذلك بأن تغييرات بعيدة المدى في عالمي الإنسانية الخارجي والداخلي على السواء تحدث الآن فعلا ؛ والقوة التي تدفع بهذه التغيرات إلى الحدوث هي سنة الله العلي التي لن تجد لها تبديلا .

ولم يدع بهاء الله مجالا لشك فيما يعنيه نصر الله وظفر أمره . ولكن النصر لايعني ما كان يعتقده الناس في الدورات السابقة من معاني النصر؛ إنه لا يعني التصنع والخداع؛ كما أنه لا يعني الجدال والنزاع :

« إذن فليست النصرة اليوم اعتراضا على أحد من الناس ، ولا جدالا مع نفس من النفوس . بل المراد هو أن تفتح مدائن القلوب ـ المسيطرة عليها جنود النفس والهوى ـ بسيف البيان والحكمة والتبيان . ولذلك وجب على كل نفس تريد النصرة أن تسلط على مدينة قلبها ـ أول

الأمر ـ سيف المعاني والبيان ؛ وأن تحفظها عن ذكر ما سوى الله ، ثم تتوجه من بعد ذلك إلى مدائن القلوب الأخرى . هذا هو المراد من النصرة . وما كان الفساد محبوبا لدى الحق أبدا ، ولن يكون كذلك . فما ارتكبه بعض الجاهلين لم يكن مرضيا . ولأن تقتلوا في رضاه خير لكم من أن تقتلوا[1] » .

وحين يستقر عرش الله على قلوب الناس تنفذ تعاليمه بلا نزاع ولا جدال . فلا تخرج عن شريعته أرض ولا شعب ولا نشاط ؛ وتتركز الفنون والعلوم وكل الخدمات الاجتماعية حول مركز واحد ، ليؤديها رجال يشتركون في إخلاص مشترك وطاعة عامة .

تلك هي أهم الحقائق التي قدمها لنا بهاء الله ؛ والتي صيرتها إرادته في حيز الوجود والتنفيذ . وعلى هذه الحقيقة تعتمد كل الحقائق الأخرى ؛ ومن هذه الحقيقة تتفرع كل الحقائق الأخرى .

لذلك لم يقتصر أمر بهاء الله على معالجة أمور الدين البحت وحدها . وإنما هو يعالج ما هو أكثر من علاقة الفرد الروحية بالله وبخالقه . إنه دين اجتماعي بقدر ما هو روحي : يجدد كثيرا من مناحي الحياة ، ويهدى السبيل إلى كثير من ألوان الجهود .

فالمجتمع البهائي يجب أن يكون خلية من النشاط والتعاون ، يشجع

---

(١) لوح السلطان : ص ١٥ ــ ١٦ من النص الفارسي .

فيها التعارف الاجتماعي ومجالس الأعياد ؛ كما أنه لا اعتزال فيه ولا رهبنة. وإنما يجب أن يشارك الجميع في حياة البشر العادية اليسيرة . والزواج أمر موصى به باعتباره مقوما من مقومات الذروة الروحية العليا،ومرشدا يهدى إليها . (والواقع أن المثل العليا الثلاثة : بهاء الله ، والباب ، وعبد البهاء ـ كانوا متزوجين) . كما أنه لا متعطلين في المجتمع البهائي، ولا متطفلين، ولا كسالى . فكل رجل يجب عليه أن يحترف حرفة أو يمتهن مهنة ؛ والله يقبل كل عمل يفعله فاعله ناظرا إلى خدمة المجموع ، ويعده من العبادة نفسها :

« خير الناس من اكتسب وأنفق على نفسه وذوى قرباه محبة لله رب العالمين » .

والرجل والمرأة متساويان : « هل عرفتم لم خلقنا كم من تراب واحد ؟ لئلا يفتخر أحد على أحد » . إلا أن التفاوت سيظل باقيا ؛ لأن التفاوت كائن بين كل المخلوقات : من الشجيرة إلى الدوحة ، ومن الذرة إلى قمة إفرست ؛ و إلا لما استقام العالم . وسيظل الناس متفاوتين في أخلاقهم وفي قدراتهم وقابلياتهم ؛ بحيث يكون بعضهم أعقل وأقدر وأقرب إلى الله من غيرهم ؛ ويكون بعضهم أقدر وأغنى و بعضهم أفقر . أما العناية بمن هم أحوج وأفقر و باليتامى فموكولة إلى من هم أقدر على المعونة ، و إلى السلطات على حد سواء .

كما أن المهن ليست فى درجة واحدة . فالزراعة لها المنزلة الأولى لأنها عماد حياة الناس ، وهى أساس نظام بهاء الله الاقتصادى . أما الفنون - والموسيقى خاصة - فلها منزلة رفيعة ، ولمن يقوم بها منزلة الشرف . والملكية الدستورية - وإن لم تكن مخصوصة بالنص عليها - مقبولة كنظام حكومى ، لأنها من ناحية تعفى الناس من الاضطراب ، ومن نفقات الانتخابات المتكررة لرئاسة الدولة ؛ ولأن الملك من ناحية أخرى رمز لوحدة الله . وطاعة السلطات القائمة أمر مفروض على كل بهائى . وأعظم المهن جميعاً تعليم الدين ؛ إلا أنه لا يوجد فى عالم بهاء الله من يرتزقون من هذه المهنة ؛ كما لا توجد طبقة للكهنوت ولا طائفة لرجال الدين كائنة ما كانت . وليس هناك طقوس ، وليس هناك مجال لنشوء نظام للكهنة بأى شكل من الأشكال ولا بأية صورة من الصور ؛ لأن معلمى الدين لا يؤجرون ؛ بل يكسبون قوتهم من أية حرفة أخرى . واستحقاقهم لتعليم الدين يعتمد على طهر مقصدهم ورغبتهم الصادقة فى أن يعرف الناس ربهم . والاعتراف ممنوع منعاً باتاً ، لأن اعتراف رجل لرجل لا يجلب غفران الله . إن عصر بهاء الله عصر المسئولية الفردية ؛ هو العصر الذى ألقى فيه على كاهل كل فرد أن يمحص الحقائق لنفسه بنفسه ؛ وألا يقنع بأن يكون حظه من الحياة التقليد الأعمى ؛ أو أن يتقبل التقاليد بغباء ؛ أو أن يأخذ أفكاره عن غيره فى بلادة . أما الاضطهاد والتعسف بكل

أوانه فلا محل له فى العالم البهائى ؛ وكما نبأ المسيح بأن حكم الظلم سيكون من علامات انتهاء دورته فإن بهاء الله صب نقمته على الظالمين والظلم ، وأقسم أن الله سوف يضع لها حداً :

« يا ظلمة الأرض ! كفوا أيديكم عن الطغيان . فلقد أقسمت ألا أغفر ظلم أحد . هذا عهدى الذى قطعته على نفسى فى لوحى المحفوظ وختمته بخاتم المجد[١] » .

فالعدل إذاً هو الأساس الأعظم لشريعة الله : « أحب الأشياء عندى الإنصاف » . وعلى الإنصاف يقوم النظام الاجتماعى ؛ وعليه أيضاً يعتمد الفرد فى التقدم الحق إلى الاستقلال والحكمة :

« لا ترغب عن الإنصاف إن تكن إلى راغباً ؛ ولا تغفل عنه لتكون لى أميناً . وأنت توفق بذلك أن تشاهد الأشياء بعينك لا بعين العباد ، وتعرفها بمعرفتك لا بمعرفة أحد فى البلاد . فكر فى ذلك كيف ينبغى أن يكون ذلك من عطيتى عليك ، وعنايتى لك ، فاجعله أمام عينك »[٢] .

إلا أن بهاء الله يحذر الناس من الناحية الأخرى تحذيراً شديداً ألا يغالوا فى الحرية والتمدح بها.فليست الحرية ضمانا إلا إذا قيدت بالقيود ونظمت بالنظم.لأنها إن لم تقيد تسببت فى الاضطراب، وأفضت إلى الدمار.

(١) مترجم .
(٢) الكلمات المكنونة العربية .

والخير كل الخير في الإقلاع عن الإيمان بحرية فردية زائفة .

«أصل كل الخير الاعتماد على الله ، والانقياد لأمره ، والرضا بمرضاته» .

ويتعلم البهائي أن يولي حريته الخاصة قسطا قليلا من التفكير ؛ وأن يوجه معظم تفكيره إلى الغرض الذي من أجله منحه الله إياها . إنه يتمثل مثله الأعلى فيمن اختار لنفسه اسم « عبدالبهاء» ؛ ومن هذا المثل يتعلم البهائي كيف يستغل كل مواهبه إلى أقصى ما يمكن أن تمده به ، دون أن يتمادى به التعبير عن النفس في حين من الأحيان إلى فرض الذات . قال بهاء الله : « طوبى لمن آثر أخاه على نفسه » . فقانون العدل يحتم على المرء أن يختار لغيره ما يختار لنفسه ؛ وقانون الفضل يحتم على المرء أن يؤثر غيره بالمعونة على نفسه .

وواجب الجماعة هو – أولا وقبل كل شيء – حفظ النظام والوئام ؛ ثم الإفساح الكامل للشخصيات المختلفة للعمل من أجل الصالح العام . وعلى كل فرد من أفراد الجماعة ، وعلى الجماعة كلها ، أن تحفظ التوازن ، والله يكلل مساعيهم المخلصة في هذا السبيل بالتأييد والتوفيق .

والمنتظر من مواطن الملكوت أن يكون ذا سلوك خلق سليم ؛ لاحيال طائفة بعينها ، بل حيال الجنس البشري أجمع . قال بهاء الله للاستاذ براون : « ليس الفخر لمن يحب الوطن ؛ بل لمن يحب العالم » . وبهاء الله نفسه قد عانى ما عانى ، وجاهد ما جاهد في سبيل الجنس البشري أجمع .

فهو لم يوجه خطابه إلى فرقة بذاتها ؛ ولم يهدف إلى إحياء دين بذاته ؛ ولا إلى إعادة بناء حضارة بذاتها ؛ بل لقد انتظمت نظريته العالم الفسيح ، وكانت تعاليمه عالمية من أولها إلى آخرها . ووجه امتياز دورته على الدورات السابقة هو أن الإرادة الإلهية القديمة قضت بأن يقبل إليه العالم طرا ، وأنه لن يكون بجانب هذه الشريعة شعب متعددة من العقائد والنظم ؛ بل هو نظام واحد يتوج روعته اتفاق كل الأمم عليه . ذلك بأن الوعى البشرى قد بلغ الآن فى تمام الوقت مرحلة جديدة من الترقى والكمال ؛ فأصبح قادرا آخر الأمر على تقدير وحدة الجنس .

ولقد اشترك كل رسول كريم أتى الجنس البشرى فى عصوره السابقة بقسطه المعلوم للبلوغ بالجنس البشرى إلى هذه المرحلة . فلم يضع جهد أحد منهم ؛ بل قل إن جهودهم جميعا لا تزال إلى اليوم فى متناول يد البشر . فقد قدر لهذه الجهود أن تتم بالمجىء الأعظم لبهاء الله ؛ وأن تتوج بموهبة فضل الله الباقى وروح قدسه ؛ ولم يبق للناس إلا أن يؤمنوا ، ويعلموا آخر الأمر ، بحقيقة الدورات السابقة : وهى أن لنا أبا واحدا ؛ وأن الناس جميعا إخوة . وهـذا الاعتقاد سيسـدد خطانا ، ويصبح أساسا لنظام العالم الجديد . وقد أمر بهاء الله أتباعه أن يطهروا قلوبهم من كل تعصب دينى أو جنسى ، ومن كل عداء قومى أو جنسى . وإطاعة هذا الأمر اليوم آية البهائى المخلص . ولقد اجتمع اليهودى والمسيحى والمجوسى

والمسلم والبوذى والوثنى والمفكر الحر على مائدة عبد البهاء ، والتقوا جميعا وتمتعوا على السواء بعناية واحدة ، وامتازوا بامتيازات واحدة ، ونسوا الخلافات ، وصارت الأخوة الكامنة فيهم هى الكل فى الكل . وما من شىء يكاد المجهود الخلق أو الاتساع العقلى غير المؤيد يعجز عنه دون معونة إلا تم فى لمحة واحدة بإلهام بهاء الله .

إذاً فتوحيد البشرية هو أعظم واجب ألقاه بهاء الله على أتباعه . والنجاح فى القيام به ممكن ـ بل هو مؤكد ـ بفضل الله الخاص ، ولكنه لن يتأتى من تلقاء نفسه فى يوم من الأيام ؛ وإنما يتطلب تحقيقه مجهودا كبيرا ، إن لم يبذل على الفور تسبب ذلك التأخير الذى لا ضرورة له فى أزمة متزايدة .

ويبدو أنه كان فى نية بهاء الله أن يحمل رسالته بنفسه إلى أمم الغرب ؛ إلا أن أعداءه الذين سجنوه حتى يوم صعوده قد حالوا بينه وبين ذلك . فكان من نصيب ابنه عبد البهاء أن يقوم بهذا المشروع ؛ وأن يجوس خلال أوربا والولايات المتحدة إلى سان فرنسسكو داعيا إلى الأمر، مفسرا تعاليم بهاء الله بشأن توحيد البشرية .

ولقد لفت عبد البهاء انتباه الناس إلى أن الله قد رفع فى هذا العصر الحدود الجغرافية التى فرقت الأمم حتى الآن ، وعاقت انتشار الديانات السابقة ؛ وعلم الناس طرقا جديدة للحركة والاتصال . وبذلك أوجد فى

عصر الله المجيد تلك الشروط الطبيعية التي تمكن أهل الشرق والغرب من توحيد جهودهم ، وتكوين اتحاد فعال من أنفسهم .

وهناك مسألة أخرى ، وهي إزالة سوء التفاهم التقليدي والتعصب المتأصل . وقد رمى إلى ذلك الهدف بهاء الله حين أمر بأن تكون كل الشعوب ثنائية اللغة ، بمعنى أن تشترك في لسان واحد عالمي بالإضافة إلى لغاتها القومية المختلفة . وتلك اللغة العالمية يجب أن تكون إحدى هذه اللغات المتكلمة اليوم ؛ أو أن تكون لغة مؤلفة مخترعة لهذا الغرض .

وقد وضع بهاء الله لصالح العالم تقويما جديدا تستعمله كل الشعوب ، ويحل محل تلك التقاويم المتنافسة التي تستعمل اليوم . فاختار ذلك التقويم الذي وضعه الباب مع شيء طفيف من التعديل. وفي هذا التقويم نرى - كما رأينا في تقويم متن (Meton) الإغريقي القديم المعروف لدى أهل الغرب بالأرقام الذهبية - أن الرقم الأساسي هو تسعة عشر . ففي الشهر تسعة عشر يوما ، وفي السنة تسعة عشر شهرا يضاف إليها أربعة أيام أو خمسة ليتجاوب التقويم مع التقويم الشمسي ؛ وتجمع السنوات في دورات عدة كل منها تسعة عشر عاما . أما أسماء الشهور فمأخوذة من صفات الله الحسنى : كشهر البهاء ، والعظمة ، والجمال ، والجلال ، والنور ، والرحمة ، وأشباه ذلك .

والأهمية العظمى الولاة للتربية (والتعليم والثقافة عامة) ظاهرة

رائعة من ظواهر النظام البهائى الاقتصادى والدينى . وهى تتجلى خلال كتابات بهاء الله فى صور شتى : تلميحا وتلويحا، ونصا وتصريحا . فالمعلم مثلا يرث ميراثا شرعيا معلوما ، نظرا إلى أنه والد تلميذه الروحى. وتعليم الفتاة سابق على تعليم الفتى ، نظرا إلى أن الفتاة هى أم المستقبل ، وهى المعلم الأول للأطفال فى الأسرة ؛ ولذلك وجب إعدادها منذ بادىء الأمر للقيام بأعباء هذه المهمة .

ثم يعهد بالفنون الإنسانية النبيلة فى أنحاء العالم إلى جماعة العاملين الدولية التى يعين أعضاءها ولى الامر ؛ ويكون هو بصفته القوام على تبيين النصوص المقدسة رئيسا لها . وتنتخب هذه الهيئة من بين أعضائها تسعة أعضاء مهمتهم التعاون الوثيق مع الرئيس . أما نظام التربية الذى يجب أن يتبع فى كل الأمم فقد حدد بهاء الله طبيعته ومعالمه العامة . فهو سوف يشمل الطلاب من كل الأعمار ، ومن كلا الجنسين ، ومن كل الطبقات الاجتماعية ، والمواهب العقلية . ولن يقتصر على الأجناس المتفوقة ؛ بل سيشمل كل الأجناس بحيث أنه لن يعتبر كاملا إلا إذا شمل فيمن شمل ثلاث الأجناس التى لاتزال على الفطرة . وسوف يكون مداه من السعة والتنوع بحيث يتيح الفرصة لتنمية كل القدرات والمواهب والأذواق على اختلافها وتباينها . ولن تجد أمة من الأمم مصالحها الخاصة ومنافعها الذاتية مهضومة من أجل مصالح أمة أخرى أو منافعها ؛ أو من

أجل مصالح المجموع ومنافعه . ذلك بأن كل القابليات الخاصة سوف تلق تشجيعا وتمهيدا وإنماء . والواقع أن الغرض العام من هذا النظام التعليمى الضخم هو الرقى بكل قوة بشرية واستعداد إنسانى إلى أسمى الغايات ، حتى يبلغ الجنس البشرى باعتباره وحدة جامعة — إلى أسمى درجة ممكنة من المعرفة والكفاءة .

ومن الناحية الأخرى يجب أن يمنع تحريف التاريخ القومى ، والاستمرار فى الشكوك والأحقاد المحلية ، وغرس الآراء الضيقة المفرقة . فهدف التعليم الذى يتلقاه الطالب وروحه ستقره هيئة عالمية ؛ وسيتفق كل ما يتلقاه طالب من الطلاب مع ما يتلقاه الطالب الآخر فى أية بقعة أخرى من بقاع العالم .

وإقامة التربية على هذه القواعد ضرورة سابقة لتحقيق أية وحدة مرجوة للجنس البشرى؛ وحدة تزدهر فى جنباتها ثقافة عالمية متوحدة ، وحضارة جامعة .

ولتمكين مثل هذه الحضارة من الاستقرار والتشكل فى القالب المرجو ، أدمج بهاء الله فى تعاليمه بعض النظم الاقتصادية يرجع معظمها إلى تعاليم الباب؛ وطائفة من الأحكام المهمة فى بابى القانون المدنى والجنائى والمفروض أن كلا النظامين الاقتصادى والتشريعى سيطبقان على الكرة الأرضية ؛ ولن يتناول الإلغاء أو التعديل شيئا من هذه الأحكام المنصوص عليها خلال

الدورة الحالية (أى دورة بهاء الله) ؛ ولكن الأحكام الأخرى التى لا نص عليها تشرع بمعرفة بيت العدل العام . أما تمايز الطبقات بمعناه المزرى فسيزول ، وإن استمر التفاوت فى المنزلة الاجتماعية دائما ؛ لأن رجال الجيش الواحد لا يمكنهم أن يكونوا كلهم قادة ، كما أنهم لا يمكنهم أن يكونوا كلهم جنودا . أما نظام رأس المال فسيظل على ما هو عليه ؛ إلا أن الغنى الفاحش والفقر المدقع سينتهيان ؛ وبذلك يكف هذا النضال العنيف الذى نشهده اليوم فى سبيل البقاء . ولن يحمل المواطن العادى سلاحا من الأسلحة ليدافع به عن نفسه ؛ بل يكون لكل حكومة وطنية أن تعد هيئة من الشرطة تكون غايتها حفظ النظام ؛ ولحكومة العالم المركزية أن يكون لها قوة من الشرطة العالمية تكون غايتها المحافظة على السلام بين الأمم ، وإخضاع كل معتد .

وتشرف على هذا النظام الإدارى هيئتان ساميتان مسئولتان : ولاية الأمر وبيت العدل العام . أما ولى الأمر فهو المركز والممثل لوحدة الدين والمؤمنين به ؛ لقبه عبد البهاء : « بآية الله ، والغصن الممتاز ، والمبين لكلمات الله » . وولاية الأمر وراثية . ولكن ينبغى أن يراعى حتى فى هذا المركز العظيم (كما هى الحال فى المراكز الأخرى فى الإدارة البهائية) أن يكون الخلق الإلهى هو الشرط الجوهرى . وكل ولى للأمر يعين فى

حياته خلفه؛ ويشترط أن يقر على هذا التعيين أيدى أمر الله التسع، سواء أكان هذا الإقرار بالإجماع أو بالأغلبية. فإن لم يكن الولد البكر كفوا لذلك المركز من الناحية الروحية؛ وإن لم (يكن متجردا عن شؤون الدنيا؛ ولم يكن جوهر الطهارة؛ ولم تظهر منه تقوى الله والمعرفة والحكمة والفهم) تجاوزه ولى الأمر إلى غصن غيره.

ولولى الأمر الحق كذلك فى تعيين أعضاء هيئة العاملين العالميين، وأيدى الأمر الذين ينشرون نفحات الله، ويحيون نفوس الناس، ويرجون العلم، ويهذبون أخلاق جميع الناس؛ والذين هم فى كل حين وفى كل ظرف منقطعون متطهرون عن الشؤون الأرضية. وينتخب هؤلاء العاملون من بينهم تسعة أعضاء يعاونون ولى الأمر فى عمله.

وأما بيت العدل العام الذى تنتخبه كل شعوب الأرض ويرأسه ولى الأمر بالوراثة فهو الهيئة التشريعية العليا للعالم البهائى. ولبيت العدل العام الحق فى سن اللوائح والقوانين غير المنصوص عليها إذا اقتضت الضرورة. وبذلك يتجنب العالم البهائى جمود النظام التشريعى؛ ويمد العالم من حين إلى حين بالتعديلات التشريعية اللازمة للمطالب المختلفة التى يتطلبها عالم مطرد التقدم.

على أن كلا من بهاء الله وعبد البهاء قد نبها على ضرورة النظام ولزوم الطاعة فى العالم البهائى تنبيها شديدا. ذلك لأن ولى الأمر وبيت العدل

العالم كليهما مشمولان برعاية الله الحكيم ؛ وعلى ذلك فأى لون من ألوان العصيان لها فى نطاق نفوذها مجلب لغضب الله الشديد .

وقد بين ولى الأمر معالم النظام العالمى الذى يعمل له كل البهائيين حين عرض بعض فقرات من اللوح الذى أرسله بهاء الله إلى الملكة فكتوريا سنة ١٨٦٨ ؛ فقال :

« على أى شىء آخر يمكن أن تدل هذه الحكايات القوية إن لم تكن تشير إلى الانتقاص الضرورى من السيادة القومية المطلقة كإجراء مبدئى لا مفر منه لتكوين حكومة عالمية عليا ، تتخلى لها كافة شعوب العالم بمحض اختيارها عن كل حق فى المحاربة ، وعن بعض الحقوق فى فرض الضرائب ، وعن كافة الحقوق فى التسلح ، ما عدا ما يقصد به حفظ النظام الداخلى فى حدودها الخاصة ؛ حكومة تتضمن سلطة تنفيذية دولية تكون قادرة على فرض سلطتها العليا التى لا منازع لها على كل أمة متمردة من بين الأمم التى تتكون منها هذه الحكومة العالمية ؛ وتشتمل على برلمان عالمى تنتخب أعضاءه شعوب العالم ، وتقر كل حكومة هؤلاء الأعضاء المنتخبين من بين شعبها ؛ كما تشتمل على محكمة عليا يكون حكمها نافذا حتى فى الأحوال التى لا يرغب فيها الفريقان المتنازعان عرض أمرهما عليها ؛ وجامعة عالمية ترفع عنها نهائيا كل الحواجز الاقتصادية ، ويعترف فيها بالصلة المشتركة بين رأس المال

والعمل ، وفيها تخمد نهائيا صيحات التعصبات والمنازعات الدينية ، وفيها تطفأ نهائيا شعلة العداء الجنسي ؛ وقانون عالمي واحد يصدر عن ممثلي العالم المتحد ، ويحميه التدخل العاجل الحاسم من جانب القوات المشتركة للاتحاد العالمي ؛ ثم جامعة إنسانية يتحول فيها جنون الوطنية المحاربة إلى وعي قوي عميق بالعالمية . هذه هي المعالم العريضة التي يبدو أنها هي النظام الذي قدره بهاء الله . (الإدارة البهائية ، نوفمبر سنة ١٩٣١) .

ولقد نما النظام الإداري البهائي في أمريكا نموا بلغ في سنة ١٩٢٦ حدا رؤى معه أنه من المستحسن وضع صورة قانونية يمكن خلالها أن تكون هذه الفعاليات أكثر نشاطا وأحكم قيادة . فوضع البهائيون دستورهم وسجلوه . ومواد هذا الدستور الذي نشر في كتاب العالم البهائي تظهرنا على أنه مجهود لوضع بعض المبادئ الروحية التي نبه عليها بهاء الله موضع الإجراء والتنفيذ . فهو بذلك يبدو مثلا للفلسفة البهائية في قالبها العملي في العالم الحديث .

وهذا الدستور يشتمل اثنتي عشرة مادة ، نقتبس منها هذه الفقرات التالية نموذجا :

ورد في الجزء الأخير من الديباجة :

« إن هيئة المحفل الروحاني المركزي في قيامها بعبء تلك المسئوليات

وصيانة تلك الحقوق متضامنة متحدة مؤتلفة ؛ وقبولها لنفسها لقب (الأمناء) إنما تعمل بصفتها هيئة إدارية لطائفة دينية كانت ولا تزال ذات وجود مستمر لأكثر من ١٨ سنة ؛ وكان تلقاء تلك الجهود أن دعي المحفل الروحاني المركزي للقيام بعبء الإشراف على تلك الشؤون الخاصة بالبهائيين في الولايات المتحدة وكندا ؛ والتي لا تزال تزداد اتساعا: الأمر الذي نشعر - نحن الوكلاء - بأنه من المرغوب فيه ، بل من الواجب أيضا ، أن تكتسب هذا الإشراف والنفوذ صفة قانونية واضحة بعد الإجماع الكلي وتقدير العلاقة المقدسة الروحية بيننا و بين عموم البهائيين . فبالإصالة عن أنفسنا ، وبالنيابة عن الهيئات المنتدبة التي تخلفنا في القيام بهذه المهمة في ظل هذا الدستور ، نعترف بهذا النظام الديني الذي أوجبه حضرة بهاء لمحافل بقوله : « كونوا أمناء الرحمن بين الإمكان» ؛ ونرجو من الله القدير المعونة والتأييد والهداية والتوفيق حتى نقوم بهذا الواجب المفروض خير قيام » .

وفي نهاية الدستور - أي في المادة الحادية عشرة من اللائحة الداخلية - نجد هذه الكلمات القوية الفعالة :

« إن من أهم الواجبات المقدسة المفروضة على أولئك الذين انتدبوا لأن يديروا و يربطوا ويباشروا مصالح الأمر بصفتهم أعضاء لمحافل المحلية أو المركزية ما يأتي :

أن يعملوا بكل ما أوتوا من قوة على كسب ثقة وعطف أولئك الذين أتيح لهم الشرف بالقيام على خدمتهم ؛ وأن يحرصوا على الإحاطة بالآراء السائدة ، والإحساسات العامة ، والعقائد الشخصية التي تبدو وتظهر على الذين يعتبر ترويج مصالحهم من أقدس واجبات أعضاء المحافل الروحانية. ويجب أن تكون تدبيراتهم وتأملاتهم وتصريفهم للأمور بعيداً عن العزلة وريبة السرية ؛ وأن ينقوا الجو من جرثومة الاستبداد ، ومن كل كلمة ومقال يشتم منه روائح التحزب والاستئثار والتعصب . بل بينما هم يحتفظون بحقهم المقدس في البت والفصل النهائي فيما يعرض عليهم من المسائل، عليهم أيضا أن يفسحوا المجال للغير في أن يبدى رأيه ؛ وأن يتدبروا فيما يرفع إليهم من التظلمات ؛ وأن يرحبوا بكل نصيحة ومشورة ، ويعملوا على تنمية عواطف التضامن والتعاون وحسن التفاهم والثقة المتبادلة بينهم وبين سائر البهائيين » .

ولقد نفذت جهود البهائيين منذ سنوات في أمريكا خاصة ـ وفي الدولة الشرقية والغربية الأخرى عامة ـ حسبما تقضي به تعاليم بهاء الله وتفسيرات عبد البهاء . ويمكنك أن تجد تفصيلا كاملا لهذا النظام في المجلد الثالث والرابع من كتاب العالم البهائي .

وقصارى غاية الإدارة البهائية ـ في أي قطر تؤسس فيه ـ نشر العرفان بالله ، وترويج شريعة بهاء الله الجديدة ، وتنفيذ رغبته في أن يسود

السلام والاتحاد بين البشر ؛ وروحها الخدمة التي لا تسعى لمصلحة شخصية، وقوتها المحركة المحبة الروحية ، ودعوتها إلى عالم ينتسب إليه كل الناس على السواء : لا فرق بين أسمرهم وأصفرهم وأحمرهم و بين أبيضهم ؛ إلى عالم يكون فيه «أعظمكم هو أقربكم إلى الله» . هذا، وإننا نرى المؤهلات الخلقية المفروض توافرها في الأعضاء محددة تمام التحديد كوظائفهم سواء بسواء . فالشرط الأول لأعضاء المحفل الروحاني هو المحبة والألفة التامة بحيث « يتبرأون من كل جفاء ، معلنين حضرة وحدة الربوبية » — كما قال عبد البهاء . والشرط الثاني هو أنهم « يتوجهون إلى الملكوت الأعلى ، ويطلبون التأييد من الأفق الأبهى حين اجتماعهم» . أما الاشتغال بالأمور السياسية فممنوع منعا باتا . بل « تنحصر المذاكرات بتمامها في الأمور الروحانية المتعلقة بإدارة تربية النفوس وتعليم الأطفال و إغاثة الفقراء وإعانة الضعفاء من جميع أجناس العالم، ويكون المحفل محبا لجميع الأمم، وناشرا لنفحات الله ، ومقدسا لكلمة الله » . و إطاعة النظام مفروضة . ويجب على الأحباء أن يحققوا فيما بينهم الاتحاد القلبي الصادق ؛ وعلى كل فرد من أفراد المؤمنين أن يطيع بقلبه وروحه أوامر محفله الروحاني ؛ وأن يكون خاضعاً له حتى تسير الأمور سيرها المطلوب وتنتظم الأحوال ، « وإلا تصرف كل شخص حسبما يمليه حكمه الشخصي ، واتبع هواه وصار سببا في إلحاق الضرر بأمر الله » .

وفى الجهات التى استتب فيها الدين البهائى تجد أن المحافل المحلية تأخذ على عاتقها عملا ليس بالهين ولا باليسير . وغالبا ما تقوم بكثير من هذا العمل عن طريق اللجان . فهى ، إلى جانب ما تسعى فيه من ترقية الشعور الطيب بين الأحباء وتشجيع أوثق ألوان التعاون بينهم فى سبيل الدين ، تعاون الفقراء والمرضى والعجزة واليتامى والأرامل بغض الطرف عن اللون والطبقة والعقيدة . وهى تجد سرورا عظيما فى تثقيف الشباب فى كلا الناحيتين المادية والروحية . وهى دائمة الاتصال وتبادل الرسائل مع المراكز البهائية فى مختلف بقاع الأرض ، والعمل على ترقية المطبوعات والمجلات البهائية . وهى تتولى تنظيم مجالس عامة يلتقى فيها الأحباء ، وكذلك اجتماعات خاصة للنظر فيما تترقى به أحوال مواطنيهم الاجتماعية والفكرية والروحية . هذه الاجتماعات تجرى على أحدث النظم ، لتحقيق الآثار المرجوة منها بكفاءة . والروح التى تسود هذه الاجتماعات روح بساطة وصداقة ؛ والأبحاث التى تدور فى هذه الاجتماعات أبحاث لا تكاد تتعدى فى بساطتها الأبحاث والأحاديث العائلية . والواقع لدى كل بهائى أن كل مجتمع – بل كل الجنس البشرى نفسه – أسرة واحدة لا ترتقى مصالحها ولا تتقدم إلا عن مثل هذا الإدراك .

وكل محفل محلى يتألف من تسعة أعضاء منتخبين . وعلى رأس كل هذه المحافل التى توجد فى إقليم من الأقاليم محفل مركزى يربطها جميعا .

وهذا المحفل المركزى يتألف أيضا من تسعة أعضاء منتخبين انتخابا غير مباشر، بعكس المحافل المحلية : أى عن طريق مندوبين مختارين من كل ناحية لهذا الغرض . وقد جرت العادة بأن تجرى هذه الانتخابات أثناء عيد الرضوان الذى أعلن فيه بهاء الله دعوته من ٢١ إبريل إلى الثانى من مايو .

وهكذا فالنظام العالمى للإدارة ، والاقتصاد والتعليم ، والقانون ، والتقويم الواحد ، واللغة الواحدة هى أدوات التوحيد الخمس التى وضحها عبد البهاء باسم بهاء الله فى سفرته التبليغية فى سنة ١٩١٢ .

وخلف هذه التدابير العملية تكمن فى معالم تعاليم بهاء الله العامة قوة أشد اقتداراً على تحقيق هذه الوحدة . فهى تهب لكل من يستمع إليها عقلية جديدة ، ونظرة للحياة جديدة ، وإدراكا جديداً لوحدانية الله ووحدة خلقه ووحدة الكائنات التى صورها ؛ وتظهرنا على أن ذلك التنظيم المقصود للأمم المختلفة المتعددة ، وضمها فى هيكل واحد لم يكن بأية حال فكرة حديثة ولا حلما سعيدا من أحلام هذا العصر الأخير . وإنما هو فى الواقع التعبير الطبيعى لحقيقة قديمة خالدة رفض الإنسان أن يستغلها أو يقدرها . فالجنس البشرى وحدة عضوية كما أن الجسم البشرى كل منظم ، وإن تعقدت عملياته واختلفت وظائف أعضائه ؛ أو قل هو « نفس واحدة فى أجساد كثيرة » كما قال عبد البهاء . ففصل عضو من الجسم عن أعضائه

الأخرى معناه إحداث الضعف والشلل . ولا تتم الصحة الكاملة ولا القوة إلا حين تعمل كل الأعضاء فى توافق وانسجام . فإذا انضوت الأمم ـ عن وعى وإدراك ـ تحت لواء نظام واحد متسق بلغ الجنس ـ لمرة الأولى فى التاريخ البشرى ـ أسمى غايات القوة والحيـاة ، وبدأ يتعرف نفسه ، ويتحسس قوته ، ويدرك إمكانياته ، ويصل فى حياته اليومية إلى ذروة التحصيل والبركة التى لم تحلم بها أمة من الأمم فى ليلها الطويل وسباتها العميق .

ثم إن بهاء الله وضع وحدة البشرية هذه مشيرا بها إلى وحدة أعظم منها وأكبر. فالإنسان ـ بمقتضى طبيعته المادية ـ ليس غريباً عن محيطه ولا منعزلا عن عوالم الطبيعة الدنيا . وهو وإن كان سـيد الخلق إلا أنه جزء منه ؛ وكل هذه العوالم التى هى دونه فى مراتب الوجود أخوته وأخواته فى الرتبة الأدنى . الأمر الذى يجعل عملية التكوين واحده : واحدة فى حركتها ، واحدة فى أصلها ، وواحدة فى غايتها . فمنذ ذلك اليوم الذى بدأ فيه الروح الأعظم فى تصريف المادة الأولى التى تملأ الفراغ ، وتشكيلها وصبها فى قوالب دنيا وقوالب عليا ، إلى أن أخذت العناصر تتطور بعد آماد فسيحة من الزمن ، وتثبت على أوضاعها ، وتظهر فى الصور التى تستطيع قدرة الله الفياضة أن تتجلى عن طريقها ـ منذ تلك الومآت الخلقية فيما قبل الكون إلى أن سار على الكوكب من هو على صورة الله ، خاضعا

لخالقه ـ خلال هذه العملية بتمامها ، كان كل ما يحدث إنما يحدث فائضا عن إرادة واحدة ، خاضعا لقانون واحد ، موجها إلى غرض واحد ، إلى نهاية أخيرة قدرتها الإرادة الأولى . فوحدانية الله تشع في مرايا صنعه ؛ والإنسان يقف على قمة الخليقة التي خلقت له ؛ بل التي ما خلقت إلا ليأتي الإنسان نفسه إلى الوجود . وهكذا يؤكد بهاء الله الحديث المشهور : « لولاك لما خلقت الأفلاك » . والناس على اختلاف أجناسهم وقبيلهم يمثلون أعظم صنع الخالق . فكل واحد منهم ، أبيض اللون أو أسوده حائز لكل القوى ؛ وكل واحد منهم « مشرق الحق » .

بمثل هذه التعاليم دعى بهاء الله أهل دورته جميعا إلى أن يسبروا غور معاني الكون العميقة ، ويدخلوا ميدانا جديدا من الوعي ؛ حتى إذا ما عرفوا الحق خلصوا أنفسهم من هذه الضلالة الشائنة التي جعلت الإنسان يقوم على الإنسان ، والأمة على الأمة ، والجنس على الجنس .

الفصل التاسع

نار المحبة الإلهية

إن وحدة الجنس البشرى لن تؤسس ولن تفتتح عن طريق التعاليم الإلهية أو المعرفة العقلية ، ولا عن طريق اتباع قانون أو شريعة أو نظام من النظم الإدارية ؛ بل قل إن ذلك لن يتـأتى عن طريق محبة تحرق بلظاها الإغراق فى محبة الذات ، وتذيب بلهيبها كل القلوب وتصبها قلبا واحدا .

إن الله فى يومه الأخير الأعظم (كما يعتقد البهائيون) قد جعل على الأرض مركزا يتوجه إليه كل الناس ، ونقطة تجذب إليها البشر وتضع بينهم أساسا دائمـا للتعاطف والوئام ، وضرب خيمته بين الناس ، واتخذ من قلوبهم مسكنا لحبه ، وأقام فى عواطف أبنائه أساسا عميقا خالقا للوفاق العالمى والاتحاد الذى لا انفصام له . وإن دينا ينبع من إلهام عام ، ويشمله إيمان تام ، ويدعو إلى طاعة عامة ، ويهب لكل الناس سعادة تامة حرى

بأن يربط كل الأمم والعناصر فى وحدة متصلة بوشائج الشعور العام والحب الشامل .

لقد أثمرت اليوم كل الجهود التى بذلها رسل الله السابقون ، ولم يضع من مجهودهم شىء . جاء وقت الحصاد بعد أن عمل على قدومه أحباء الله والشهداء والأولياء فى كل العصور ، سواء منهم من عرفهم العالم ومن جهلهم . وكل مؤمن يذكرهم كل يوم بين يدى الله ويمجدهم ، لأن الغاية التى هدف إليها كل رسل الله كانت تقوية روح الوحدة عن طريق المحبة .

قال بهاء الله فى فقرة سبقت الإشارة إليها : (إعلم أن الأوامر الإلهية تتغير فى كل عصر وتتشكل بحسب مقتضيات الزمان ، ما عدا قانون المحبة ؛ فإنه كالنبع الذى يفيض دائما بلا تغيير) .

وحينما قال أحد الهنود لعبد البهاء : « إن رسالتى فى الحياة هى أن أبلغ العالم رسالة كرشنا بكل ما فى طاقتى » ، أجابه المولى : « إن رسالة كرشنا رسالة المحبة . وكل أنبياء الله قد جاءوا برسالة المحبة[1] » .

كما كتب عبد البهاء لأحد المؤمنين فقال :

« إن جوهر تعاليم بهاء الله هو المحبة العامة التى هى أساس كل فضائل العالم الإنسانى؛ والتى هى سبب الحياة الخالدة وتقدم أفراد الجنس البشرى[2] »

---

(١) عبد البهاء فى باريس : ص ٣٠ من الترجمة الانكليزية .

(٢) خطابات عبد البهاء : جزء ثالث ، ص ٥٤٤ من الترجمة الانكليزية .

وكتب مرة أخرى يقول :

« وكانت الغاية من ظهور الجمال المبارك اتحاد شعوب الأرض واتفاقهم، ولذلك فإن رغبتي القصوى هي أولا الوئام والاتحاد والمحبة بين المؤمنين ، ثم بين كل شعوب الأرض(١) » .

وفي مقام آخر يقول :

« إن أول فيض من الحق هو المحبة والاتحاد والوفاق ؛ وبدون هذه تذهب كل الأعمال سدى ولا يكون لها أثر ما(٢) » .

إذا فالمحبة هي مبتدأ هذه الدورة ومنتهاها . كذلك شاء الله قبل أن تكون الدنيا ؛ وكذلك نفخ بها في جسد العالم في عصره المجيد مسيطرا على مجراها ، قائدا خطواتها . فانبعثت أشعتها المجيدة عن ينابيعها الثلاثة الربانيين (ثرياها ، وشمسها، وقمرها) انبعاثا خصيبا دافقا بغير حساب ولا توقف ولا حد ، مبددة الظلمة التي غلفت العالم . بل لقد كانوا هم أنفسهم محبة ؛ لأن الله محبة ، وهم كانوا يحكون جوهره . كانت أخلاقهم وحياتهم محبة ، وكذلك كانت كل أوامرهم وتعاليمهم تظهرنا على أن المحبة هي قانون الوجود الخلاق . وهذا صوت الله يعلن في الكلمات المكنونة : « كنت في قدم ذاتي وأزلية كينونتي عرفت حبي فيك ، خلقتك وألقيت

---

(١) خطابات عبد البهاء الجزء الثاني : ص ١٢٥ من الترجمة الانكليزية .
(٢) خطابات الجزء الثاني : ص ١٨٣ من الترجمة الانكليزية .

عليك مثالى ، وأظهرت لك جمالى (١) » .

والمحبة هى القوة المكونة فى كل مراتب الكائنات ؛ وحب الله محيط بكل شىء . والمحبة المتجلية فى العوالم الدنيا هى القوة التى تؤلف بين المادة الأساسية غير المختلفة ، وتصبها فى القوالب والأشكال ، وتأتى إلى حيز الوجود بالعناصر القديمة وبكل نتاجها من العشب والزهر والطير والحيوان والإنسان نفسه بما له من موهبة عليا فى عقله وقلبه . فإذا سحبت هذه القوة الجاذبة من عالم النماء والفناء انحل الترابط بين الأشياء وتلاشى . والمحبة هى القوة التى تنفخ الاتحاد والحياة فى الجهود الاجتماعية . فإذا تعطلت القلوب عن المحبة حل الانفصال والموت محل التعاون والاتساق اللذين كانت المحبة سببهما وعمادهما .

كتب عبد البهاء فى إحدى رسائله يقول : « إن المحبة سر البعث الإلهى ، والمحبة هى التجلى الرحمانى . المحبة هى الفيض الروحانى . المحبة هى النور الملكوتى . المحبة هى نفثات روح القدس فى الروح الإنسانى . المحبة هى سبب ظهور الحق فى العالم الإمكانى . المحبة هى الروابط الضرورية المنبعثة من حقائق الأشياء بإيجاد إلهى . المحبة هى وسيلة السعادة الكبرى فى العالم الروحانى والجسمانى . المحبة هى نور يهتدى به فى الغيهب الظلمانى . المحبة هى الرابطة بين الحق والخلق فى العالم الوجدانى . المحبة هى سبب الترقى

---

(١) الكلمات المكنونة العربية .

لكل إنسان نوراني . المحبة هي الناموس الأعظم في هذا الكور العظيم الإلهي . المحبة هي النظام الوحيد بين الجواهر الفردية بالتركيب والتدبير في التحقق المادي . المحبة هي القوة الكلية المغناطيسية بين هذه السيارات والنجوم الساطعة في الأوج العالي . المحبة هي سبب انكشافات الأسرار المودعة في الكون بفكر ثاقب غير متناهي . المحبة هي روح الحياة لجسم الكون المتباهي . المحبة هي سر تمدن الأمم في هذا الحياة الفاني . المحبة هي الشرف الأعلى لكل شعب متعالي[١] ... » .

إن محبة الله تحيط بكل قلب، ولكنها لن تدخله إلا كما يدخل الضيف المرحب به . والإنسان في إدراكه لضعفه و بؤسه ، ولحياته العابرة الزائلة، ومعرفته الناقصة بسعادته الضيقة المزعزعة ـ يحن إلى أمور أفضل من هذه، ويحلم بالجنان لو أن شيئا من هذا القبيل موجود حقا . نعم ، إن محبة الله هي تلك الجنان ، وإليها يدعو بهاء الله كل بني الانسان !

« رضوانك حبي ، وجنتك وصلي ، فادخل فيها ولا تصبر . هذا ما قدر لك في ملكوتنا الأعلى ، وجبروتنا الأسنى[٢] » .

« يا بني ! أعطني قلبك ! » محبة الله هي الواجب الأعلى ، وهي أقصى ما يمكن أن تبلغه النفس البشرية من سعادة . وأبواب الجنة مفتوحة

(١) مكاتيب عبد البهاء ، الجزء الأول ص ١٦٠ .
(٢) الكلمات المكنونة العربية .

على مصاريعها ، ولكن لن يدخلها إلا المحب الصادق : « أحببني لأحبك . إن لم تحببني لن أحبك أبداً ؛ فاعرف يا عبد ... إن تحب نفسي فأعرض عن نفسك ؛ وإن ترد رضائي فأغمض عن رضائك ؛ لتكون فيّ فانياً وأكون فيك باقياً(١) » . فلا ســلام للإنسان ولا مقام إلا في محبته التفانية لله . ولئن ذرع الإنسان الأرض ذات العرض ، وبلغ السماء بأسباب فلن يجد راحة نفسه إلا في تلك المحبة لله : « حبي حصني من دخل فيه نجا وأمن ، ومن أعرض غوى وهلك(٢) » .

وهكذا يتعلم المؤمن أن يصلي فيقول : « باركني بالمحبة التي هي عين الحياة ! حتى أخلص من النظر إلى نفسي ، أو إلى ما سواك ، وأكون فيك فانياً ، لا أعلم شيئاً إلا أنت ، ولا أنظر شيئاً إلا أنت ، ولا أفكر في شيء إلا فيك أنت . » والمحبة لله هي أعظم غنى يستطيع الإنسان أن يحصل عليه في الأرض ؛ بل هي الغنى الحقيقي : « من أحبني ملك كل شيء ؛ ومن لم يحببني فقد كل شيء » .

طبيعة الإنسان ــ لو أدرك حقيقة الأمر وعلم ــ هي أن يحب الله . فقد نفخ الله من روحه في الإنسان ، لعل الإنسان يحبه : « حبي فيك

(١) الكلمات المكنونة العربية .
(٢) الكلمات المكنونة العربية .

فاعرفه منك، لتجدني قريباً» . ويدعو المؤمن ربه فيقول : «رب وفقني إلى مشاهدة كينونتك الخالدة . يا من هو أصدق من نفسي ! يا من يحيا في سويداء قلبي ! » فإذا التفت إلى نفسه وتأمل فيها وجد الله قائماً فيه بالمحبة والعزة والجلال . ذلك لأن مقام الله ليس في السموات ؛ وأن مقره في الأرض ليس إلا في قلوب عباده .

وفي الكلمات المكنونة يرتفع صوت الله بالتحسر على الحب الضائع ؛ لأن المحبوب الأعظم (الذي هو في غنى عن محبة خلقه ؛ لأن له كل شيء وإن أعطى كل شيء) يأسف على ولع أبناء التراب باطراح ميراثهم من السعادة بجهلهم ؛ وجلبهم بذلك على أنفسهم آلاف الويلات . وبهاء الله يظهرنا على أن أهم الأسباب التي سببت شقاء الإنسان هو افتقاره إلى المحبة الإلهية . وفصل من ألوان المحبة أربعة : محبة الله لكمالاته ، وهي ما دعاه إلى خلق الخلق لكي تعرف هذه الكمالات ؛ ومحبة الله للإنسان ؛ ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان . ولو أتيح للون خامس أن يضاف لكان — كما يقول عبد البهاء — محبة الإنسان لنفسه العليا التي تدفعه إلى التقدم . إلا أن بهاء الله عرف المحبة بأنها في جوهرها توجه الإنسان إلى الله ، وانقطاعه عما سوى الله ، ورغبته عن كل شيء إلى ما يرغب فيه الله .

وقد مجد عبد البهاء تلك القوة التي تخلقها محبة الله في الإنسان فقال :

« يحترق بنار المحبة الإلهية القناع الذي يحجب الحقائق الإلهية ،

فنستطيع ـ بالبصر الصافى ـ أن نشق الطريق إلى الأمام ، وإلى العلا فى سبيل الفضيلة والقداسة ؛ حتى تصبح مشاعل النور للعالم . وليس هناك أعظم من محبة الله . فهى شفاء العليل ، وبلسم الجريح ؛ وهى السرور والعزاء للعالم بأسره . وعن طريقها وحدها يستطيع الإنسان أن يحصل على الحياة الأبدية . إن جوهر كل الديانات محبة الله ؛ وهى أساس كل التعاليم المقدسة[١] » .

كثيراً ما نجد على وجه الأرض كثيرا من التزييف فى المحبة والاستهجان باسمها العظيم . فالمحبة الخالصة الوثيقة أمر نادر عزيز . وقد علمنا بهاءالله أن الحب الدنيوى هو ذلك الذى إن أحبنا لم يكن مفكراً إلا فى نفسه ، متوخيا خيره هو ومصلحته هو ؛ فمحبته زائفة . « ولكن المحب الحقيق هو من أحبكم لأجلكم ؛ بل إنه هو من قبل فى سبيل هدايتكم البلايا التى لا تحصى[٢] » .

ويحذر عبد البهاء المستمعين إليه من وضع ثقتهم فى محبة لا تكون صافية نقية . يحذر بأسلوبه اللطيف من محبة قائمة على غرض ؛ من محبة يكون أساسها المنفعة الذاتية ؛ من محبة لا تفضى إلا إلى البغض والكراهية . إذاً فالمحبة الأنانية أو المحدودة لا تغنى ، لأن المحبة الخالصة

---

(١) عبد البهاء فى باريس ، ص ٧٤ .

(٢) الكلمات المكنونة الفارسية .

لا تلتمس منفعة خاصة بأية حال من الأحوال ، ولا تمن على أحد بفضل ؛ ولأن الله ـ من قبل ومن بعد ـ يريد من الناس ـ فى عصره المجيد ـ لنفسه ولمخلوقاته ، وليعطيهم البعض الصدق وجوهر المحبة . إن المحب الصادق لله يتوق إلى البلايا والشدائد فى سبيله . ولقد ضحى الباب وبهاء الله وعبد البهاء بأنفسهم فى سرور مشرق متلألئ على مذبح العبودية ، خارجين لله عن كل ما ملكوا جميعا ، ولم يستبقوا لأنفسهم شيئا مما ملكوا ولا من أرواحهم ولا من ذويهم ، بل إنهم كانوا يبتهلون طمعا فى بلاء أعظم : « وما مررت على شجر إلا وقد خاطبه فؤادى ياليت قطعت لاسمى ، وصلب عليك جسدى فى سبيل ربى[١] » .

ولقد فرض على البهائى الكامل أن يحب جاره كحبه لنفسه ، بحيث أنه يضحى فى سبيله إذا اقتضى الأمر بالراحة والطمأنينة ؛ بل بعضو من أعضائه ؛ بل بحياته . وإن تاريخ الأمر البهائى ليسجل تسجيلا مثيرا كيف أن البهائى فى الممالك الإسلامية كان يأخذ على نفسه ـ وهو فى أحرج المواقف ـ أخطاء أخيه ؛ وكيف أنه كان ينقذ حياة أخيه على حساب حياته هو .

ولقد فرض عليه ألا يقتصر بتضحية نفسه على دائرة إخوانه فى الإيمان أو محبيه ؛ بل يجب عليه ، إطاعة لأمر الله ، أن يفيض بحبه

---

(١) من لوح السلطان .

على الجنس البشرى جميعا بكل ما وهب له الله من قوة ؛ غير مفرق فى تلك الإفاضة بين الطبقات والمذاهب ، أو الأجناس والعقائد .

« هل عرفتم لم خلقناكم من تراب واحد ؟ لئلا يفتخر أحد على أحد وتفكروا فى كل حين فى خلق أنفسكم . ينبغى كما خلقناكم من شىء واحد أن تكونوا كنفس واحدة ، بحيث تمشون على رجل واحدة ، وتأكلون من فم واحد ، وتسكنون فى أرض واحدة حتى تظهر من كينوناتكم وأعمالكم وأفعالكم آيات التوحيد وجواهر التجريد(١) » .

ولقد نبه عبد البهاء ــ فى أحد أحاديثه فى باريس ــ على لا نهائية المحبة الخالصة ، مؤكدا أن مثل هذه المحبة قد أصبح ــ بفضل الله العلى القدير ــ فى متناول البشر . أما محبة الأسرة ، ومحبة الوطن ، ومحبة الجنس والحزب وأمثال ذلك من التعبيرات المحدودة للمحبة فكلها تعبيرات ناقصة غير وافية :

« إن المحبة العظيمة التفانية للإنسانية لا تتقيد بقيد من تلك القيود الناقصة الأنانية . ولكن هذه هى المحبة الوحيدة الكاملة ، وهى فى مقدور البشر جميعا . وهى لا تتحقق إلا بقوة من روح القدس ؛ لأن قوة أرضية ما لا تستطيع أن تحقق هذه المحبة العالمية(٢) » .

---

(١) الكلمات المكنونة العربية .

(٢) عبد البهاء فى باريس ، ص ٣٢ من الترجمة الانكليزية .

(٣) خطابات عبد البهاء ، الجزء الثالث .

كما أن الله لا يقبل من البهائى أن تنقص محبته لأى سبب من الأسباب ، أو تحت أى ظرف من الظروف . لأن المحبة يجب أن تكون ينبوعا لا ينضب أبداً ، ومسلكا روحيا لا يحاد عنه قط .

ولقد كتب عبد البهاء لأحد الأحباء الذين نفد صبرهم ؛ فقال :

« كلما ازدادوا ظلما واعتسافا ، زد عدلا وإنصافا . وكلما اشتد بهم الاعتراض والشقاق ، أظهر لهم الإخلاص والوفاق[١] » .

وفى رسالة أخرى (Ep. II, 389) نبه على أن البهائيين يجب عليهم ـ وفقا لتعاليم بهاء الله ـ أن يكونوا فى هذا العصر أصدقاء لكل الأمم والطوائف ؛ وأن يغضوا الطرف عما يصيبهم من أذى أو عنف أو عداء أو اضطهاد . بل على العكس يجب عليهم أن ينظروا إلى الملكوت الأبهى ، معتبرين هؤلاء الذين أساءوا إليهم مخلوقات خلقهم الله ، « وآيات رب الآيات » درجوا إلى الوجود من فضله الرحمانى ، ومشيئته الربانية . فهم لذلك ليسوا بمعزل منهم ، ولا هم غرباء عنهم ، بل هم معارف وأصدقاء . وعلى المؤمن ألا ينظر بعين الاعتبار إلى مزايا الناس وقدراتهم ؛ بل عليه أن يبدى العطف للغرباء كما يبديه للأصدقاء ، وأن يظهر المحبة الحقيقية للآخرين مهما كانت الظروف والأحوال ، دون أن يأذن لهذه المحبة أن تتكدر بكراهية الناس ، ولا بحقدهم ، ولا بازدرائهم . فإن جعلوه

(١) خطابات عبد البهاء ، الجزء الثالث .

هدفا للسهام قدم لهم الشهد واللبن ؛ وإن دسوا له السم قدم لهم الحلوى ؛ وإن أصابوه بجرح كان لهم مرهما .

قال : «المحبة والإخلاص يجب أن يملآ القلب بحيث يرى الرجل الغريب صديقا ... ويعد أعداءه أحباءه ، وغرماءه إخوانه المحبين ، وسافك دمه واهب حياته ، والمنكر مصدقا ، والكافر أحد المؤمنين » .

وفى كل التعاليم ينبث التنبيه على تربية النفوس بالمحبة الشاملة ؛ وعلى أن تكون الأعمال مظهر قانون المحبة العامة ؛ ويتكرر هذا التنبيه بكل تفصيلاته ومناحيه . فمثلا فى هذا التخطيط الصغير الذى رسمه عبد البهاء ــ والذى أصبح شهادة كل بهائى ــ نرى فى كل فقرة من فقراته شيئا من التطبيق العملى لمبدأ المحبة السامى :

فالحياة هى :

« ألا نكون سببا فى حزن أحد ؛

« أن نكون رحماء بكل الناس ؛ وأن نحبهم حبا صادقا ؛

« أن نحتمل الأذى والاضطهاد إذا لحقنا الأذى والاضطهاد ؛ وأن نظهر العطف على الناس بكل ما فى طاقتنا من رحمة ؛ وأن نحب العالم فى جميع الحالات ؛ وأن نفرح إذا اشتدت بنا المصائب لأن المصائب عين المواهب ؛

« أن نصمت عن خطأ غيرنا ؛ وأن نصلى من أجلهم ؛ وأن نساعدهم

بالمحبة ليصلحوا غلطاتهم ؛

« أن ننظر إلى الحسن لا إلى القبيح : فإذا كان لشخص عشر صفات حميدة وصفة واحدة رديئة ، فعلينا أن ننظر إلى الصفات العشر الحميدة ؛ وأن ننسى الصفة الرديئة . وإذا كان له عشر صفات رديئة وصفة واحدة حميدة ، فعلينا أن ننظر إلى الصفة الحميدة ، وننسى العشر السيئة ؛

« فلا نسمح لأنفسنا أن نتكلم بكلمة واحدة رديئة عن شخص آخر ، ولو كان ذلك الآخر عدونا ؛

« أن نعمل كل أعمالنا برفق ؛

« أن ننقطع بقلوبنا عن أنفسنا وعن الدنيا ؛

« أن نكون متواضعين ؛

« أن يخدم بعضنا بعضا ؛ وأن نعلم أننا أقل من غيرنا ؛

« أن نكون نفسا واحدة فى أجساد كثيرة ، فإنه بقدر ما نحب بعضنا بعضا يكون قربنا إلى الله ؛ ولكن يجب علينا أن نعلم أن حبنا واتحادنا وطاعتنا لا تكون بالقول بل بالعمل ؛

« أن نعمل بحرص وحكمة ؛

« أن نكون صادقين ؛

« أن نكون كرماء ؛

« أن نكون وقورين ؛

« أن نكون شفاء لكل مريض ، وعزاء لكل حزين ، وماء لكل ظمآن ، ومائدة سماوية لكل جوعان ، ونجما لكل أفق ، ونوراً لكل مصباح ، وبشيرا لكل من يشتاق إلى ملكوت الله » (عبد البهاء) .

على أن ما تهدف إليه التعاليم يتجلى تجلياً قويا فى سلوك رجالها وأعمالهم . فحياتهم ليست إلا المحبة الكاملة لله وللإنسان ؛ وهى مفتاح سر عملهم المشترك . واطراحهم أسماءهم الشخصية ، واتخاذهم أسماء روحية يمثل إنكار الذات البحت . ومعناه تضحية أغراضهم وأهدافهم الخاصة فى سبيل الواجب الملقى على عواتقهم إطاعة لله . وحين تلقب ميرزا على محمد التاجر بلقب « الباب » نادى بنفسه بأنه الباب المعد لدخول ملك المجد ، وكرس كل فكرة وكل لحظة لتعبيد طريق الصحراء لسيده . وبثبات المحب الصادق واجه فى أمر الله الظنون والتهم والعذاب ، ثم شرب كأس الشهادة فى ربيعه الثلاثين .

وميرزا حسين على تخلى بأمر ربه الأعلى عن رتبته وثروته وجاهه ، وعانى نصف قرن ألوان السجن والنفى ، وقاسى عاماً بعد عام ويوماً فى إثر يوم من الاضطهاد والتعذيب ما يجل عن الحصر والوصف ، متحملا كل ذلك فى هدوء متألق بإرادة الحاكم الأعلى الذى تفانى فى خدمته حبا وولهاً .

وعباس افندى الذى ولد وارثاً لمقام رفيع وملك واسع ، قد تبع أباه فى المنفى وهو صبى فى التاسعة ؛ ومنذ تلك اللحظة حتى وفاته التى وافته فى سن متأخرة لم يعد نفسه إلا عبداً لمحبوبه الأعظم ؛ ولم يلقب نفسه إلا « بعبد البهاء » ؛ وكان يعد هذا اللقب صولجانه وتاجه .

وتشهد الصور الشخصية الموجودة لهؤلاء الثلاثة بتلك الروح من الطيبة والمحبة . فصورة الباب الشاب تبدى فى محياه تلك الرحمة الآسرة التى ينطق بها تاريخ حياته وسجل أعماله . وفى صورة بهاء الله تبدو الرقة ممتزجة بالسيطرة والقوة الراسخة .

وقد وصف أحد الزوار بهاء الله عندما تملى من جماله لأول مرة عام ١٨٥١ فقال : « ماذا عساى أن أقول فى ذلك المحيا الذى شاهدت ؟ شاهدت محياه الجميل ، وملامحه الدقيقة التى يعجز قلم كاتب أو ريشة مصور عن تصويرها : تلك النظرة النافذة ، والطلعة الحنون ، والجلال المهيب ، والبسمة العذبة ، والشعر الأسود المسترسل الجميل . لقد خلف كل ذلك أعمق الأثر فى نفسى ... ما أبدع خطواته التى تهادى بها نحوى ... كل هذا لا سبيل إلى وصفه » .

وكتب السيد ثورنتون شيس (Thornton Chase) فى وصفه لعبد البهاء فى السجن عام ١٩٠٧ ؛ فقال : « كانت خطواته وهيئته خطوات ملك وهيئته . وإن الأثر الذى انطبع على قلبى هو مظهره القوى الملكى

الفذ فى أعظم ما يكون من المسلك الحلو الكريم . إنه يظهر المحبة لكل إنسان، ويتقرب إلى الجميع ، ويدعو الجميع ، ويحب أن يخدمهم جميعا حتى فى أقل الأشياء » .

أما فى صور عبد البهاء المشهورة المأخوذة فى باريس فإن القوة والذكاء والإرادة تبدو متساوقة مع تواضع جم وحزن بالغ صادر عن قلب يتألم ويتوجع لعالم شقى بائس .

ولما كان الحب الإلهى دعامة أعمال الباب وبهاء الله وعبد البهاء فقد جمعوا إلى العزم والحزم جمال القديسين اللطيف وكمالاتهم . ولقد نهض كل منهم فى مقامه يجابه حضارة فاسدة وثنية قاسية ويتحداها . وفى تلك المعركة الطاحنة التى تلت قيامهم على الأمر (تلك المعركة التى لم يسأل فيها أحد الطرفين هدنة ، ولم يجنح لسلم) لم يرفع أولياء الله يداً للدفاع عن النفس ؛ ولم يهربوا من المخاطر ؛ ولم يظهروا حقدا ولا كراهية ؛ ولم يضنوا بشفقتهم حتى على أدنأ أعدائهم وأعتاهم . ومع أنهم كانوا يفضحون الشر ويحتقرونه ، ويشهرون بالأشرار والظلمة ، ويشنون الحرب العوان مخاطرين بأنفسهم على كل من قاوم تقدم إرادة الله للملة إلا أنهم كانوا صبورين عطوفين مصابرين هادئين رحماء .

ولقد بلغ خلق الباب من الجمال أن كان تأثيره على كل من أحاط به يبدو سحريا . فاستطاع أن يجذب إليه قلوب سجانيه وحراسه والمتجسسين

عليه . وقد وصف نبيل فى تاريخه تأثير الباب الشخصى فيمن كان حوله أثناء سجنه فى چهريق ، فأكد بأن حاكم السجن وجد نفسه عاجزا عن تنفيذ المعاملة الخشنة التى أمر بها الوزير فى حق الباب لأنه :

« سرعان ما شعر بقوة مسجونه السحرية ، ونسى ما كان عليه من الواجب ؛ فمن مبدأ الأمر نفذت محبة الباب إلى قلبه . وأما الكرد الذين يقطنون فى چهريق فيزيد تعصبهم وبغضهم للشيعة عن أكراد ماه كو ؛ إلا أنهم وقفوا جميعا تحت تأثير الباب . ووصلت المحبة التى أشعلها الباب فى قلوبهم لدرجة أنهم كانوا فى كل صباح قبل أن يبتدئوا أعمالهم اليومية يولون وجوههم شطر السجن الذى حبس فيه ، وينظرون من بعيد إلى القلعة التى يقطنها ، ثم يتضرعون باسمه ويستنزلون البركات منه ، ويسجدون على التراب طالبين إحياء أرواحهم بنفحاته[١] » .

ولو أنه أفلح فى أن يصل إلى رأس الدولة : إلى الشاه لكان من الجائز أن يقنعه بقبول تعاليمه ، ولافتتح عهدا إصلاحيا جديدا . ولقد اعترف أعداؤه بهذا الخطر وخافوه . فكانوا دائمى التيقظ فى العمل على تلافيه . بل لقد دبروا قتله على هذا النحو السريع المضطرب لكى يجعلوا مثل هذا اللقاء مستحيلا إلى الأبد .

وكان لبهاء الله القوة نفسها فى إثارة الاستجابة لحبه المتدفق .

---

(١) مطالع الأنوار لنبيل : ص ٢٤٠ من الترجمة العربية .

ولقد شهدت الطاهرة بتلك القوة فى فجر الحركة الدينية ـ من قبل أن يعلن بهاء الله دعوته بزمن طويل ؛ فأنشدت قصيدة مطلعها :

لمعات وجهك أشرقت وضياء طلعتك اعتلا

ولما زار الأستاذ براون عكا فى سنة ١٨٩٠ وجد بهاء الله موضع قسط لاحد له ـ بل قسط لا يمكن تصديقه ـ من المحبة والإجلال . فلما أذن له بالمثول فى حضرته وصف نفسه وهو ينحنى « بين يدى من هو مدار إخلاص ومحبة يحسده عليهما الملوك عبثاً ، ويتحسر عليهما الأباطرة سدى[١] » .

ولقد انتقلت تلك القوة العظيمة وذلك الجمال الفاتن إلى خزائن الله، منسحبة من ذكرى الناس على مر الزمن، لكيلا يتاح للناس أن يخطئوا بتمجيدهم الهيكل كثيراً ، والروح الخالدة التى أشرقت منه قليلا . إلا أن العبودية التى أوحى بها إلى محبيه ؛ والتى سجلها التاريخ تجسمت بأكمل صورها وأعلى نسقها فى حياة مركز العهد « عبد البهاء » وأعمـــاله واسمه الكريم .

ولا يعرف من بين الأوربيين إلا كاتب واحد سجل لقاءه بالباب ، وآخر سجل لقاءه ببهاء الله . ولكن كثيرين من السياح والقصاد من الغرب زاروا عبد البهاء فى داره بفلسطين ، وتحققوا من حرارة عطفه ،

---

(١) Traveller's Narrative, Introduction, p. 40. مقدمة مقالة سائح .

وشمول رحمته ، وقوة جاذبيته .

وحينما زار الغرب محاولا ـ وقد تقدمت به السن وضعفت صحته ـ أن يصرف الناس عن الحرب المتوعدة ، رآه آلاف من الناس فى ألمانيا وفرنسا وانجلترا وأمريكا ، واستمعوا إليـه وهو يتكلم ، وكان سلوكه الملائكى ، وعطفه الحار ، وطيبته الفياضة ، وتفانيه فى أمر أبيه من الأمور الجليلة الظاهرة لكل من فاز بلقياه . ولو أنه كان منهك البدن ضعيف الصحة إلا أنه لم يدع فرصة تفلت دون أن يؤدى رسالته ؛ وكان يقول : « حيثما تكون المحبة يكون التعب راحـة » . ومازال فى الغرب والشرق رجال يشهدون بقوة بيانه الذى حرك كل القلوب ، وحاء كل أذن واعية بعلم جديد عن معنى الطيبة والمحبة .

وقد كتب كاتب عن زيارة عبد البهاء للندن فقال :

« تخلف انطباع عميق فى عقول الناس من كل الأجناس والطبقات . ولقد أثبت شمول عطف عبـد البهاء فى كل الأحوال أن عطفه لا يقل مساعدة عن دقته وفطنته فى معالجة المشاكل العويصة واليسيرة على السواء . وكان كل من يقترب منه يجد نفسه قاهرا لنفسه ؛ فيعجب كيف استطاع أن تخلصه من حيرته إدراك عبـد البهاء للاختلاف الدينى ، بل للاتفاق الدينى فوق كل شىء ... خلف وراءه كثيراً من الأصـدقاء ، لأن حبه أشعل فى صدورهم الحب . وانفتح قلبه للغرب فالتف الغرب حول هذا

المحضر الأبوى القادم من الشرق .

عرفه كل الناس ، وأحبه كل الناس ـ أحبه الغنى والفقير ، والصغير والكبير ، بل والرضع فى أحضان أمهاتهم . وكان إذا سمع بمريض فى المدينة مسلما كان أم مسيحيا أم من أية طائفة أخرى ـ عاده كل يوم ، أو أرسل من لدنه رسولا أمينا ... ولم يكن يطلب لنفسه شيئا من عزاء أو شرف أو راحة . وكان نوم ثلاث ساعات أو أربع يكفيه ؛ أما بقية وقته وقوته فكانت مكرسة لإغاثة أشقياء الروح والبدن . »

هذا ما كتبه م . هـ . فيلبس فى كتابه «عباس افندى» ص ١٠٦

وهناك شخص آخر وهو (حاكم حيفا) عرف عبد البهاء فقال :

« أحسب أن لدى معظمنا صورة واضحة للسير عبد البهاء عباس ؛ لطلعته المهيبة وهو يتقدم فى شوارعنا متفكرا متأملا ؛ لسلكه اللطيف الجامل ؛ لطيبته وولعه بالأطفال وبالزهور ؛ لكرمه ورعايته للفقراء والبؤساء . كان لطيفا رقيقا ساذجا يكاد المرء ينسى فى حضرته أنه بحضر معلم عظيم . وإن كتاباته وأحاديثه لعزاء وإلهام لمئات وألوف من أهل الشرق والغرب[١] » .

وهذا ما سجله أحــــد الأمريكان حين لقى عبد البهاء فى ثونون (Thonon) :

---

(١) The Passing of Abdu'l-Baha. p. 22

« لقد أسعدنى سعادة دائمة مستمرة أن أنظر إلى مثل هذا الإنسان العجيب الفذ ؛ وأن أستجيب كل الاستجابة لمحضره ... لقد بدا فى عظمته الأبوية ، وجلاله وقوته وطيبته التى لاحد لها ، بدا كسلطان عادل نزل لساعته عن عرشه ليختلط مع شعبه الخاص ... كان يضحك من أعماق قلبه من حين إلى حين . والواقع أن فكرة الرهبنة أوالدروشة لم تستطع أن تعلق بمثل هذه الشخصية الكاملة . فالعنصر المقدس فيه لا ينمو على حساب الجانب البشرى ؛ بل لقد يبدو أن الجانب الربانى بتوفره يقوى الجانب البشرى و ينميه . وكأنما هو قد بلغ تمام نموه الروحى بتحقيقه للعلاقات الاجتماعية بكل ماوسعه من حرارة و إخلاص(١) » .

فلما صعد عبد البهاء فى نوفمبر سنة ١٩٢١ إلى الرفيق الأعلى جاء فى إحدى المرثيات التى ألقيت بهذه المناسبة هذه الكلمات :

«هاتان العينان اللتان طالما نظرتا فى طيبة ومحبة إلى الإنسانية، صديقها وعدوها قد أغمضتا الآن ؛ وهاتان اليدان اللتان طالما امتدتا بالإحسان إلى الفقير والمعوز والعاجز وابن السبيل والأعمى واليتيم والأرملة قد فرغتا من عملهما الآن ؛ وهاتان القدمان اللتان طالما سعتا فى غير كلل ولا ملل فى سبيل رسالة الرحمن قد استراحتا الآن ؛ وهاتان الشفتان اللتان دافعتا ببلاغتهما عن المعذبين من بنى آدم قد ختم عليهما الصمت والسكون ؛

(١) Horace Holley : Modern Social Religion. p-p. 213-14

وذلك القلب الذى خفق بالحب العجيب لأبناء الله قد كف الآن عن الخفقان . لقد هجرت روحه المجيدة الحياة الدنيا ، وما امتلأت به من اتهامات أعداء الحق ، وما ازدحمت به ثمانون عاماً من كفاح وجهاد فى سبيل خير الآخرين(١) » .

تلك الفقرات التى اقتطفت كيفما اتفق ترينا شيئاً من ذلك الانطباع الذى انطبع على قلوب الغربيين الذين رأوه والتقوا به . أما التعبير الرائع عن تلك القوة الملهمة التى استطاع عبد البهاء أن يفيض بها على من تهيأ لتلقيها فقد صدر عن قلم أحد الكتاب الذين سبق ذكرهم :

« ... و بينما الجماعة تنهض إذا بى أرى بينهم كهلا جليلا يرتدى قباء سكرى اللون ؛ وكانت لحيته وشعره الأشيب يتألقان فى ضوء الشمس . ولقد أبدى من جمال القد واتساق المسلك والملبس ما لم أره فى الناس أو أحلم به . وما كنت فى حاجة لأن أتأمل ملامحه لأدرك أنه هو « المولى » . فاعترت بدنى كله هزة عنيفة ، ووثب قلبى ، وخارت ركبتاى ، وسرت نفضة من الشعور المتقبل الحاد من فرعى إلى أخمص قدمى ؛ حتى لقد بدا لى أننى ارتددت إلى كائن حساس مرهف الإحساس ؛ وكأنما لم تكن العينان والأذنان كافية لتلقى هذا الانطباع السامى : وقفت شاعراً بكل عضو من أعضائى أننى بمحضر عبد البهاء . فأحييت من فرط السعادة

---

(١) The Passing of Abdu'l-Baha, p.p. 9 - 10

أن أصرخ ! نعم ! لقد بدا لى أن ذلك أنسب تعبير كنت أملكه حينذاك للتعبير عن نفسى . وبينما كانت شخصيتى تتولى عنى بعيداً ؛ فى غمرة الخضوع والخشوع ، كان كائن جديد ـ غريب عنى ـ يحتل محلها . فكأنما هو مجد يتدفق فى من ذروة الطبيعة الإنسانية ، وأنا أشهد ذلك فيتملكنى حافز قوى للإعجاب ! ففى عبد البهاء أحسست بحضور بهاء الله الرهيب ؛ فلما استجمعت أفكارى أدركت أنى قد اقتربت بكل ما فى استطاعة الإنسان أن يقترب من الروح الخالص ، والكائن الطاهر . عانيت هذه التجربة العجيبة من دون إرادة ، فدخلت حضرة «المولى» ، وأصبحت خادماً لإرادة أسمى ، مسخراً لغاياتها . إن ذكراى لهذا التغير الوقتى فى كينونتى لا يزال لها على سلطان غريب . فلقد أعرف الآن إلى أى شىء يستطيع الإنسان أن يصير ؛ وأستطيع منذ تلك اللحظة الفريدة اللهمة المشرقة أن ألتفت إلى كل الأحوال لأقدر قيمتها بذكاء أصفى من ذكائى الأول[١] » .

هذه هى المحبة التى نفخها الله فى قلب العالم الجامد ، وهذه هى المحبة التى توقظ الأرواح وتمدها بوعى جديد للأمور السماوية ، وتسرع بالنفوس إلى الحياة فى نسقها الأعلى . ولقد أبدت المحبة كفاءتها فى الكبيرة والصغيرة : فأسبغت على المعاملة الاجتماعية قوة ساحرة ، ووسعت

---

(١) Modern Soical Religion, Appendex, pp 221, 212.

الآفاق وحطمت العوائق والحواجز ، ولطفت الحياة ، وعلمت الناس جلدا وإقداما لا يبدو أن لها مدى . كان من المعتاد فى بحر الأمر أن يقال بأن الرجل لا يستطيع أن يتناول الشاى مع البابية دون أن يرغب فى الانضمام إليهم . وكان المسلمون الإيرانيون ينسبون جاذبية الأحباء هذه إلى أنهم يستعملون الرقى والسحر والمخدر ليفتنوا بها جيرانهم . والواقع أن الحماسة والحرارة والسعادة التى غمرت قلوب البابية الأول لمن الأمور العجيبة للهمة البارزة . فبأى حنين، وبأية حماسة كانوا يندفعون لبذل أرواحهم إخلاصا لمولاهم ! لم يكن ليعيقهم المستحيل من الجهد ، ولا المميت من الخطر لو أنهم عرفوا أنهم يستطيعون بهذا الجهد والخطر أن يخدموا أمره . أما تلك الأشياء التى اعتزوا بها اعتزاز غيرهم من الناس بها ـ كالمتاع والشهرة والراحة والدار والولد والزوج والحياة نفسها ـ فقد كانوا على استعداد لأن يضحوا بها من أجل مولاهم ؛ بل لقد عدوا من الموهبة العظمى أن يوفقوا ـ بإنكارهم الفذ الكامل لذواتهم ـ إلى إظهار محبتهم على نطاقها الكامل ، وتمجيدهم للباب ولرب الباب . وكان الباب (وهو نفسه مشعل قبس منه أبطال الأيام الأولى ؛ ولم يدانه فى قوته وتوهجه مدان) كان فى كمال حبه الروحى وقوته قدوة لهم يحتذونه ، وإماما يأتمون به .

ولقد أجاب الباب مرة أحد المحبين الذين عبروا عن قلقهم على حياته فقال :

« لا تخف ! فلقد جئت إلى هذا العالم لأشهد حظ الشهادة . وإنك لتدرك مبلغ شوق وشغفى ؛ وإنك لتعلم مقدار إنكار ذاتى . بل ادع الله ربك أن يعجل بساعة الاستشهاد ؛ وأن يرضى عن تضحيتى . إن الدماء التى قدر علينا أن نسفكها فى سبيله ستروى وتنعش حديقة إخلاصنا الخالد . وإن قطرات هذا الدم المكرس ستكون البذور التى ستنبت منها دوحة الله العظيمة ، تلك الدوحة التى ستظلل تحت ظلها الوارف شعوب الأرض وأهلها[١] » .

ولقد اقتطف النبيل العبارة الآتية كأعظم وصف لاستشهاد القدوس وصحبه من البابيين :

« من طلبنى وجدنى ،

ومن وجدنى قربنى ،

ومن قربنى أحبنى ،

ومن أحبنى أحببته ،

ومن أحببته قتلته ،

ومن قتلته فعلى ديته . »

وإذا اضطرنا الأمر إلى نص آخر لنطلع على روح البابية فى ذلك العصر المجيد ، فإننا نورد صرخة الحجة الشاب حينما رأى فى محنة زنجان .

(١) مطالع الأنوار (لنبيل) ، الفصل الثامن .

زوجه وطفله يذبحان :

« ومع أن أحزانى للآن عظيمة فإنها لا يمكن أن تقارن بالآلام التى أنا مستعد لتلقيها لأجل اسمك . فلن تقاس حياتى الباطلة ، ولا فقدانى لزوجتى وابنى ، ولا تضحية أصحابى وأقربائى بنعمة معرفة مظهرك الذى أنعمت بها على . ولو أن عندى آلافا من النفوس وملء الأرض ذهبا وما فى العالم من فخر لفديت الجميع فى سبيلك بكل فرح[1] » .

فشل علماء الدين فى محاولاتهم فى قمع هذا النفوذ باضطهاداتهم المستمرة التى أشرنا إليها من قبل ، فعالجوا ناحية أخرى ، وهى أن يدمروا الخير بالشر ؛ وأن يقتلوا الحب بالكره والبغض . فاتهم الدين الجديد، وقاسى معتنقوه عذابا متصلا عنيفا.فأهين البابيون ـ والبهائيون من بعدهم ـ وأخرجوا من ديارهم ، وأوذوا ، ونفوا ، وعرضوا فى الشوارع تمثلا بهم أبشع تمثيل ، وقطعت رءوسهم ، ومزقت أشلاؤهم ، وذبح منهم المئات.وكان الخنجر والسيف والماء الذى يغلى،والحرق البطىء؛ كان كل هذه وغيره أسلحة الفقهاء التى استخدموها لقتل ضحايا حقدهم . نعم لقد تزعزع بعض المؤمنين واضطربوا ؛ إلا أن الجموع الغفيرة سعوا إلى الموت وهم يتغنون بأناشيد الشهداء تمجيداً ؛ وقاسوا ما قاسوا من عذاب ودعاء الرحمة يرقص على شفاههم . على هذا النحو خرج الألوف

(١) مطالع الأنوار : ص ٤٥٦ من الترجمة العربية .

عن أرواحهم فداء للدين البهائى .

إن دم الشهداء مازال الآن ـ كما كان من قبل ـ بذرة الإيمان . وعلى هذا فقد عاشت المحبة التى أضرمها الله فى العالم ، ولم تنطفىء ولم تخب ؛ بل انتشرت طولا وعرضا ، شرقا وغربا ، عابرة القارات ، متخطية البحار محطمة الحواجز لا يعرقلها معرقل ؛ وإن لم يحس تأثيرها حتى الآن إلا نفر قليل من الجنس البشرى . وانضوى تحت علم بهاء الله رجال ذوو ألسنة مختلفة وجنسيات متباينة ، تربطهم عروة أوثق من عروة النفع المشترك ، أو الدم المشترك . وحرقت المحبة الإلهية المنعكسة فى قلوبهم التعصب والغل والأحقاد ، فوحدتهم . والعالم الفسيح بالقياس إلى هؤلاء الأحباء مملكة واحدة ووطن واحد، حيث يفكر الجميع ويعمل كما يفكر الاخوة ويعملون تحت لواء ملك واحد: هو الأب السماوى الخالد .

هذه المحبة التى تفيض عن الله الآن بأوسع مداها على وعى الإنسانية المتثائب هى القوة التى سوف تعيد الطبيعة البشرية إلى الحياة ، وتسمو بها إلى النسق الأعلى ، وتخلق سموات جديدة وأرضا جديدة حقا وصدقا .

....

خاتمة

تلك هى تعاليم بهاء الله عن جوهر وحدة الجنس البشرى ، وأصول وحدة أديانه ، وحقيقة وحدة التقدم الذى تقوده العناية الإلهية .

وتلك هى الخطة والطريق التى ارتأى بهاء الله سلوكها فى عصر الله المجيد توحيداً لشعوب الأرض .

وتلك أيضا هى قصة محاولة بهاء الله تبشير الناس ببشارات العصر الألفى السعيد ، وتلقينهم المثل الأعلى للوئام العالمى ، وتعليمهم مباشرة السلام العالمى .

أليس فى كل هذا رسالة لعالم مافتئ ينحط ويتردى فى الأزمات السياسية والاقتصادية ؟ وما انفك يترنح من أمل كبير إلى أمل آخر كبير، يخر به الضلال وينخر فيه الخلاف ، وتتعقبه المخاوف المتزايدة ، فيمضى ملتمسا نسيان شقائه فى إغراق بعيد وإفراط عميق ؟

أليس فى هذه الأفكار وتلك المبادىء شىء ينير ، أو يشجع ، أو يسر أولئك الطيبين من الناس الذين يجاهدون لإعلاء صوت العدالة والعقل

وسط عواصف الغضب والحقد والبغضاء ؟ أليس فى هذه الآراء العريضة السامية، وتلك الحماسة النارية التى تنتقل من نفس إلى نفس، ومن قلب إلى قلب مشعلة مصباح الإيمان من جديد، مبددة اليأس والأوهام القديمة.

أليس فى كل هذا شيء يفيد منه الخلاص ؟ شيء يحيى موات روحه، ويقيمه بروح يعيد إليه تلك الروح التى دبت فى تلاميذ المسيح فى عيد العنصرة ؟ إنه لا يغنى عنا أن نقول إن فى لحمة هذه الفلسفة وسداها شيئاً كثيراً مما هو غير تقليدى، وغير حنيف ؛ وإن تلك الأسماء جديدة علينا؛ وإن هؤلاء الناس غرباء عنا ؛ وإن العالم المتكبر المتقدم لا ينقصه أن يتعلم شيئاً من أحد رعايا السلطان أو الشاه، سواء أكان من إيران أو من سوريا ؛ وإن كل هذه الجهود تقع بعيداً عن محيطنا ومجالنا ؛ وإننا لن نلتمس — ولن نحتمل — يداً لمعونة تمتد إلينا من غيرنا .

إن الأمر لأعظم شأناً، وأجل خطراً من أن يسمح العالم المسيحى لمثل هذا النقد بأن يكون استجابته الوحيدة لمثل هذه الحركة المواتية الخلاقة الخصيبة التى أسسها بهاء الله ؛ والتى استشهد فى سبيلها الباب ؛ والتى باسمها أقبل عبد البهاء يبلغ رسالة السلام إلى أولئك الذين كانوا بمنأى عنها . من منا علم الناس رسالة المسيح فى محبة الله والناس كما فعل بهاء الله بتلك القوة وذلك التأثير ؟ من منا اطرح خلف ظهره كل شيء من أجل الله وطاعة المسيح بمثل ذلك الإنكار للذات ؟ من منا حمل طوال حياته مثل

هـذا الصليب الثقيل بقوة ظفرت بخضوع من طاف حوله مثيرة روحا مشابهة من الصبر والإيمان المنير ؟ من منا وجد مثل هذا العدد الضخم من المستمعين المتقبلين للنصائح الأبدية فى الصبر والتسامح والمحبـة الشاملة ؟ من منا علم الناس بمثل هذا النجاح الصادق أن يجزى الاساءة بالإحسان والقسوة بالشفقة عن عقيدة وإيمان ؟ أيستطيع عالم مسيحى خرق كل أصل وكل مبدأ من مبادىء السيد المسيح وأصوله؛ فأهلكه التعصب والغضب والبغضاء ، وهو أبعد ما يكون عن الخجل من الخطايا التى كثيراً ما يبدو أنها تعظم بين الناس قدراً ، فيعدونها دليلا على الرجولة والوطنية ؛ وأنها تسبغ عليهم ألقابا متملقة ــ أيستطيع عالم مسيحى ارتـكب أشنع مذبحة فى التاريخ ؛ وطحن فى منازعاته عدداً ليس بالقليل من أولئك «الوثنيين» الذين وكل إليـه أمر تعميدهم ، فعمدهم تعميداً مختلفا أشـد الاختلاف ــ عالم مسيحى يتهيأ الآن ــ وهو أبعد ما يكون عن أن يكفر عن ذنوبه، أو يتوب عن طغيانه ــ لحرب أعظم شناعة وضراوة: أيستطيع عالم مسيحى كهذا أن يقنع بإثارة تقوى هادئة ؟ وأن يكف عن الاستخفاف بجهود هؤلاء الذين جادوا ــ وما زالوا يجودون ــ بكل شىء فى سبيل تمجيـد الأب العالمى ، ومنع الحزازات الأخوية بين أبنائه ؟

ألا يكون منظر شقاء العالم وخطيئته باعثا كافيا لأن تنطلق القوى الكامنة فى الضمير والروح ؛ وأن نبدأ فى العالم باسم رئيس السلام عهدا

من النضال الديني لإعادة التنظيم والإصلاح ؟ فإن لم يكن كل هذا كافيا ، أفلا يكون الإيقان بأن صبر الله قد عيل ؛ وأن العقاب وشيك ؛ وأن الإسهام في الخير في متناول الأيدي ؛ وأن غضب الله الشديد حائق بنا فلا نشهده بأعيننا عيانا – أفلا يكون هذا الإيقان المتزايد كافيا لإلهاب قلوب الناس بالحذر ، وبالحرص ، وبالإقلاع عن الغرور والعزة بالاثم ، وبالانقلاب في صبر وجلد إلى محجة الخضوع والطاعة والإيمان المتواضع ؟ ولكن لا ! ماتت خشية الله من قلوبهم كما مات حبه . أما المسيحيون الخالصة قلوبهم فإنهم مازالوا لا يقام لهم وزن وإن كثر عددهم ؛ وما زالوا عاجزين عن أن يشقوا طريقهم ضد هذه المساوئ العالية . وما زال الإعراض والتراخي والشك والنفاق الدائم يضعف من جنود الله ؛ وما زال الفريسي الظاهري يغري العوام بفتح مغاليق حصن الحضارة لمحاصريها من جموع مولوخ (Moloch) – لمزيد من ضحايا القربان – ومارس (Mars) لمزيد من دمار الحرب ؛ وما زال العلم يتحد مع الصناعة ويسخران مصادرهما لتيسير المجازر البشرية العامة المفرطة ؛ وما زالت صناعة المدافع تتعاون مع فنون السموم ؛ وهاهي شعوب أوروبا التي تفزعها المحرقة التي سوف تلتهم القارة بأسرها ، تراها تلجأ إلى الجبال ، وتلوذ بالتلال لتحميها وتحفظها ، ولكنها لا تستعيذ ولا تعتصم بالذي هو وحده مصدر النجاة والخلاص .

أهذا وقت يليق بنا أن نتجاهل فيه حركة غنية بالبركات التي يعلم المسيحيون حق العلم بأنهم يفتقرون إليها – غنية بالإيمان الديني الصادق، وبالشجاعة، وبالثقة، وبرنامجها المقبول الواضح؟

لئن كانت هذه التعاليم باطلا بحتا، وهذه الحركة ضلالا صرفا إذاً فما أعظم الخزي الذي نستشعره حينما نرى البهائيين قد فعلوا في سبيل الله شيئا كثيرا، بينما نحن لم نفعل إلا يسيرا. وما أشد تزعزعنا رغم فرصنا السوانح! وما أشد انقسامنا رغم اتساق شريعتنا! ثم ما أوهن مقاومتنا لأبواب جهنم!

ألا يمكن لهذه القصة المروية في تلك الصحائف القليلة أن تمس القلب؟ ألا يمكن لترجمة حياة بهاء الله، وسجل أعماله، وتاريخ حركته التي أنشأها – أن تثبت للكثيرين أن قوة الله لا تزال فعالة فينا بطاقتها التي لا تحد ولا تحصر؟ ألا يمكن لإيمان أتباعه الساذج أن يجد صداه هنا؟ ألا يمكن لحبهم المشرق لله ومخلوقاته أن يثير فينا استجابة ما، ويحفزنا إلى النضال من أجل إقرار السلام بين الجنس البشري؟ ألا يمكن لعكوفهم الفذ على غاية السلام العملية المباشرة أن يستفز تلك المجتمعات الكبيرة إلى حشد قواهم المختلفة، وتسخيرها جميعا لخدمة أهم ضروراتنا الحيوية في الساعة الراهنة؟ ألا يمكن لأصفياء القلوب في أرجاء الأرض – كائنة ما كانت نحلهم – أن يتضافروا مع البهائيين في العمل على تحقيق الهدف العالمي الوحيد: ألا وهو نزع السلاح، وتتويج السلام؟

فهرس الكتاب

صفحة		
١	مقدمة الترجمة .	
٣	مقدمة المؤلف .	
٢٧	الفصل الأول	قصة الإنسانية .
٤٠	الفصل الثانى	الظهور الإلهى .
٥٧	الفصل الثالث	تعاقب الرسل .
٨٠	الفصل الرابع	رسالة السيد المسيح .
٩١	الفصل الخامس	ترقب يوم الأيام .
١١٠	الفصل السادس	باب الإشراق .
١٣٣	الفصل السابع	دخول ملك المجد .
١٦٢	الفصل الثامن	نور الشريعة الإلهية .
١٨٨	الفصل التاسع	نار المحبة الإلهية .
٢١٥	خاتمة	